العربي


أنغام .. في أعماق المحيطات


العقاد .. الزمان والمكان


البرازيل .. مارد القرن ٢١



نقل حي من استاد فيشر

VHS
FVH-D720

VHS
PAL MESECAM

FISHER

CFM2110SR

إستمتع بأفضل المقاعد في الإستاد بدون أن تغادر المنزل.

فيشر، أخصائيو نظام الهاي فاي الاصليين، يقدمون الآن أجهزة سمعية مرئية ذات أبعاد جديدة في الترفيه المنزلي.

بما أن تلفزيون فيشر CFM2110SR ١٦ نظاماً ذو شاشة مسطحة مربعة، فباستطاعة كل من في الغرفة الحصول على أفضل صورة حتى آخر زوايا الشاشة، صوت ستيريو ديناميكي وجهاز تحكم عن بُعد ٢٧ وظيفة بالأشعة تحت الحمراء يجعلك تستمتع بالمشاهدة من أي جهة تجلس فيها.

لمباراة مثالية، إختبر مسجل الفيديو FVH D720 بال/ ميسيكام مع مؤقت مبرمج ٩ أيام لبرنامج واحد وتحكم عن بُعد بالأشعة تحت الحمراء لراحة أكثر.

فيشر- إنه عالم جديد مدهش.

CFM2610SR

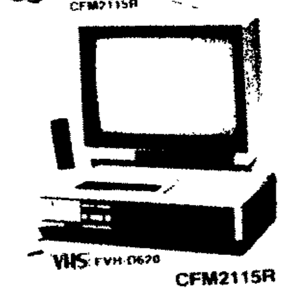
VHS FVH M540

CFM2610SR

لحصول على كل الحركة مع هذا التلفزيون الملون ١٦ نظاماً قياس ٢٦ إنشاً مع صوت ستيريو وتحكم عن بعد ٢٧ وظيفة بالأشعة تحت الحمراء.

FVH-M540

تحمل الأنظمة الأربعة للتسجيل والمشاهدة والتحكم عن بعد ١١ وظيفة بالأشعة تحت الحمراء، مسجل الفيديو هذا يضع العالم بين يديك.



CFM2115R

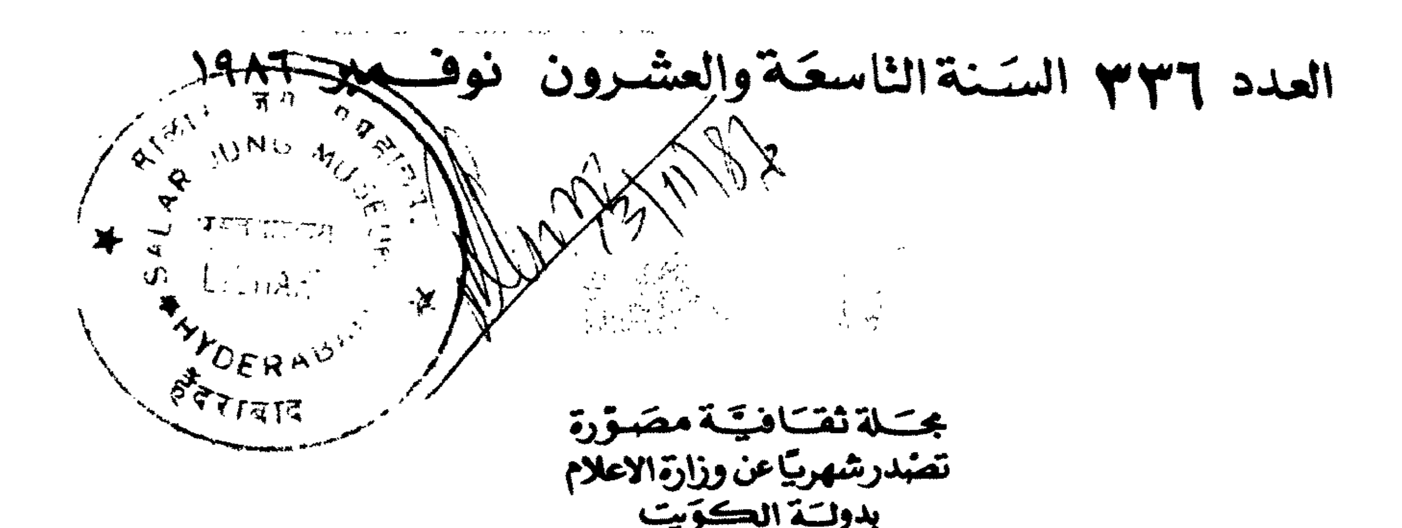
مشاهدة مدهشة بالألوان من جميع أنحاء العالم مع هذا التلفزيون الملون ١٦ نظاماً قياس ٢١ إنشاً ذو الشاشة المسطحة المربعة وتحكم عن بعد ٢٧ وظيفة بالأشعة تحت الحمراء.

FVH-D620

مسجل فيديو بال/ ميسيكام مع تحكم عن بعد ومؤقت مبرمج ٩ أيام لبرنامج واحد.



العدد ٣٣٦ السنة التاسعة والعشرون نوفمبر ١٩٨٦



مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

Issue No. 336 Nov. 1986 P. O. Box: 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

ص.ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR-44041KT
تليفون فكسيملي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات بإسم رئيس التحرير

يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص.ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية
أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٢٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٣٠ قرشاً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

عزيزي القارئ

في العدد الذي بين يديك ، وفي زاوية « حوار القراء » نطرح قضية ثقافية محزنة ، بل ومشينة ، يقوم بها بعض مدعي الثقافة . والقضية ببساطة أن هناك من ينقل نقلا حرفيا من مجلات قديمة ، وبالنص ، ثم يرسلها للنشر على أنها من انتاجه . . !

المحزن أن هؤلاء الناس ليسوا عاديين ، بمعنى أنه من المفترض فيهم أن يكونوا قادة رأي ، وأن يكونوا مؤتمنين على أمور أخرى . . بجانب ائتمانهم على الثقافة . فإذا كانوا قد خانوا الأمانة فكيف يمكن الوثوق بهم ؟

إنه مرض أصيب به قلة من المفترض أن نعيش معهم ، ولكن ما يعزينا أن هذا المرض محدود في بعض ضعاف النفوس فقط الذين سرعان ما ينكشفون ويستأصلون من الساحة الثقافية .

وهكذا كان ، وفي حوار القراء تفاصيل ذاك المرض ووجهة نظرنا فيه .

ولكن ، بعيدا عن المرضى والأدعياء ، لنستعرض بعض ما نقدمه لك من جديد .

في هذا العدد تطل « العربي » على الشمال الأسباني إطلالة الباحث عن جذور للثقافة تركها أجدادنا هناك . . وقد وجدناها . . وهي هنا بين يديك . .

وتجد أيضا تصورا جديدا تطرحه « العربي » لدارسة بعض الشخصيات الفكرية العربية من خلال المكان الذي عاشوا فيه . . والبداية في هذا العدد مع . . . العقاد .

ولأن العالم يتقدم معتمدا على الذكاء والمبادرة . . فإننا نعرض عليك شيئا من الذكاء الصناعي . .

. . . ويقدم لنا الدكتور نقولا زيادة كتابا صينيا يتناول « العرب » . . ترى ماذا يرى الصينيون فينا ؟

وتنقلك العربي أيضا الى البرازيل . . التي يعتقد الكثير من الخبراء انها ستكون عملاق القرن الواحد والعشرين . . ماذا في البرازيل اليوم ؟

وحول عملية « بلمبات » وحصول الكيان الصهيوني على اليورانيوم تمهيدا لقيام صناعة ذرية فيه ، تنقل لك « العربي » بعض الأسرار والتفاصيل . .

هكذا هو العدد الذي بين يديك . . مترعا بالفكر والثقافة . . كي نمتعك في هذا الشهر . . والى اللقاء في العدد القادم . . □

المحرر

● الشمال الاسباني بعد جديد في المآثر العربية الاسلامية يضاف الى الجنوب . فما الذي تركه الأجداد هناك وماذا يقول الحجر ؟ [ص٦٨]

استطلاعات ومقابلات

أبواب العربي

المراسلات باسم رئيس التحرير .. والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .



البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع



بقلم الدكتور محمد الرميحي



لا بد أن يكون مؤلف هذا الكتاب اسكتلنديا قحا حتى تخطر بباله مثل هذه الأفكار ، فالاسكتلنديون مشهورون بالبخل الشديد ، والكتاب يتناول قضية لها علاقة بالتوفير واستخدام المال بطريقة أكثر رشدا أو قُل حرصا . . فقط عليك باتقان فن التفاوض . . . التفاوض هنا ليس التفاوض السياسي ، ولكنه التفاوض الاقتصادي الفردي ، والتفاوض على قضايا لا تخطر على بال ، مثل التفاوض مع الزوجة قبل أن تهب معركة كلامية أو مع الحبيب عندما تظهر بوادر الجفوة أو مع الطفل ، ومثله التفاوض لشراء منزل أو سيارة أو التفاوض من أجل الطلاق أو الزواج أو من أجل بناء بيت،حتى التفاوض مع خدمك في المنزل . كل ذلك يقدم بين دفتي كتاب سماه مؤلفه « الصفقة الرابحة » * وجعل عنوانه الفرعي : كيف تتفاوض في كل شيء . . من التفاوض مع طفلك الى التفاوض لقضاء اجازة ممتعة . . وكيف تتفاوض مع جيرانك وشركائك أو مع ابنتك أو ابنك في سن المراهقة . . . ؟

في بعض الأوقات تبدو لك معاني الكاتب حول التفاوض وكأنها تعنى المساومة ،



* Gavin Kennedy "Superdeal: How To Negotiate Anything 1986.

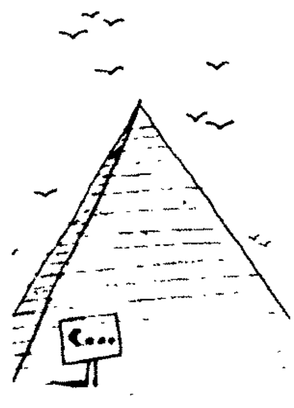
ولاسيما في الموضوعات الاقتصادية ، وأحيانا أخرى كأنها تعنى التفاوض غير المنطوق والذي يجرى حواره بدون كلام، وبخاصة في العلاقات العاطفية ولغة العيون .

الكتاب مبني على مجموعة من القواعد الاجتماعية والنفسية ، وليس بالضرورة أن كل البشر وكل البيئات الاجتماعية تشترك في هذه القواعد ، إلا أنها قواعد قد يشترك فيها معظم الناس ، مع هامش من الاختلاف الثقافي هنا أو هناك .

الكاتب منذ البداية يبدد الرهبة من المساومة وخصوصاً لدى الشخص الغربي - فالبعض يعتقد خطأ - كما يقول الكاتب - أن المساومة أو التفاوض هو طريق للمكر والاحتيال ، والأمر ليس كذلك البتة . فالتفاوض والمساومة طريقة حضارية متقدمة لحل المشكلات بين الأطراف المختلفة ، فأية قضية بين طرفين ربما تكون مشحونة ومفعمة بالخطر ، والتفاوض هو أقصر الطرق وأسلمها لحلها .

الكاتب أيضا يقول ان الكثير من الطرق الموصوفة للتفاوض والمساومة في كتابه هذا ، استخلصها من عمله الطويل في عيادته في اسكتلندا ، وهي عيادة تعنى بتعليم التفاوض والمساومة ، أو « عيادة مفاوضات » . وهو يقول ان الناس الذين يأتون اليه ليسوا جنسا آخر مختلفا عن العالم ، انهم بشر عاديون، ولكنهم يريدون أن يحسنوا قدراتهم التفاوضية حتى يحصلوا على صفقات أكثر ربحا ، سواء كانت مادية أو معنوية .

التفاوض الاقتصادي :



□ البشر في عالمنا ينقسمون الى قسمين أو الى معسكرين غير متكافئين : مجموعة من الناس تستطيع أن تعيش في حدود دخلها وهي سعيدة بذلك ، ومجموعة لا يؤهلها دخلها لأن تعيش معيشة مستريحة ، وهي تريد أن تفعل شيئا لتغير ذاك الواقع .

إذا كنت محسوبا على المجموعة الثانية ، فلا تعجب كثيرا اذا ما عرفت أنك تنتمي الى المجموع الأكبر ، الأكبر كثيرا في عالم البشر . وان أردت أن تفعل شيئا لتغيير ذاك الواقع ، فما عليك الا أن تتابع القراءة . . .

إذا كنت تريد من دخلك الحالي أن يخدمك أكثر لأنك تريد أكثر مما لديك ، أو لأنك تريد أكثر مما تحصل عليه الآن ، فهناك طريقتان فقط لاصلاح الاختلال بين دخلك (المحدود) وحاجاتك الكثيرة :


- الحق .. إشتري الهرم الكبير .. فرصة !!

اما أن تخفض احتياجاتك ، أو أن تستخدم دخلك استخداما أفضل ، فاذا اتجهت الى الخيار الأول - تخفيض الاحتياجات - فإن عليك أن تكون قديسا أو أن تعانى من مستوى متدن من المعيشة وتصبح بذلك مهووسا لأن المهووس هو الذي يقوم بذلك .

أما إذا كنت تريد أن تستخدم دخلك بشكل أفضل فلا بد مِنْ أن تتعلم (المفاصلة) أو المساومة وتكتيكاتها . . .

كيف نساوم ؟

□ إن كنت تقبل أول الأسعار التي تعرض عليك عند شرائك لسلعة أو خدمة ما دون نقاش ، فأنت لا تستخدم دخلك استخداما أفضل ، وإن كنت تدفع عادة مقابل أي بضاعة الثمن الذي كتبه البائع على بطاقة السعر فأنت خاضع لما يفرض عليك لا لما تقرره أنت بنفسك ، إذ كيف ترفض أن تشتري بضاعة بأقل من سعرها المعلن بـ ٥٪ أو ١٠٪ أو ٢٠٪ بينما تستطيع ـ لو ساومت ـ أن تحصل على بعض ذلك التخفيض أو كله .

اسأل نفسك : هل هذه البضاعة لا تتوفر بعد فترة من الوقت في موسم التنزيلات ؟ وانها عندئذ ستكون أقل سعرا بكثير مما هي عليه الآن ؟ فلماذا لا أحصل على جزء من التخفيض الآن لكن بعد المساومة ؟ وتذكر أن الناس ليسوا أسهل المخلوقات للتفاوض والمساومة معهم ، فإن لهم أفكارا خاصة بهم ومصالح وطلبات يصممون على الحصول عليها . . . ولكن تذكر أيضا أنهم بشر مثلك ولا ضرر من أن تطلب منهم ما تعتقد أنه حقك . . فقط حطم العزلة وتشجع .

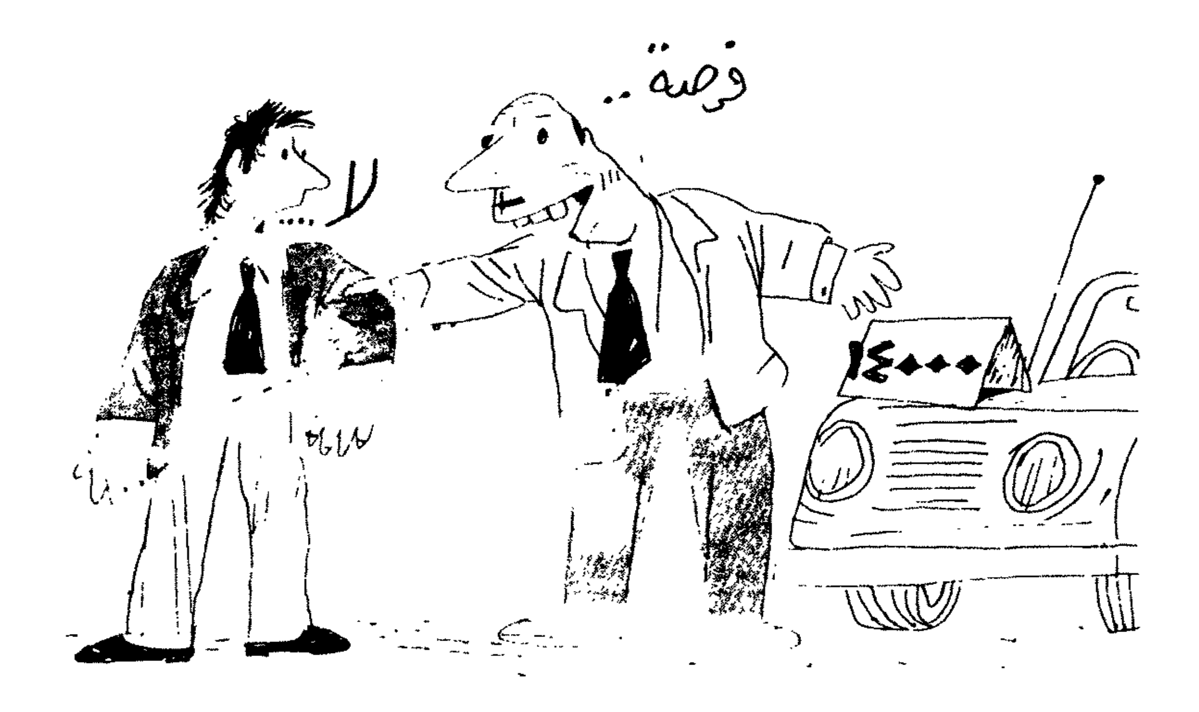
ليس هناك لحظات أكثر ترددا وقلقا من اللحظة التي تكون فيها في محل للبضائع ، وقبل دقائق من قرارك شراء بضاعة ما ، فالبائع لديه هدف واحد هو أن يجعلك تشتري البضاعة وتدفع الثمن الذي قرره سلفا وكتبه على بطاقة الأسعار .

وأنت من جانبك ليس لديك شيء تخافه . . فقط تشجع ، البائع وأنت متساويان ، وبدونك وبدون آخرين مثلك فإن المحل يمكن أن يغلق أبوابه ، تذكر مرة أخرى أن البائع اذا لم يبعك البضاعة الآن فسوف يضطر لبيعها في التنزيلات . . تشجع واطلب تخفيضا . . .

□ تذكر القاعدة الاقتصادية التي تقول انه لا يوجد غداء مجاني . . هناك في آخر الأمر من يدفع ثمن ذاك الغداء . ولكن لا توجد قاعدة اقتصادية تقول انك الشخص الذي يجب أن يدفع ثمن الغداء .

تذكر أيضا أنه ليس لديك منجم من المال تنفق منه . . وتذكر انك لا تنفق نفس الدينار مرتين ، لذلك لا تقبل من الآخرين أن يقرروا لك كم تدفع في بضاعة تريد شراءها . من الآن فصاعدا ، تعلم أن تساوم عند شرائك لأي شيء . . فالمساومة هي التي تجعلك تحصل على تخفيض ، وبذلك تستخدم دخلك استخداما أفضل .

لا تتبع القطيع ، فاذا ذهبت الى السوق واشتريت شيئا ودفعت ثمنه كما حدده البائع فأنت تفعل ما يفعله ٩٦٪ من الناس . . ولكن ما الذي يجبرك على فعل ذلك ؟ ، أنك تستطيع أن تخفض السعر الى نسبة قد تصل الى ١٠٠٪ .



ولكن ذلك يحتاج الى قوة حديدية .

فأنت عندما تدخل فخ الشراء تدخله عن طريقين : إما أن تدخله بشكل مزاجي عن طريق مشاهدة إعلان عن بضاعة في « التلفزيون » أو الصحف ، وإما عن طريق تصميم سابق بأنك محتاج الى السلعة التي تريد شراءها . المشتري المزاجي هو المشكلة لأنه يقع في الفخ سريعا ، ومعظم مشتري المزاج هم صنف معين من الناس . . لاسيما النساء . . هذا فستان جميل أريد أن أجربه . . وما ان تجربه حتى تتعلق به ، وبخاصة إذا وجدت بائعة تقول لها : ما أحلى هذا الفستان على هذا القوام الملفوف ، وقد لا يكون ملفوفا أبداً . . فانها تقتنع به على الفور . . وتشتريه . .

المشتري الذي يقرر سلفا ماذا يريد ، يمكنه أن يحصل على تخفيض يصل الى ١٠٠٪ عندما يسأل نفسه : ولماذا أريد هذه السلعة ؟ إن لدى مثلها تماما في البيت ! بهذا القول العقلاني فانه يحصل على التخفيض الأكبر اذ أنه لن يشتري ، وبالتالي فلن ينفق شيئا . . .

٥ «الطنشيش» .. الخُدعَة !

□ عندما تكون أسبابك في الشراء موضوعية غير مزاجية ، تكون قوتك التفاوضية مع البائع في ذروتها ، ولكن من الصعب التفاوض عندما تكون أسباب الشراء مزاجية ، وقتها تكون في أضعف نقطة تفاوضية ، فأنت أو زوجتك أو ابنك الكل يريد هذه السلعة . . يريدها فورا . .

والبائعون يعرفون ذلك . . وكذلك علماء النفس المهتمون بالتسويق ، لذلك طوروا تقنية بارعة في أساليب عرض البضائع والسلع والخدمات للايقاع بك .

يقال في إطار حنكة البيع ، ان البائع الذكي الذي يبيع شرائح اللحم (ستيك) هو الذي يبيع (الطشيش) لا اللحم !

(الطشيش) لا يتوجه الى عقلك ولكن الى خيالك والى عاطفتك ، فعندما تطبخ شرائح اللحم وتشم رائحتها وتسمع (طشيشها) تنفتح شهيتك للطعام - لذلك فإن كثيرا من المطاعم الراقية تجهز الطعام قريبا منك . بائع (الطشيش) ليس مقتصرا على بيع شرائح اللحم ، فالمطاعم التي تقدم الوجبات النباتية تتوجه الى رغبة الناس في الصحة الجيدة وليس الى عاطفة الانسان نحو الحيوان المذبوح . إنها حقيقة في عالم التجارة والأعمال ، وقد أثبتها البائعون الذين أصبحوا أغنياء ، إنك تشتري السلع بسبب (الطشيش) ولا تشتريها بسبب حقائق موضوعية لها علاقة بالسلعة نفسها ، وقد يكون هذا (الطشيش) في بعض الأوقات اسما لمصمم أو بيت أزياء أو مكانا لانتاج السلعة .

بالنسبة لك . . هذا (الطشيش) يجب أن يكون إنذارا مبكرا ، فعندما يكون البائع أو البائعة على أصلب أرض تفاوضية وأنت مبهور (بالطشيش) الذي تسمعه أو تراه أو تشمه أو تلمسه ، فأنت تقف وقتها على أضعف أرض تفاوضية ، عند ذلك تكون كالسمكة التي تكاد أن تلتقط الطعم ، فاحذر انه الوقت المناسب لاغلاق فمك والابتعاد الى أرض أكثر أمانا .

إذا كنت تستطيع أن تحصن نفسك ضد « بيع الطشيش » فأنت تستطيع أن تساوم على سعر أفضل ، أما اذا لم تكن محصنا فكان الله في عونك .

أنت فقط تحتاج الى الشجاعة والثقة بالنفس كي تطلب التخفيض في السعر ، وإن طلبته مرة فسوف تجد أنه سهل ، وتتلذذ بطلبه بعد ذلك وسوف تجد كذلك أنه امتحان لثقتك بنفسك . . وربما أيضا امتحان لقواك العقلية . . . . !

كيف تشتري أو تبيع أو تصلح منزلك ؟

□ لا بد أن تبتعد عن المغامرة في تغيير ثلاثة أشياء دفعة واحدة وفي وقت واحد : وظيفتك . . وزوجك . . وبيتك وكذلك موقفك السياسي . . وشريكك . . وجنسك ، ولو غيرت ثلاثة من هذه الأمور في نفس الوقت فلا بد أنك ستصاب بالجنون . . .



شراء منزل أو بيعه ليس بالعملية السهلة ، ربما تعتقد - اذا كنت مشتريا - ان الطرف الذي يملك المال أقوى في موقفه التفاوضي من الطرف الذي لديه حجر (منزل) . . وربما تعتقد - اذا كنت بائعا - ان من لديه حجر أقوى موقفا تفاوضيا من الشخص الذي لديه مال . . فأنت مخطىء في كلا الحالين . . . !

يقول الكاتب بوضوح لا لبس فيه ان معظم بائعي البيوت « لصوص » وكذلك معظم مشتريها !!

الفقراء جدا والأغنياء جدا هم الذين يؤجرون المنازل التي يسكنونها ، أما البقية - وهم معظمنا نحن الأغلبية - فنشتري المنازل التي نسكنها ، وشراء بيت أو شقة أو

المساومة أصبحت طريقة حضارية متقدمة لزيادة دخلك

بيعها ربما يكون أكبر صفقة نقوم بها لصالحنا الشخصي نحن أبناء الأغلبية ، وشراء منزل أو بيعه هو أيضا امتحان لحبك لزوجتك ، فهو يمكن أن يؤدى الى الفشل في الزواج كما يمكن أن يؤدى الى إنقاذ حياتك الزوجية من كارثة ، ومعظم أسباب الطلاق ـ كما يقول المؤلف ـ تنبع من الخلاف بين الزوجين على شراء أو بيع بيت . . وذلك في المجتمع الغربي بالطبع . .

إن كنت مشتريا لمنزل فسوف تسمع من البائع أن هناك ثلاثة على الأقل قد فاتحوه في شراء المنزل قبلك ، وإن كنت بائعا فسوف تسمع من المشتري ان هناك مجموعة من المنازل أفضل من منزلك وأقل سعرا .

بائع المنزل يقول نصف الحقيقة ، وقول نصف الحقيقة أسوأ من الكذب ، فهو يشير الى ايجابيات منزله ويتغافل عن عيوبه . . فالسيدة الكريمة التي تطوف بك حول منزلها تصف لك جماله وما يطل عليه من مناظر خلابة ، هي في حقيقة الأمر ذئب في ملابس إنسان ، لسان حالها يقول : هذه فرصة للتخلص من المنزل بأسرع وقت ممكن . أنت في حقيقة الأمر لا تهمها من قريب أو بعيد ، والابتسامة التي رأيتها منذ أن دخلت هي ابتسامة كاذبة فهي تتمنى ألاّ تراك مطلقا بعد إتمام الصفقة ودفع أغلى ثمن في منزلها .

ابتسامة المشتري أيضا يجب ألاّ تخدعك إن كنت بائعا لمنزلك فهو يريد أن يحصل عليه بأقل الأثمان ، لا تهمه ظروفك المالية أو كم دفعت في المنزل عندما اشتريته ؟ أو ما هي الاصلاحات التي قمت بها ؟

والنصائح التي يمكن أن تقدم للبائع والمشتري هي كما يلي : -

لا تقع في خطأ كشف موقفك التفاوضي ، كأن تقول : لقد حصلت على وظيفة في مدينة أخرى وأريد أن أنتقل اليها ، لذلك أنا أعرض منزلي للبيع ، أو أن عليّ ديونا أريد تسديدها ، فأنت بذلك تقع في الفخ . وأيضا ان كنت مشتريا فلا تقل بأن عليك الانتقال الى هذا الجزء من المدينة لأنه أقرب الى عملك أو أن الأولاد وأمهم يفضلون هذا الحي الهادىء . . فأنت إن فعلت ذلك وقعت في الفخ أيضا . . . . !

والإصلاح :

□ شراء منزل أو بيعه على صعوبته ليس بصعوبة إصلاحه ، فبعض المباني ليست كما خلق الله الأرض ـ كاملة غير ناقصة ـ فبعضها لا تكاد تدخلها حتى تلاحظ الشقوق في الجدران وانسداد أنابيب الماء وفيضان المجاري . . وعليك هنا بالاستعانة بمجموعة من الخبرات التي أصبحت نادرة ـ كالسباك والكهربائي والصباغ والنجار والمقاول ـ هؤلاء لا يمكن أن (تتشطر عليهم) وتدخل في مفاصلة معهم ، فمهما بدا لك انك ربحت ، فأنت الخاسر ـ كما يقول الكاتب ـ ، في إطار اصلاح المنزل أنت فقط تريد أن تخفف الضرر ما أمكن لا أن تطمع في وقفه .

حتى تستطيع أن تتجاوز مشكلات البيع والشراء والاصلاح عليك أن تضبط

عواطفك ، وألا تنساق وراء اقتراحات زوجتك أو أصدقائك ، فأنت الذي سوف تدفع في النهاية من حُرّ مالك ، حدد ما تريد بدقة ووضوح ، في حالة احتياجك لاصلاح المنزل اكتب كل التفاصيل التي تريد تغييرها ومواصفاتها أيضا وحدد برنامجا زمنيا لها ثم اطرح مناقصة صغيرة لمقاولين أو أكثر ، ولا تدفع مقدما ، فالمقاول الذي يريدك أن تدفع مقدما ربما يكون في طريقه الى الافلاس . . . والأفضل أن يفلس دون أن يأخذ نقودك معه . . . !

كذلك اطلب في منزلك أعلى ثمن عندما تريد بيعه ، واعرض أقل ثمن عندما تريد شراء بيت ، أما كم تدفع أو تقبض فيعتمد ذلك على قوتك التفاوضية وكتمان بعض الأسرار .

قوتك التفاوضية ألّا ترتبط عاطفيا بالأشياء التي تريد بيعها أو بالاشياء التي تريد شراءها أو بالناس الذين تتعامل معهم في الحالتين !!

وَشـراء سَـيّارة :

□ متى كانت آخر مرة اشتريت فيها سيارة ؟ لا بد أنك قابلت السيد (ناقص زايد) فهو ـ لافض فوه ومات حاسدوه ـ . . يقدم لك أقل سعر لسيارتك القديمة وأعلى سعر للسيارة الجديدة ، لذلك سميناه هنا (بالسيد ناقص زايد) .

الفرق بينك وبين بائع السيارات أنه يجرب قدراته التفاوضية أكثر من مرة في اليوم ، وأنت تجربها ـ إذا ما أتيحت لك الفرصة ـ مرة واحدة كل أربع سنوات أو خمس .

عندما تقرأ إعلانا في الصحف عن سيارة جديدة أو تراها في التلفاز تذهب كي تشاهدها في المعرض ، وبمجرد دخولك تقابلك على الأقل عشرون سنة من الخبرة التفاوضية تصاحبها شهية إفطار على زبون مثلك ، دعك من الشخص الأول الذي يقابلك ، فهو هنا في المعرض منذ فترة وجيزة وهو أيضا جسر . فسرعان ما يظهر السيد ناقص زايد ويعرف بطريقته الخاصة أنك زبون ممتاز ، ويبدأ بالتسخين معك .

كيف تواجه مثل هذا الموقف ؟

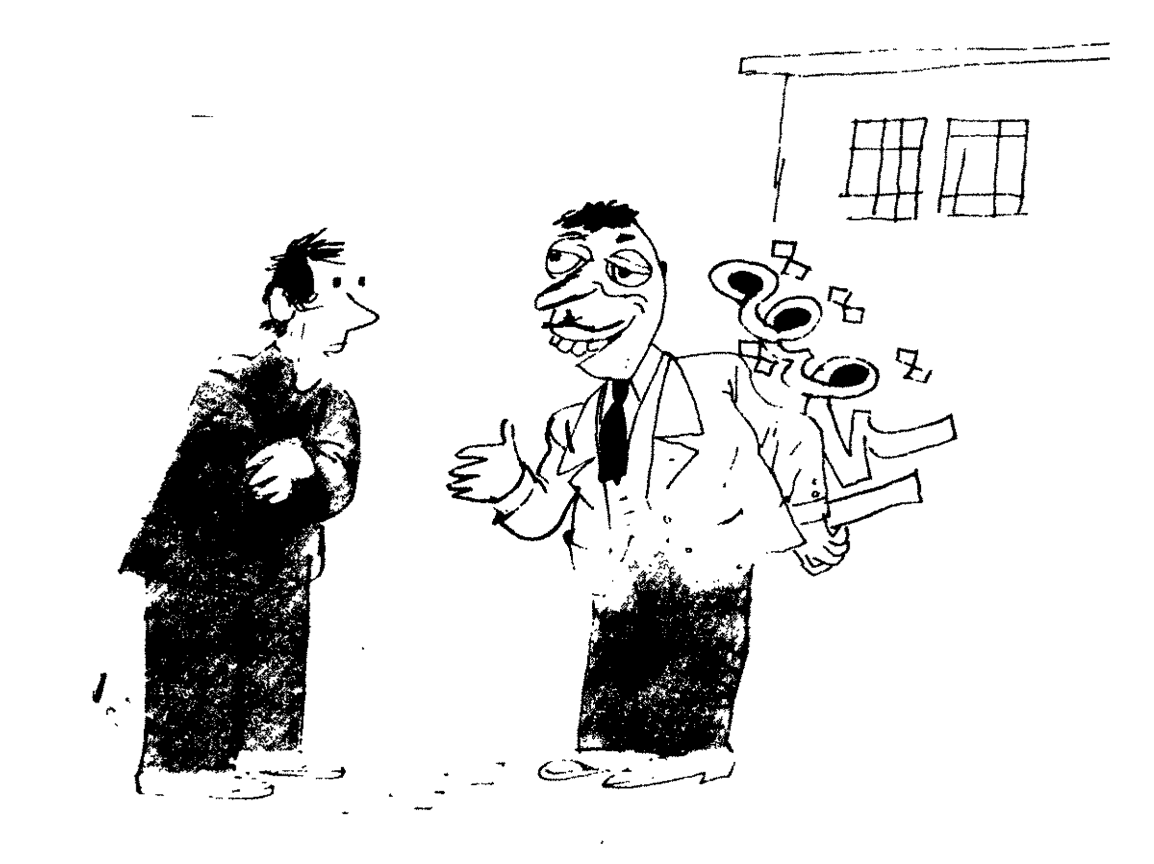
أولا : يجب أن تعترف بينك وبين نفسك ـ وهذا مهم ـ أن خبرتك في هذا المجال ناقصة ، ثم طور تكتيك التفاوض وإلا فسوف تكون تحت رحمة البائع .

قبل أن تفعل أي شيء اسأل نفسك : لماذا تريد سيارة جديدة ، هناك سببان فقط لشراء سيارة جديدة ، سبب حقيقي لأنك محتاج لها ، وسبب عاطفي أنك تريد مجرد التجديد لأنك ربما لا تستطيع أن تجدد شيئا آخر .

السبب الأول يمكن الدفاع عنه ويجعلك في موقف تفاوضي أقوى لأنه عقلاني ، أما السبب الثاني فان موقفك التفاوضي فيه ضعيف ، وغالبا ما يجعلك تدفع مبلغا أكبر في السيارة التي تريدها .



لذلك نجد أن مروجي بيع السيارات والباعة يتجهون دائما الى عاطفتك لا إلى عقلك ، وأنت ترى دائما الاعلان عن السيارات في بيئة غير تقليدية ، أمام شاطيء البحر الجميل ، أو أمام قلعة قديمة وتاريخية مصحوبة دائما بامرأة نصف مكتسية ، أو



التفاوض فن الحياة وله تكتيك لابد من معرفته

شاب وسيم لاغراء الجنس الآخر . فرجال التسويق يعرفون جيدا أن عليهم أن يخاطبوا العاطفة والولع بالسلع الفاخرة أكثر مما يخاطبون الحاجة . وغالبا ما يتغلب عليك في النهاية السيد (ناقص زايد) عندما يوهمك أن مركزك وسنك لا يسمحان لك بشراء سيارة صغيرة ليس بها من الزيادات الفنية شيء ، وينتهي في الغالب الى أنه لا يبيعك السيارة ولكن يبيعك تصورك لنفسك . . وستجد نفسك في النهاية تحاول اقناع هذا الرجل الوسيم بأنك قادر على شراء مثل هذه السيارة التي يعرضها لأنك ذو شأن في المجتمع . . فأنت تبيع نفسك له ، وهو يبيعك سيارة مرتفعة الثمن ، وتشرب فنجان القهوة وانت لا تعرف انه أغلى فنجان قهوة يمكن ان تشربه . . !

قبل أن تدخل في هذا الفخ فكر هل أنت حقيقة بحاجة الى سيارة جديدة . . أم أن سيارتك الحالية يمكن ان تخدمك لسنوات أخرى قادمة ؟

التفاوض مع الآخرين :

□ أليس كل الناس الذين تعرفهم يقنعونك بشكل او بآخر بأنهم يعرفون الحلول لكل مشكلات العالم ، فهم يعرفون حلول مشكلات التضخم ومشكلات المديونية العالمية ومشكلات نزع السلاح ، أي أن لديهم أحكاما جاهزة على كل شيء عدا شيء واحد . . هو حل مشكلاتهم الشخصية . . !!

والمفارقة ليست مغزولة فكل سكان لندن مثلا يحبون الخير للانسانية ولكنهم يكرهون بعضهم بعضا !

والكراهية التي يحملها المتعصبون لمن يخالفونهم الرأي في المذهب او السياسة أو الذوق الفني هي من طبيعة البشر ـ النساك وحدهم لا يكرهون ـ لذلك فإن مهمتك مع الناس ليست مجرد أن تعرف كيف تتعامل معهم ، ولكن ايضا ان تساعدهم في التعامل معك .

خدم المنازل مثلا هم احد القطاعات الهامة التي تتعامل معها جماعة كبيرة من الناس ، ينسى البعض انهم بشر مثلهم ، والظاهرة الملفتة للنظر ان الناس يشكون دائما من خدمهم ولكن يحتفظون بهم سنة بعد سنة ، ومعنى ذلك انهم يؤدون عملهم بشكل جيد . معاملة الخدم تظهر اسوأ ما تكون في سلوك الليبراليين ، فهم انسانيون من الخارج ومفرطون في الانانية في منازلهم .

ويعرض الكتاب مجموعة من الأفكار حول التعامل مع المساعدين في المنزل (الخدم) ، أفعالهم التي تراها من وجهة نظرك سلبية ليست بالضرورة كذلك بالنسبة لهم . . فلعلهم تعلموها من مخدومهم السابق . اشرح لهم عملهم مرة واحدة ودعهم يقومون به وحاسبهم على النتائج ولا تقف خلف ظهورهم تراقب كل حركاتهم ، لاتنههم عن التحدث مع خدم الجيران ، فأنت ان فعلت ذلك فسوف تدفعهم لهذا السلوك ، ولا تعتقد بان الخوف منك هو الذي يجعلهم يقومون بعملهم . تذكر أنهم بشر ، والبشر يستمتعون بالعمل خصوصا اذا كانوا يحصلون على أجر عنه . اذا فشلوا في اداء عملهم من وجهة نظرك فاقترح تعويضا مناسبا يستطيعون القيام به ولا ترفع عقيرتك بالصياح .

الأطفال جنس آخر :

□ أقدر المخلوقات على التفاوض هم الأطفال ، ويعتقد الأطفال أن أي شيء يريدونه في الدنيا يمكن الحصول عليه بسهولة . . العقبة الوحيدة امامهم هي والداهم ، لذلك فهو يطلبون ويصرون على طلباتهم ، وفي كثير من الأوقات يخضع الوالدان ويوافقان .



وكل الأزواج يعرفون جيدا كيف يربون الاطفال ، ولكن اطفال الآخرين لا اطفالهم ، ومن السهل ان تصادف خبيرا في تربية الاطفال في السوق أو في الحافلة او في حجرة الانتظار لدى الطبيب ، ولكن من الصعب ان تصادف من يستطيعون معالجة مشاكل اطفالهم بنجاح .

في عالم الاطفال ـ يبدو الآباء والأمهات لابنائهم منجما بلا قاع . . فكل احتياجاتهم تقدم لهم بالمجان . . الاكل والشرب والمأوى والترفيه ، والحب . . وكذلك مشاهدة التلفاز ولدى اقل فشل في اداء احدى تلك الخدمات يطلق الاطفال عقيرتهم بالصياح ، نوبات الصياح في بعض الاحيان تطلق عندما تكون الامور سائرة بشكل معقول ولكنها تطلق للانذار فحسب ، والاطفال يصمتون في حالة واحدة فقط . . هي عندما يقومون بعمل ليس من المفروض ان يقوموا به !!

الطفل يستخدم كل أسلحته التفاوضية مع والديه ويكسب المعركة

قوة الطفل التفاوضية تكمن في « عدم المساواة » في القيم بين الطفل ووالديه ، ويحدد الطفل بسرعة في سنوات نموه الأولى ماذا يحبان فيه وماذا يكرهان ، ويهدد بالاخلال بما يريدان منه حتى يحصل على ما يريد .

الاشياء التي يريدها الآباء من الاطفال قليلة الثمن لدى الطفل ، كبيرة لدى الوالدين ، لذلك فان مركز الوالدين التفاوضي يصبح ضعيفا . . !

والآباء الذين يريدون السلامة يشترون هذه السلامة بالاذعان لطلبات الاطفال ، فالطفل يحرج والديه في اوقات يختارها ، في تجمع كبير ، أو في السوق أو عندما يحضر ضيوف . . باختصار يعرف الاطفال متى يضغطون لتحقيق رغباتهم، والمشكلة معهم انه ليس هناك حدود قصوى لضغطهم ، انها ظاهرة الارهاب من الصغار تجاه الكبار ، صحيح ان بعض الآباء يجاهدون حتى لا يخضعوا لهذا الارهاب ولكن معظمهم يفشلون ، لماذا ؟

لأن العقوبات التي يهددون بها الطفل اكبر من ان يطبقوها :

- اسكت عن الصياح والا حرمتك من الاجازة ؟
- ان فعلت ذلك فسوف نذهب الى الحديقة بدونك .

وهي تهديدات سرعان ما يكتشف الصغار انها غير جدية ، لذلك فان اول درس للتفاوض مع ابنك ان تهدده بعقوبة معقولة يمكن ان تفرضها دون ان تتدخل الأم والجد او حتى الجيران والمعارف .

هناك ايضا قضية هامة ، وهي ان بعض الأمور التي تعتبرها تافهة هي هامة جدا للطفل ، فلا تتسرع في الرفض ان كان بامكانك ان تحقق الطلب وهو معقول جدا .

اذا كان لديك الصبر والوقت والاستعداد للدخول في حرب استنزاف مع طفلك ، يمكنك ان تتفاوض معه بشكل معقول ، فان لم يكن لديك الوقت والصبر فلا تدخل في صراع معه ، ان قررت ان ترفض طلبه وبدأ بالصراخ ثم وافقت له على الطلب ، فانت تعطيه الدرس الأول في الضغط عليك .

أثناء صياحه تجد نفسك تراجع الامر وتحدد اهمية ما قلته ، وتحاول ان تربح الجولة ، اما هو فانه يستمر في صراخه مستنجدا بأمه وجده وخالته ـ ان وجدت ـ وبكل الناس ضدك الى ان ترضخ .

التفاوض فن الحياة :

☐ حقيقة الأمر ان الكتاب يذهب بعيدا في موضوع المساومة أو التفاوض، فيتحدث عن التفاوض في المطعم وفي شركات الطيران وفي الفنادق ، وفي الحب وفي الطلاق وفي الزواج وفي كل العلاقات الاجتماعية . . . في كل هذه المجالات هناك تكتيك للتفاوض لابد من معرفته اذا لم تكن الحياة قد علمتك بعد خطواته ، وان قصرت عليك دروس الحياة فالكاتب يطلب منك ان تحضر الى عيادته !

ألم اقل ان الكاتب لابد ان يكون اسكتلنديا ! ☐

محمد الرميحي

"إسرائيل" واليورانيوم وأسرار عملية بلمبات !

بقلم : اللواء الركن خضر الدهراوي

« بلمبات » هو الاسم الكودي الذي اختارته المخابرات الاسرائيلية « الموساد » لعملية الاستيلاء على صفقة يورانيوم عام ١٩٦٨ ، فكيف سارت العملية ؟ وهل حصل العدو على الصفقة ؟ هذا ما يجيب عنه هذا المقال ؟

ظلت اسرائيل منذ قيامها تقبل على مضض أن يتم جانب كبير من تجارتها سرا ، لأن القائمة السوداء التي وضعها مكتب المقاطعة العربية كان لها دور كبير في هذا المجال ، فالشركات العالمية كانت تطلب من اسرائيل ، أن تكون المعاملات بينهما سرية ، لأنها تخشى من وضعها في القائمة السوداء .

ولذا كان من المحتم أن يتم جانب كبير من معاملات اسرائيل التجارية عن طريق شركات اجنبية خارجها ، يديرها أجانب متعاطفون معها ، وكان من الضروري أيضا أن تلعب المخابرات الاسرائيلية « الموساد » دورا مهما في البحث عمن يمكن أن يساعدها في الحصول على متطلباتها عن طريق الشركات الاجنبية التي تتم من خلالها المعاملات التجارية .

وبالرغم من أن الولايات المتحدة الامريكية كانت تمد « اسرائيل » بمعظم احتياجاتها من المعدات العسكرية ، الا أنه كان هناك جانب آخر يجب أن تحصل عليه « اسرائيل » من مكان آخر ، ففي عام ١٩٦٤ وقع اختيارها على شركة أسمرة كيمي الالمانية للمساعدة في الحصول على اليورانيوم ، ولهذه الشركة قصة غريبة نسردها للقارىء .

قصة غريبة !

تأسست أسمرة كيمي في مدينة فيسبادن الالمانية القريبة من فرانكفورت في ابريل ١٩٥٢ كشركة بين هيريرت شولزن وهيريرت سكاري ، وكانت الشركة تقوم بصناعة وبيع المنظفات الصناعية ، أو بمعنى أدق كانت تشتري مكونات الصابون وتخلطها ثم تعبئها وتبيعها ، ولم يكن لدى الشركة مكان لتقوم بأعمال أكثر من هذا ، لأن مقرها كان عبارة عن حجرتين تطلان على فناء صغير ، وفي أوائل الستينيات ، وبمساعدة اثنين من رجال التسويق الممتازين ، تمكنت الشركة من الحصول على عقود لتوريد انتاجها الى القواعد العسكرية الامريكية الموجودة في المانيا ، كما أصبح للمشتركين علاقات صداقة ممتازة مع المسئولين بمكتب التموين التابع للجيش الألماني .

وفي عام ١٩٦٢ دفع هيريرت سكاري بالشركة الى العمل في مجال انتاج المواد المضادة للتلوث النووي ، وحصلت الشركة من المراجع العسكرية السوفيتية على تركيبات مختلف السوائل المضادة لغاز الاعصاب ، والغاز الحارق والغبار الذري المشع .

وبحلول عام ١٩٦٤ كان لشركة اسمرة كيمي مركز ممتاز في سوق المستلزمات الدفاعية ، الى جانب اتصالاتها الواسعة في المجالات الصناعية والعسكرية .

كان هيريرت شولزن هدفا ممتازا للموساد ، وكان يعاني من أثر اصابة قديمة في أثناء الحرب العالمية الثانية ، عندما أصيب في رأسه اصابة خطيرة في احدى المعارك الجوية ، وظل اثر الجرح يسبب له آلاما متزايدة على مدى السنين التالية ، ونصحه الأطباء عام ١٩٦٤ بضرورة اجراء عملية جراحية .

وبعد العملية تلقى دعوة من مصنع للأثاث في تل أبيب لقضاء فترة النقاهة ، و خلال الزيارة نظمت له المخابرات زيارة لمعهد وايزمان للابحاث ، وعندما عاد الى فيسبادن كان قد شفى تماما من ذكريات جرحه ، حاملا معه ذكريات جديدة حارة ، وكتابا مصورا عن « اسرائيل » وضعه أحد معارفه الاسرائيليين الجدد .

ولم يمض وقت طويل حتى أدت زيارة شولزن « لاسرائيل » الى تلقي شركة أسمرة كيمي طلبيات من شركات اسرائيلية ، جاء بعضها مباشرة ، وبعضها عن طريق شركات المانية أخرى ، وكانت هذه عمليات تجارية بحتة ، ومن بينها طلبيات تتعلق بمادة كيميائية تستخدم في صناعة المنسوجات .

في يونية ١٩٦٧ حدثت تغييرات في الشركة ، حيث سلم هيريرت سكارى البالغ من العمر سبعين عاما السلطة الفعلية في الشركة الى شولزن ، وبعدها مباشرة بدأت عمليات الشركة مع « اسرائيل » تأخذ الطابع العسكري الخالص ، فقد زودت الشركة الجيش الاسرائيلي بعدد ٣٠٠ جهاز لمقاومة التلوث ، وبعدها حاولت الشركة أن تبيع « لاسرائيل » معدات للتصوير من الجو .

حصلت الشركة على أكبر صفقة تم ابرامها مع « اسرائيل » في عملية انتزاع ٢٠٠ طن من اكسيد اليورانيوم من أحد المعامل بأوروبا ، فقد وصل أمر توريد اليورانيوم الى مقر الجمعية العامة في بروكسل في مارس ١٩٦٨ ، وهذه الجمعية تابعة لمنظمة عملاقة أخرى هي الجمعية البلجيكية العامة ، ذات المصالح والاهتمامات المتنوعة التي تمتد من الاعمال المصرفية الى الشحن ، الى صناعة الورق الى التعدين ، وقد ورد الأمر الخاص باليورانيوم الى دينس دويز رئيس قسم اليورانيوم في الجمعية .

وكان من ضمن الشركات القائمة بجانب الجمعية شركة التعدين العملاقة « انيون منير » التي كانت القوة الكامنة وراءاستعماربلجيكا للكونغو ، وتمكنت من شحن كميات ضخمة من

اكسيد اليورانيوم الى بلجيكا ، وتم تخزين هذه الكميات في مخزن بالقرب من قرية تقع الى الشرق من انتوبرت ، وكانت الجمعية العامة للمعادن تجد صعوبة في ايجاد مشترين لتصريف هذه الكمية من اليورانيوم .

وعندما تلقت الجمعية الطلبية التي تتكلف عدة ملايين من الدولارات من شركة أسمرة كيمي ، لم يكن أحد في الجمعية قد سمع بهذه الشركة من قبل ، ومن الطبيعي أن ديويز كان مهتما بالتعرف على مدى قدرة هذه الشركة المجهولة على الدفع وجاء رد الشركة ليؤكد الثقة بها .

فقد كانت المبالغ اللازمة قد أودعت بالفعل في مصرف بزيورخ ، وصدق البنك على ما قالته الشركة ، ولكن أحدا في الجمعية لم يكن قد سمع بهذا البنك . وطلبت الجمعية اجراء تحريات بشأن المركز المالي للبنك ، وعندما جاءت نتيجة التحريات مرضية قالت الجمعية انها سوف يسعدها أن تتعامل مع شركة أسمرة كيمي .

الخديعة

كان شولزن يصرح بأن الهدف من الصفقة هو أن شركته تنوي انتاج البتروكيماويات على نطاق واسع ، وأنها بحاجة الى اليورانيوم لاستخدامه كوسيط في بعض عملياتها الانتاجية ، ولكن الحقيقة خلاف ذلك ، فاليورانيوم يتطلب معالجة معينة ، قبل أن يصبح من الممكن استخدامه كوسيط كيميائي ، وقد أخبرت شركة أسمره مستر ديويز بأنها اتفقت مع شركة « شيماجار » للمواد الكيماوية ، ومقرها الدار البيضاء في المغرب ، على معالجة اليورانيوم ، ثم اعادته بعد المعالجة الى فيسبادن ، لقد كان هناك تعامل بالفعل بين شركة أسمرة وشركة شيمار جار ، الا أن هذا التعامل كان قد توقف منذ فترة طويلة ، وكان اختيار شركة شيماجار فكرة ذكية ، لأنه لو انكشف اختفاء اليورانيوم ، فان مسئولية الحادث تقع على الوطن العربي لا « اسرائيل » .

قال ديويز في هذا الوقت ، ان شركةأسمرة قد تجاهلت بأن المانيا عضو بالسوق الأوروبية المشتركة ، وان أي تحركات أو نقل لليورانيوم بين دول السوق الست كانت تتم تحت رقابة وكالة تابعة للسوق تسمى « يوراتوم » ، كما أن تصدير اليورانيوم ولو بصفة مؤقتة للمعالجة الى دولة خارج السوق كان يستلزم الحصول على اذن من الجهاز التنفيذي الأعلى في السوق (اللجنة الاوروبية) ، ولذا حذر ديويز شركة أسمرة من أن الحصول على اذن بتصدير اليورانيوم الى الدار البيضاء لن يكون مسألة سهلة ، ولن يتم بسرعة ، وأفادت شركة أسمرة بأنها ستبحث عن شركة اخرى داخل السوق الأوربية المشتركة ، وكيفية التسليم وغيرها من المسائل التي سيتم تذليل عقباتها .

كانت المفاوضات حتى صيف ١٩٦٨ تتم بالمراسلة أو عن طريق التليفون ، مما جعل الجمعية العامة للمعادن جاهلة بحقيقة شركة اسمرة ، ولذا اقترح ديويز زيارة شولزن في فيسبادن لاجراء المفاوضات النهائية وجها لوجه ، وكانت الزيارة في مقر شركة أسمرة مشكلة صعبة ، لأن ديويز سيرى بنفسه ذلك الفناء المؤدي الى المدخل الضيق للشركة ، وسيدرك استحالة أن يكون لدى الشركة مكان يكفي لتخزين ٢٠٠ طن من اليورانيوم ، واستخدامها بأي صورة من الصور .

لكن شولزن بخبرته الطويلة كرجل تسويق تصرف باسلوب لبق للغاية ، فدعا ديويز الى منزله الواقع وسط تلال مليئة بأشجار الصنوبر في قرية هتنهاين ، على مسافة عشرة أميال من فيسبادن ، والمجهز على الوجه الأكمل بحمام السباحة الموجود فيه ، والكراج بسياراته

الثلاث ، وتم اللقاء بحضور عدد من الرجال حسبهم ديويز من العاملين بالشركة ، وكانوا يتحدثون بالالمانية فيما بينهم ، بينما المفاوضات كانت بالانجليزية ، وعندما أثيرت مشكلة الشركة المغربية أعلن شولزن أنه وجد شركة أخرى في ميلان يمكن أن تتولى الأمر ، واقترح وسيلة النقل بالبحر ، اذا لم تكن هناك مشكلة بسبب ابتعاد شحنة اليورانيوم عن أراضي السوق الأوروبية المشتركة لفترة من الوقت ، وأفاد ديويز بأنه لاتوجد مشكلة لأن الرحلة لاتمثل تصديرا لليورانيوم خارج دول السوق الأوربية المشتركة ، وأوضح ديويز أنه عند عودته الى بروكسل ، ستقوم الجمعية العامة للمعادن بصياغة عقد وتحويله الى وكالة « يوراتوم » للتصديق عليه ، وكان لحسن حظ شولزن أن الجمعية العامة للمعادن لم يكن لديها فضول للتحقق من ماهية شركة أسمرة ، كما أنها لم تهتم بالشركة الايطالية « سايكا » التي اختارها شولزن بسبب صداقة قوية عمرها عشرون عاما ، كانت تربطه بصاحبها فرانشيسكو سيتوريو، ولم تكن شركة « سايكا » ناجحة تماما في بيع الصبغات لشركات صناعة المنسوجات ، وعندما وصل شولزن الى ميلان عام ١٩٦٨ حاملا اقتراحه ، لم يكن فرانشيسكو وشركته في حالة تسمح برفض هذا العرض ، وكانت هناك مخاوف ، لأن شركة سايكا لم يكن لديها معمل لمعالجة اليورانيوم ، كما أن فرانشيسكو لم يكن لديه أدنى فكرة عن العملية المطلوب اجراؤ ها على اليورانيوم ، لكن شولزن طمأنه بأنه سيبعث بارشادات وتعليمات مكتوبة مع اليورانيوم .

وعند عودة دنيس ديويز من فيسبادن الى بروكسل لتنفيذ الطلبية ، كان هناك فصل آخر من التمثيلية المتقنة تدور أحداثه في زيورخ ، ففي ١٩ أغسطس ١٩٦٨ ، تم تفويض مكتب خاص في زيورخ لمثل هذه العمليات ، وبعد ٢٤ ساعة من تفويض المحامي ، تم تسجيل شركة ملاحية ليبيرية تحت اسم بيسكاين تريدرز كوربوريشن ، ومديرها بورهام ياريسال كما هو مبين في السجلات الليبيرية .

مراحل التنفيذ

في أواخر أغسطس عام ١٩٨٦ ، طلب ياريسال من سمسار البواخر « ميلر » في هامبورج » شراء سفينة حمولة ١٥٠٠ طن ، وبعد ثلاثة أسابيع عرض مولر سفينة الشحن « شيرزبرج » حمولة ٢٦٠٠ طن ، وتم شراؤ ها بمبلغ ١٦٠ ألف استرليني ، ودفع ثمنها عن طريق بنك هامبورج ، وأصبح لدى شركة بيسكاين تريدرز سفينة بعد خمسة أسابيع من تكوينها ، وتمت الصفقة بسرعة أثارت دهشة مالكي السفينة شيرزبرج ، وهم أصحاب احدى شركات الملاحة في هامبورج ، وقد دار بخلد المسئولين في هامبورج أن شيرزبرج ربما تستخدم في تهريب الاسلحة ، كما تراءى للبعض أنها سوف تستخدم في أي عمل مريب .

ولكي تكتمل التمثيلية المتقنة ، طرد ياريسال بحارة السفينة شيرزبرج في اليوم التالي ، وأحضر مجموعة من البحارة نقلوا من سفن أخرى مملوكة لياريسال ، ولم يصل القبطان الجديد الذي عينه ياريسال الا يوم ٨ اكتوبر ، وفي اليوم التالي ٩ اكتوبر بدأت السفينة شيرزبرج التي سميت شيرزبرج رحلة طويلة الى الجنوب يرفرف عليها العلم الليبيرى ، حاملة شحنة توجهت بها الى ميناء نابلي ، ورغم عدم علم البحارة، فان هذه الرحلة كانت « البروفة » النهائية للعملية ، وبعد اتمام الرحلة الى نابلي تلقى بحارة شيرزبرج - ١ أنباء تفيد بأن ياريسال باع السفينة ، وأن ملاكها الجدد يريدون أن يضعوا عليها بحارة وقبطانا آخر من التابعين لهم ، وتم تنفيذ ذلك بمجرد وصول السفينة الى روتردام يوم ١١ نوفمبر ١٩٦٨ ، حيث تلقي البحارة أجورهم وتركوها .

تصميم محكم

في ١٥ نوفمبر ١٩٦٨ ، غادرت السفينة شيرزبرج ـ ١ روتردام في طريقها الى انتويرب لشحن اليورانيوم ، وكان الشيء الغريب ظهور هيريرت شولزن فجأة على ظهر السفينة ، ودون سابق اعلان ، مهتما بكل شيء يتعلق بالشحنة ، حتى أنه كان يقوم بالتتميم على البراميل ، والشيء الغريب أيضا أن عدد البحارة كان محدودا للغاية ، فقد كانوا نصف العدد المعتاد ، وبعد دقائق من منتصف ليلة الأحد ١٧ نوفمبر ١٩٦٨ أبحرت شيرزبرج ـ ١ وبداخلها ٢٠٠ طن من أكسيد اليورانيوم المعبأ في براميل مكتوب عليها « بلمبات » وهو الاسم الكودي الذي اختارته الموساد للعملية ، وكانت الوجهة المعلنة للسفينة هي جنوة ، لكنها لم تصل قط الى هناك ، وفي ٢ ديسمبر ١٩٦٨ ظهرت السفينة في ميناء الاسكندرونة التركي ، وقال القبطان لسلطات الميناء ان السفينة فارغة ، الأمر الذي لم يكن صحيحا ، وبعدها أخذ القبطان وبحارته السفينة الى بالرمو بصقلية واختفوا تماما .

ومرة أخرى عاد ياريسال ووضع البحارة القدامى على السفينة ، وكان هذا الاجراء محيرا ، مما أثار فضول البحارة لمعرفة المكان الذي ذهبت اليه السفينة خلال الشهر الذي غابوه عنها ، وراجعوا السجلات ووجدوا الصفحتين الأخيرتين منزوعتين .

وفي أواخر ١٩٦٩ اجتمع المسئولون من أعضاء السوق الأوربية سرا لبحث الموضوع وقرروا اغلاق ملف القضية والابقاء على سريتها ، وكان لدى البعض الشك في أن اسرائيل هي المسئولة عن العملية ، وأن السفينة شيرزبرج ـ ١ قد اتجهت الى مكان بالقرب من قبرص ، وأن الشحنة نقلت في البحر الى سفينة أخرى ، وأن الوجهة النهائية لشحنة اليورانيوم هي ديمونا ، حيث يوجد المفاعل الاسرائيلي في بيرشيا بصحراء النقب ، وبواسطة هذا المفاعل يمكن تحويل اليورانيوم الى البلوتونيوم الذي تصنع منه القنابل النووية .

ولكن الحكومة الاسرائيلية تنفي مسئوليتها عن الموضوع باستمرار منذ تسرب هذه القصة ، وفي يولية ١٩٧٣ بعد خمس سنوات من حادث شيرزبرج اعترف عميل « اسرائيل » الذي يدعى « دان أربل » بدوره في هذه العملية بعد القاء القبض عليه هو وخمسة اسرائيليين في النرويج ، واتهامهم بالتجسس والاغتيال .

وكشف العميل النقاب عن أن السفينة شيرزبرج شاركت في عملية اسرائيلية أخرى بعد عام واحد من عملية اليورانيوم ، حيث استخدمت في نقل الوقود لتموين الزوارق الخمسة التي اختطفتها « اسرائيل » من ميناء فرنسي يوم عيد الميلاد عام ١٩٦٩ ، برغم الحظر الذي فرضته فرنسا على تصدير الاسلحة لها .

وختاما للحديث عن استحواذ « اسرائيل » على اليورانيوم ، من الضروري أن نورد الجملتين الآتيتين في حديث « أربل » للمحقق النرويجي ، فقد قال أربل أنني كنت امتلك شيرزبرج ـ ١ ، فتساءل المحقق ثم ماذا ، وكان رد اربل انها قد حملت اليورانيوم الى « اسرائيل » .

وهكذا فشل المسئولون في وكالة الرقابة الأوربية « يوراتوم » في ضبط صفقة شركة « أسمرة كيمي » بسبب الانشقاق السياسي داخل السوق الأوروبية المشتركة ، وبسبب رفض الحكومات الأوربية الاذعان للضوابط التي وضعتها يوراتوم ، كما أن الصفقة اجازها محام لايفهم في الأمور المتصلة بالطاقة النووية ، عندما اكتفى بحديث غير رسمي جرى بينه وبين « ديويز » نائب مدير الجمعية العامة للمعادن .

■ في حياة كل امرأة قصتان . . الأولى ماضيها والثانية مستقبلها مع الزوج والأطفال . . وهي تتطلع دائما الى هذا المستقبل !
« أندريه موروا »



بقلم : الدكتور جابر ابي جابر*

كان الجهد في بداية انتشار الاسلام ينصب على تعليم لغة القرآن الكريم للشعوب المسلمة ، لكن بعض الشعوب الاسلامية وغير الاسلامية وقفت اللغة في طريقها للوصول الى معاني القرآن الكريم وتدبرها . فلجأ بعض الدارسين لترجمة الآيات الكريمة الى لغات الأقوام الجديدة .

فما الذي حصل في روسيا القيصرية ، ثم في الاتحاد السوفييتي بالنسبة لترجمات القرآن والمراحل التي مرت بها هذه الترجمات ؟

ترجع أولى المعلومات الكتابية التي استقتها روسيا عن الاسلام وكتابه الى القرن الحادي عشر الميلادي ، وبين أهم المصادر كانت كتب التاريخ والمؤلفات البيزنطية التي تتناول الاسلام من زاوية جدالية فتعطي تصورا مشوها عن جوهره وتعاليمه وتاريخه ، ولذا كانت الأعمال التاريخية والأدبية الصادرة باللغة الروسية تطفح ، طوال قرون عديدة ، بالروايات الخيالية الأسطورية حول الرسول العربي (عليه الصلاة والسلام) وتعاليم الدين الاسلامي .

ولكن مع تنامي الصلات التجارية والدبلوماسية بين روسيا وبلدان الشرق الاسلامي ، أخذت تتكون تدريجيا في أذهان الروس أفكار وتصورات أكثر موضوعية عن المسلمين ، فقد كان التجار والرحالة والحجاج والمبعوثون الدبلوماسيون الروس يعودون الى بلادهم حاملين معهم شهادات صحيحة وواقعية نسبيا عن حياة الشعوب الاسلامية ودينها وتاريخها المعاصر والقديم ، وقد احتوت شهادات هؤلاء ومذكراتهم وصفا مفصلا للمساجد والطقوس والأعياد الاسلامية ، ومعلومات وافية حول الأحكام والمبادىء الأساسية للدين الاسلامي .

* باحث وكاتب عربي ، حاصل على دكتوراة من الاتحاد السوفييتي .

أواخر القرن الخامس عشر

في أواخر القرن الخامس عشر ترجم الى اللغة الروسية كتاب يتضمن وصفا مسهبا للمدينتين الاسلاميتين المقدستين مكة والمدينة ، ومعلومات مستوحاة من سيرة النبي العربي (عليه الصلاة والسلام) ، وفي القرون ١٥ ـ ١٧ ازداد ـ الى حد كبير ـ عدد المؤلفات الروسية المكرسة للدين الاسلامي التي تعطي تصورا أقرب الى المنطق وأكثر موضوعية عن جوهر الدين الاسلامي وتعاليمه ، كما تناولت هذه الأعمال تاريخ البلدان الاسلامية الواقعة على تخوم روسيا الشرقية والجنوبية .

وقد تركز الاهتمام الرئيسي على ترجمة ودراسة القرآن الكريم باعتباره كتاب المسلمين المقدس ، والمصدر الأعلى للعقيدة والتشريع في الدين الاسلامي ، هذا بالاضافة الى كونه وثيقة تاريخية بالغة الأهمية .

زد على ذلك متطلبات التعامل مع مسلمي البلاد ، الذين يشكلون قطاعا ملحوظا من رعايا الامبراطورية الروسية ، والذين كانوا بحاجة ماسة الى قراءة القرآن بلغتهم الأم .

ففي أوساط التتار بليتوانيا ، الذين كانوا ينسون تدريجيا لغتهم الأصلية ، جرت ما بين القرنين الخامس عشر والسابع عشر عدة محاولات لترجمة القرآن الى لغتهم الأم الجديدة ـ اللغة البيلوروسية ،

وان مخطوطات القرآن الواردة من ليتوانيا ، والمحفوظة حاليا في مكتبة كلية الاستشراق بجامعة لينينغراد ،

تتضمن الى جانب النص العربي ترجمة موازية بين السطور الى اللغة البيلوروسية مكتوبة بأحرف عربية ، وفي أواخر القرن السابع عشر ظهرت أول دراسة باللغة الروسية مكرسة خصيصا للقرآن الكريم ، وقد أعدت للأمير بطرس (الذي أصبح فيما بعد امبراطور روسيا ـ بطرس الأكبر) ولأخيه الأصغر ايفان ، وجدير بالذكر أن هذه الدراسة بالذات أوحت الى بطرس الأكبر في وقت لاحق ، بضرورة انجاز ترجمة كاملة للقرآن الى اللغة الروسية .

جهود بطرس الأكبر

والى جانب العوامل الأنفة الذكر جاء التطور الواسع للصلات التجارية والدبلوماسية مع بلدان الشرق في عهد بطرس الأكبر ، والحروب الطويلة التي خاضتها روسيا في أيامه ضد الامبراطورية العثمانية وايران الصفوية ، فأعطت زخما جديدا لدراسة الشرق الاسلامي دراسة منتظمة ، ويساهم بطرس الأكبر شخصيا بقسط وافر في تنظيم مثل هذه الأبحاث ، فقد جهزت ، بمبادرة منه ، بعثات علمية لجمع المخطوطات والنقوش والمسكوكات العربية ،

وجرت في عهده أول محاولة في روسيا لتأسيس مدرسة خاصة لتعليم اللغات الشرقية ، بما في ذلك اللغة العربية ، كما أوعز بطرس الأكبر بانشاء دائرة للاشراف على جمع وحفظ الأعمال والاثار المادية والروحية لحضارات شعوب الشرق ، ظهر على أساسها ، بعد مئة عام « المتحف الأسيوي » الذي أصبح أول مركز للاستشراق العلمي في روسيا ،

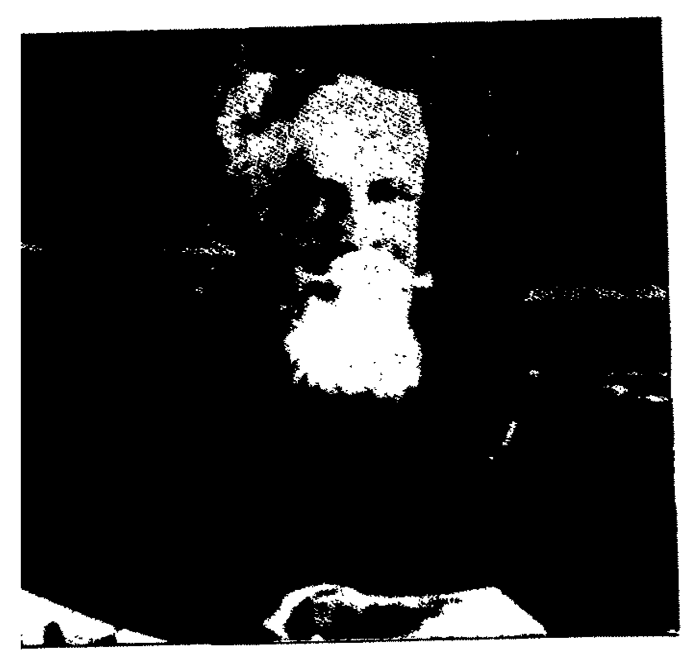
وفضلا عن ذلك ، وبأمر من هذا القيصر ، انجزت أول ترجمة روسية كاملة للقرآن الكريم ، طبعت في بطرسبورغ (لينينغراد حاليا) عام ١٧١٦ وصدرت بعنوان « قرآن محمد أو القانون التركي » ، وقد قام بالترجمة العالم الروسي المعروف بيوتر بوسنيكوف الذي عاش في أواخر القرن السابع عشر ، وأوائل القرن الثامن عشر ، وتلقى علومه في ايطاليا . وقد اعتمد بوسنيكوف على أول ترجمة فرنسية للقرآن ، التي أنجزها المستشرق والدبلوماسي الفرنسي أندريه دي رير ، وصدرت في باريس عام ١٦٤٧ . وكانت ترجمة دي رير هذه تتمتع في حينها بسمعة طيبة وشهرة كبيرة ، فأعيدت طباعتها عدة مرات ، واستند اليها في ترجمة القرآن الى لغات أوروبية أخرى ، وحافظت على مكانتها المرموقة ، الى أن نحتها جانبا ترجمة جديدة ، أدق وأكمل ، قام بها المستشرق نيكولاي سافاري ، ونشرت في باريس عام ١٧٨٣ ، وقد اكتسبت ترجمة دي رير أهمية إضافية نظرا لأن الترجمتين الروسيتين التاليتين للقرآن الكريم ، اللتين ظهرتا في القرن الثامن عشر ، اعتمدتا عليها بالذات .

ولكن ترجمة بوسنيكوف للقرآن ، على أهميتها ، كانت بعيدة جدا عن روح النص العربي الأصلي ومضمونه ، ولم يقتصر الأمر على تكرار التشويهات الكثيرة ، التي تضمنتها الترجمة الفرنسية ، بل أضيفت اليها أخطاء عديدة ، ناجمة عن عدم استيعاب المترجم للنص الفرنسي الاستيعاب المطلوب ، وضعف اطلاعه على مبادىء الاسلام وتعاليمه .

وجدير بالذكر انه بعد بضعة أشهر فقط من صدور ترجمة بوسنيكوف ، تمت ترجمة روسية ثانية للقرآن ، نقلت عن النص الفرنسي ذاته ، وجاءت أكثر وضوحا ودقة ، ولكنها لم تنشر للأسف وبقي أسم صاحبها مجهولا . أما المخطوطة نفسها فلم يعثر عليها الا في مطلع القرن العشرين ، وذلك في شمال روسيا ، وقد ساهمت ترجمة بوسنيكوف في جذب اهتمام العلماء الروس الى دراسة القرآن ، ومن ذلك أن بطرس الأكبر قد عهد بوضع موجز لمضمون القرآن وكتابة بحث عن سيرة الرسول العربي (عليه الصلاة والسلام) الى صديقه الحميم الكاتب دمتري كانتيمير ، الذي عاش مدة طويلة في تركيا ، فكان حسن الاطلاع على أصول الدين الاسلامي ، وجيد المعرفة بعدة لغات شرقية ، وخاصة اللغتين العربية والتركية ، وخلال القرن الثامن عشر ظهرت مؤلفات عديدة حول الاسلام ، نبيه وكتابه ، ولقيت هذه الأعمال رواجا واسعا في أوساط القراء الروس ، مما انعكس في اعادة طباعتها مرات ومرات ، وتحت تأثيرها بدأت تظهر في المجلات والصحف الروسية لمحات من تاريخ العرب ، ونصوص مترجمة من المؤلفات النثرية والشعرية العربية .

للمرة الاولى

وفي عام ١٧٨٧ ، وللمرة الأولى في روسيا ، نشرت مطبعة اكاديمية العلوم ببطرسبورغ النص العربي الكامل للقرآن ، وكان ذلك بأمر من الامبراطورة كاترين الثانية بمناسبة زيارتها الى شبه جزيرة القرم (وكانت قد ضمتها الى روسيا) أملا في أن تساهم هذه المبادرة في استمالة رعاياها الجدد من التتار المسلمين ، وقد قام الشيخ التتري عثمان



اغناطيوس كراتشكوفسكي

ابراهيم باعداد النص وتزويده بالشروح والتعليقات ، وتمت طباعته بحروف عربية مسكوكة خصيصا لهذا الغرض ، بحيث حافظ النص على الخط الذي كتبت به المخطوطة ، والذي يعود الى واحد من أشهر النساخين المسلمين في ذلك العصر ، ويعتبر أفضل الكتابات العربية الموجودة آنذاك في أوروبا ، وجاءت هذه ثالث طبعة للقرآن باللغة العربية في العالم ، وفاقت في جودة الطبع الطبعتين الأوروبيتين السابقتين ، فاستأثرت بالشهرة .

وأعيدت طبعة القرآن هذه في الأعوام ١٧٨٩ و ١٧٩٠ و ١٧٩٣ و ١٧٩٦ و ١٧٩٨ . وأمكن لها ، بعد وصولها الى أوروبا ، أن تزيح من طريقها ، الى حد ما ، الطبعات القديمة التي قام بها ماراتشي وهنكلمان ولقيت استحسانا كبيرا لدى كبار المستشرقين الغربيين ، مثل سيلفستر دي ساسي وكريستوف شنورير ، أما في روسيا فقد شكلت أساسا لكافة طبعات القرآن اللاحقة التي ظهرت في القرن التاسع عشر .

وفي عام ١٨٠٠ صدر قرار بالغاء القيود التي كانت تفرض في السابق على نشر المؤلفات الدينية الاسلامية في روسيا ، وعقب ذلك افتتحت في مدينة قازان أول

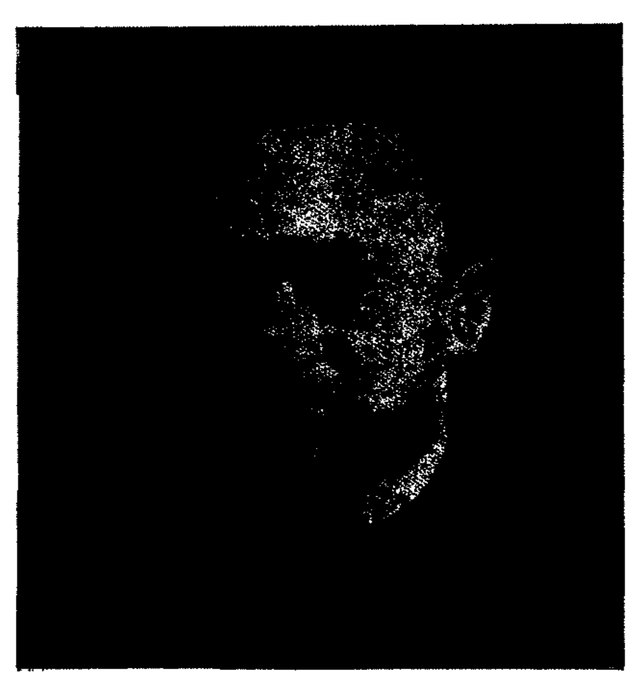
مطبعة للكتب الاسلامية ، اعتمدت فيها الحروف العربية التي نقلت من مطبعة أكاديمية العلوم ببطرسبورغ . ونشرت مطبعة قازان خلال السنوات الأولى من تأسيسها (٤١٢٠٠) نسخة من النص الكامل للقرآن ، وفيما بعد وصل عدد النسخ الصادرة خلال الأعوام (١٨٤٣ ـ ١٨٥٢) فقط الى (٢٣٦٠٠) نسخة ، ثم ان عدد المصاحف التي صدرت ما بين عامي ١٨٥٣ و ١٨٥٩ عن مطبعة قازان الرئيسية وبعض المطابع الخاصة هناك قد بلغ (٨٢٣٠٠) نسخة ، والجدير بالذكر أن جميع هذه الطبعات اعتمدت على طبعة بطرسبورغ الأولى (١٧٨٧) ، وقد لقيت رواجا واسعا لا في أوساط مسلمي روْسيا فحسب ، بل في خارج روسيا أيضا .

وفي أواخر القرن التاسع عشر راحت هذه الطبعات تقلد في مختلف أرجاء العالم الاسلامي ، تركيا ومصر والهند ، بالاضافة الى شبه جزيرة القرم « بقجة صراي » في روسيا نفسها .

وعقب ظهور الطبعة الأولى للنص العربي للقرآن صدرت الترجمة الروسية الثالثة (عام ١٧٩٠) التي اعتمدت أيضا على ترجمة دي ريير الفرنسية القديمة ، وقد قام بهذه الترجمة الأديب الروسي المعروف ميخائيل فيريوفكين (١٧٣٢ ـ ١٧٩٥) الذي عمل في حينه مديرا لمدارس قازان الابتدائية والمتوسطة ، وبفضل جهوده ومساعيه الحثيثة أدخل تعليم اللغات الشرقية في هذه المدارس ، وبعد سنتين صدرت في بطرسبورغ الترجمة الرابعة للقرآن (ثالث ترجمة مطبوعة) التي أنجزها المترجم المحترف الكسي كولماكوف (ت ١٨٠٤) من اللغة الانجليزية اعتمادا على ترجمة المبشر الانجليزي جورج سال التي كانت أكثر كمالا وأدق من الترجمة الفرنسية .

دور مهم

وبين هاتين الترجمتين قدر لترجمة فيريوفكين أن تلعب دورا مهما في تاريخ الأدب الروسي ، اذ استطاع المترجم ـ الذي كان كاتبا ومؤلفا مسرحيا موهوبا ـ أن يضفي على ترجمته مزايا وسمات أدبية رفيعة ، جذبت اهتمام العديد من الكتاب الروس نحو القرآن ، وكان بين هؤلاء الشاعر الروسي العظيم الكسندر بوشكين ، الذي أحس احساسا



المستشرق فاسيلي بارتولد

عميقا بشاعرية القرآن البديعة الزاهية وبلاغته الرائعة ، واعترف بان القرآن كان أول كتاب ديني يثير مشاعره ويشحذ خياله ، وفي هذه الفترة كان بوشكين منفيا في جنوب روسيا ، وكان آنذاك متأثرا بالاتجاه الرومانسي ، ولكن اطلاعه على حياة الشعب عن كثب وتعرضه للملاحقة والاضطهاد دفعه الى التوجه نحو الأدبيات الانسانية الرصينة ، يستشف منها الطريق الصحيح للخروج من أزمته الروحية ، وكان القرآن من المصادر الأساسية التي تتبعها ودرسها في تلك الفترة الحرجة من حياته ، والتي توّجت بانتقاله الى المدرسة الواقعية .

ان قراءة القرآن في ترجمته الروسية التي أنجزها فيريوفكين قد ألهمت بوشكين نظم واحدة من أشهر قصائده ـ « من وحي القرآن » . وقد قام فيها بصياغة شعرية لنص قرآني يضم ٢٣ آية . وتذكرنا هذه القصيدة بسورة النجم وغيرها من السور التي ترد فيها صورة متعددة للقسم ، وقد استطاع الشاعر الروسي الكبير أن يعبر عن المضمون الديني ـ الفلسفي للقرآن بلغته الشعرية الفنية ، ثم ان هذه القصيدة مهدت الطريق ، وللمرة الأولى في الأدب الروسي ، نحو الفهم الصحيح للقرآن ، وساعدت ـ الى حد كبير ـ

على تزايد الاهتمام به في أوسع أوساط القراء الروس .

ولكن الترجمات القديمة لم تعد قادرة على اشباع هذا الاهتمام المتزايد ، ناهيك عن أنها أصبحت في ذلك الوقت تحفة بيبلوغرافية نادرة ، ولذلك فقد صدرت في عام ١٨٦٤ بمدينة موسكو ترجمة جديدة للقرآن قام بها ايفان نيكولاييف ، وقد تمت الترجمة استنادا الى الترجمة الفرنسية المشهورة آنذاك ، التي وضعها المستشرق والدبلوماسي المعروف البولوني الأصل كازيميرسكي ، والتي صدرت بباريس في عام ١٨٤٠ ، وعلى مدى القرن التاسع عشر كله حافظت ترجمة نيكولاييف على رواجها الواسع في روسيا ، كما كانت عليه الحال في فرنسا بالنسبة للنص الفرنسي للقرآن ، فقد أعيدت طباعتها خمس مرات خلال أقل من نصف قرن (١٨٦٤ ، ١٨٦٥ ، ١٨٧٦ ، ١٨٨٠ ، ١٩٠١) ، وفي الوقت نفسه كانت هذه آخر ترجمة للقرآن يقوم بها مترجم غير مستعرب .

لقد لعبت الترجمات السابقة ، رغم عيوبها ، دورا ايجابيا ، اذ اتاحت للقارىء الروسي فرصة التعرف عن كثب الى القرآن ، فساعد ذلك في ازالة التصورات الخاطئة والخرافية حول الاسلام وكتابه وشخصية الرسول العربي صلى الله عليه وسلم وسيرته ، وهي التصورات التي جاءت الى روسيا كما ذكرنا آنفا ، عن طريق أسفار التاريخ اليونانية القديمة والمؤلفات المسيحية الجدالية .

جهود بوغسلافسكي

وفي السبعينيات من القرن التاسع عشر وضعت في آن واحد تقريبا ترجمتان للقرآن تمتا من اللغة العربية مباشرة ، وانجزتا بشكل مستقل احداهما عن الأخرى ، ففي عام ١٨٧١ فرغ الجنرال دمتري بوغسلافسكي (١٨٢٦ ـ ١٨٩٣) من اعداد ترجمة روسية جديدة للقرآن من اللغة العربية مباشرة ، ولكنها لم تنشر ، والمعروف أن بوغسلافسكي حصل على معرفة واسعة في مجال الاستعراب أثناء دراسته في كلية الاستشراق بجامعة بطرسبورغ وعمل سنوات عديدة ملحقا عسكريا بالآستانة ، وكانت له اهتمامات كبيرة ومتعددة الجوانب في قضايا الاستشراق ، كما كانت تربطه علاقات وصلات حميمة مع شخصيات اسلامية وعربية عديدة مثل الأديب السوري رزق الله حسون (الذي قدم له نسخة مطبوعة من ترجمته العربية لحكايات الشاعر الروسي الشهير ايفان كريلوف مع اهداء شعري مكرس له) ، وكان بوغسلافسكي قد عكف على ترجمة القرآن اثناء اقامته في تركيا ، وتميزت ترجمته بدقة متناهية وبحاسة أدبية فائقة ، فنالت في حينها التقدير الرفيع والاستحسان الكبير لدى نقاد صارمين ، مثل فكتور روزين واغناطيوس كراتشكوفسكي ، ولكن بوغسلافسكي علم عقب عودته الى روسيا ، انه صدرت في العام نفسه (١٨٧٨) بقازان ترجمة روسية جديدة للقرآن من اللغة العربية أنجزها غوردي سابلوكوف (١٨٠٤ ـ ١٨٨٠) مما جعله يتخلى عن نشر ترجمته الخاصة التي قضى في اعدادها سنوات كثيرة .

وهكذا فان الفضل في نشر أول ترجمة روسية مباشرة من اللغة العربية للقرآن يعود الى سابلوكوف الذي دفعه ولعه الكبير واهتمامه الواسع بالشرق الى تعلم عدة لغات شرقية بصورة فردية دون معلم ، واستطاع أن يحتل مكانة مرموقة في تاريخ الاستشراق الروسي ، وبين مؤلفاته وأبحاثه اللغوية والتاريخية والأثرية العديدة تشغل الأعمال المتعلقة بدراسة القرآن مكانا رئيسيا ، اذ كرس سابلوكوف حياته كلها للعمل على ترجمة القرآن ، ففرغ منها في سن الرابعة والسبعين ، واستقبلت هذه الترجمة بارتياح واعجاب من قبل المستعربين في روسيا ، وأعيدت طباعتها بعد وفاته في العامين ١٨٩٤ و١٩٠٧ ، وقد ارفقت الطبعة الأخيرة بالنص العربي للقرآن ، وكتب لهذه الترجمة بالذات أن تلبي حاجات العلم ومتطلبات المجتمع في روسيا آنذاك .

مصحف الخليفة عثمان

وفي عام ١٩٠٥ صدرت ببطرسبورغ طبعة (تصوير) لمصحف الخليفة عثمان المعروف الذي جرى نسخه في مطلع القرن الثامن الميلادي ، وقد أثارت هذه الطبعة اهتماما كبيرا نظرا للقيمة التاريخية التي تتمتع بها تلك النسخة ، وعلى تخوم القرنين

In the name of God, Most Gracious, Most Merciful.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

1. Ha Mim.

١ ـ حٰمٓ ○

2. The revelation
Of the Book
Is from God
The Exalted in Power,
Full of Wisdom.

٢ ـ تَنْزِيْلُ الْكِتٰبِ مِنَ اللهِ
الْعَزِيْزِ الْحَكِيْمِ ○

3. We created not
The heavens and the earth
And all between them
But for just ends, and
For a term appointed:
But those who reject Faith
Turn away from that
Whereof they are warned.

٣ ـ مَا خَلَقْنَا السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ
اِلَّا بِالْحَقِّ وَاَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ
وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا
عَمَّآ اُنْذِرُوْا مُعْرِضُوْنَ ○

4. Say: "Do ye see
What it is ye invoke
Besides God? Show me
What it is they
Have created on earth,
Or have they a share
In the heavens?
Bring me a Book

٤ ـ قُلْ اَرَءَيْتُمْ مَّا تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ
اللهِ اَرُوْنِيْ مَاذَا خَلَقُوْا مِنَ الْاَرْضِ
اَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمٰوٰتِ ۗ
اِيْتُوْنِيْ بِكِتٰبٍ

5. And who is more astray
Than one who invokes,
Besides God, such as will
Not answer him to the Day
Of Judgment, and who
(In fact) are unconscious
Of their call (to them)?

٥ ـ وَمَنْ اَضَلُّ
مِمَّنْ يَّدْعُوْا مِنْ دُوْنِ اللهِ
مَنْ لَّا يَسْتَجِيْبُ لَهٗٓ اِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ
وَهُمْ عَنْ دُعَآئِهِمْ غٰفِلُوْنَ ○

6. And when mankind
Are gathered together
(At the Resurrection),
They will be hostile
To them and reject
Their worship (altogether)!

٦ ـ وَاِذَا حُشِرَ النَّاسُ
كَانُوْا لَهُمْ اَعْدَآءً
وَّكَانُوْا بِعِبَادَتِهِمْ كٰفِرِيْنَ ○

7. When Our Clear Signs
Are rehearsed to them,
The Unbelievers say,
Of the Truth
When it comes to them:
"This is evident sorcery!"

٧ ـ وَاِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِمْ اٰيٰتُنَا بَيِّنٰتٍ
قَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لِلْحَقِّ
لَمَّا جَآءَهُمْ ۙ هٰذَا سِحْرٌ مُّبِيْنٌ ○

8. Or do they say,
"He has forged it"?
Say: "Had I forged it,
Then can ye obtain
No single (blessing) for me
From God. He knows best
Of that whereof ye talk
(So glibly)! Enough is He

٨ ـ اَمْ يَقُوْلُوْنَ افْتَرٰىهُ ۗ
قُلْ اِنِ افْتَرَيْتُهٗ فَلَا تَمْلِكُوْنَ لِيْ مِنَ
اللهِ شَيْئًا ۗ
هُوَ اَعْلَمُ بِمَا تُفِيْضُوْنَ فِيْهِ ۗ كَفٰى بِهٖ

التاسع عشر والعشرين بالذات ظهر القسم الأعظم من الأعمال المكرسة لدراسة الاسلام والقرآن باللغة الروسية . فصدرت الدراسات المتخصصة التي قام بها كبار المستعربين الروس مثل فكتور روزين (١٨٤٩ ـ ١٩٠٨) وفيتالي غيرغاس (١٨٣٥ ـ ١٨٨٧) وفاسيلي بارتولد (١٨٦٩ ـ ١٩٣٠) وأغناطيوس كراتشكوفسكي (١٨٨٤ ـ ١٩٥١) والكسندر شميت (١٨٧١ ـ ١٩٣٩) وأغافانغل كريمسكي (١٨٧١ ـ ١٩٤١) وترجمات أعمال المستشرقين الغربيين الى اللغة الروسية ، ونشر في تلك الفترة عدد ضخم من الدراسات والمقالات التعريفية الاستعراضية عن القرآن والنبي العربي (عليه الصلاة والسلام) والاسلام عموما ، كما اتسع نطاق حركة الطباعة والنشر والصحافة الاسلامية في روسيا خلال السنوات المذكورة فانتشرت المطابع العربية في مدن الامبراطورية الروسية وبخاصة بطرسبورغ وقازان وايرنبورغ وباكو وتفليس وتيميرخان شورا وطشقند ، وجرت آنذاك محاولات لترجمة القرآن الى اللغتين الاذربيجانية والتترية بغية تلبية حاجات مسلمي روسيا القيصرية الذين لا يتقنون اللغة العربية اتقانا كافيا ، ففي عام ١٩١١ أنجز الأديب المعروف موسى بيغينيف أول ترجمة للقرآن الى اللغة التترية ، ولكن لم يكمل نشرها نظرا لاحتجاجات رجال الدين الاسلامي ، جريا على العرف الذي يحرم على المسلمين قراءة القرآن مترجما ومع ذلك نشر محمد كامل تحفة الدين في عام ١٩١٤ بقازان ترجمة كاملة للقرآن الى اللغة التترية مرفقة بالنص الأصلي ، أما بالنسبة لعدد الطبعات العربية للقرآن التي أصدرتها المطابع المذكورة فانه غير قابل للحصر ، ولكن كافة هذه الطبعات الى جانب الطبعات اللاحقة (مدينة اوفا ١٩٢٣ و ١٩٦٣) ظلت تستند الى نص الطبعة القازانية القديمة التي بقيت معتمدة حتى طبعة طشقند عام ١٩٦٠ (وقد قامت في صلبها الطبعة المصرية المعتمدة ـ ١٩١٩ ، ١٩٢٣ ، ١٩٢٨) .

وضمن المؤلفات العديدة حول القرآن التي ظهرت في العهد السوفيتي يمكن أن نذكر أعمال بارتولد « الاسلام » و « مسيلمة » و « القرآن والبحر » و « حول مسألة الرسالة المحمدية » و « محمد » وغيرها وكذلك الدراسات القيمة للمستعربة كسينيا كاشتاليفا (١٨٩٧ ـ ١٩٣٩) المكرسة لشرح المصطلحات القرآنية ولغة وأسلوب القرآن ، بالاضافة الى مقالات البروفسور اسحاق فينيكوف حول رسالة النبي العربي (عليه الصلاة والسلام) وتفسير بعض الآيات القرآنية .

دور كراتشكوفسكي

وفي عام ١٩٦٣ صدرت بموسكو عن « دار النشر باللغات الأجنبية » الترجمة الروسية للقرآن التي قام بها من اللغة العربية المستشرق الكبير أغناطيوس كراتشكوفسكي ، وكانت فكرة الاستعاضة عن ترجمة سابلوكوف بترجمة جديدة كاملة تلبي متطلبات العلم المعاصر قد راودت كراتشكوفسكي منذ مطلع القرن العشرين ، فقد نشر في عام ١٩١١ مقالة تتضمن تصحيحات لبعض الأخطاء المطبعية وغير المطبعية الواردة في الطبعة العربية التي أصدرها المستشرق الألماني غوستاف فلوغيل بمدينة لايبزغ عام ١٨٤٢ .

كما القى كراتشكوفسكي في عام ١٩١٥ أول محاضرة له حول القرآن في كلية اللغات الشرقية بجامعة بطرسبورغ .

وقد وضع كراتشكوفسكي في عام ١٩١٧ عرضا شاملا لمجموعة مخطوطات القرآن المحفوظة في المتحف الأسيوي (فرع لينينغراد لمعهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم السوفيتية حاليا) ونشر في الاعوام ١٩٢٢ ـ ١٩٢٥ عدة مقالات وأبحاث عن تاريخ ترجمات القرآن في القرون ١٥ ـ ١٧ الى اللغة البيلوروسية في أوساط التتار القاطنين بليتوانيا ، وفي عام ١٩٣٠ صدرت مقالة له حول معنى كلمة « نجم » في القرآن ، وخلال الفترة الواقعة بين العامين ١٩٣٤ و ١٩٤٠ كتب كراتشكوفسكي بعض المقالات حول ترجمتي بوسنيكوف وبوغسلافسكي المذكورتين آنفا .

وكان كراتشكوفسكي قد أعرب في عام ١٩١٩ عن عزمه على وضع ترجمة جديدة للقرآن ونشرها في اطار « مكتبة الأداب العالمية » التي كان يشرف على اصدارها آنذاك الكاتب الشهير مكسيم غوركي . وقد شرع كراتشكوفسكي عام ١٩٢١ بترجمة القرآن من اللغة العربية مباشرة وأخذ في الوقت نفسه بالقاء سلسلة منتظمة من المحاضرات حول القرآن ، استمر فيها حتى الأيام الأخيرة من حياته .

وقد قضى كراتشكوفسكي في ترجمة القرآن الى اللغة الروسية تسع سنوات ، ففرغ من اعداد مسودته في عام ١٩٣٠ ، غير أن ذلك لم يكن سوى المرحلة الأولى من هذا العمل الضخم ، ففي السنوات اللاحقة تابع عمله وهو يدرس بتمعن مجموعة كبيرة من المصادر الأوروبية والعربية حول القرآن ، فان عدد الاستشهادات المستخدمة في الشروح والتعليقات التي زود بها الترجمة الروسية للقرآن قد بلغ حوالي ٤٠٠ مرجع .

لقد استخدم كراتشكوفسكي في ترجمته للقرآن كافة طرق ومناهج العلوم اللغوية المعاصرة ، واتبع في دراسته القرآن اسلوب كبار الفقهاء والمفسرين المسلمين في القرون الهجرية الأولى ، ومن أجل فهم التراكيب اللغوية للقرآن والمفردات والتعابير الواردة فيه لجأ كراتشكوفسكي الى نصوص الشعر الجاهلي وبخاصة دواوين شعراء أواسط وشرق الجزيرة العربية الذين عاصروا الرسول (عليه الصلاة والسلام) وكذلك المجموعات الأولى للأحاديث الشريفة . ولكن المنية وافته قبل أن ينجز عمله كاملا ، ومع ذلك نشرت بعد وفاته ترجمته للقرآن في عام ١٩٦٣ ، وهذه الترجمة من حيث الدقة وطريقة دراسة النص لا تقتصر على كونها أفضل من كافة الترجمات الروسية الأخرى ، بل تفوق بمزاياها العديد من ترجمات القرآن الأوروبية ، القديمة منها والحديثة .

ويرى المستعربون السوفيت أن الأبحاث المتعاقبة التي أجريت في الاتحاد السوفيتي خلال السنوات الأخيرة حول الاسلام توفر المقدمات الضرورية لتحقيق حلم كراتشكوفسكي في وضع ترجمة أدبية كاملة للقرآن مزودة بالشروح والتعليقات اللازمة .

وعلى هذا الطريق تأتي اعادة طبع ترجمة كراتشكوفسكي مشفوعة بهوامش جديدة خاصة بالتعديلات والتصحيحات المقترحة لبعض أماكن الترجمة ، كما يقوم المستشرق محمد نوري عثمانوف رئيس قسم « الادبيات والآثار الشرقية » بمعهد الاستشراق في موسكو باعداد ترجمة جديدة للقرآن ويلقي ، في الوقت نفسه ، محاضرات حول القرآن على غرار المحاضرات التي كان يلقيها كراتشكوفسكي في لينينغراد ، خلال العشرينيات والثلاثينيات من القرن الحالي ، وطبيعي أن صاحب هذه الترجمة سيستفيد من الخبرة الغنية لترجمة القرآن ودراسته في روسيا . □



بين الهوى والوطن

شعر : الدكتور عيسى درويش

عيناكِ من خُضرِ المروجِ تلوَّنتْ … فرأيتُ في سحرِ العيونِ بلادي
تختالُ في الدوح الجميلِ بلابلٌ … مزدانةً بأساورٍ وقلاد
ترتاحُ في حضن الطبيعة مثلما … يرتاح قلب الأم للأولاد
تتمايلين وملءُ ثغرك بسمةٌ … تعطي القريضَ عذوبةَ الانشاد
سحرُ الهوى في مقلتيك ـ كلاهما … شوق المحبِّ وصدُّك المتمادي
والشَّعْرُ يفرقه النسيم ضفائرا … كالصبح يولدُ بعد ليل سواد
مثل السنابلِ توأمان كأنما … جاءا على بشرٍ وفوق جماد
تاج الشموخ على جبينك سيرةٌ … تحكي السيوفِ ملاحمَ الأجداد
مُر الهوى حلوٌ اذا بذل الفتى … للحب كلَّ عزيمةٍ وجلاد
صنوُ الورود اذا تزين غصنها … بالشوك صارت حلوةَ الأورادِ
والناهدان المترفان تسابقا … مثل المها ينزلن نحو الوادي



يرتاح في الحضن الحنون مسافرٌ ... أضناه طول تغرُّبٍ وبعادِ

والباسقاتُ من الغصون تراقصت ... لمّا خطرت بقدكِ الميادِ

تزهين مثلَ الشمس في ألقِ الضحى ... فيطيب عزف العود ـ للعوّادِ

وتجود دالية الكروم بخمرها ... امّا ترنم في الخميلة شادي

لله ما أحلى التفردُ بالهوى ... ان كان حب عقيدة وجهادِ

وطني الهوى .. والعشق وجهُ حبيبةٍ ... حبّانِ قد جمعا بلا أضدادِ

يشقى المحبُّ .. اذا تواصل حبُّهُ ... وأراك فيه سعادتي وسُعادي

حمل الأمانة كالجبال ضخامةً ... وانا الضعيف بقوتي وعنادي

فخذي الأمانةَ .. كم يعذب حملُها ... وليعطها الابناء للأحفاد

وطني ويا عشقي .. فأنت حبيبتي ... فلقد وهبتك مهجتي وفؤادي

ربّاه لم أحمل ذنوبي كارها ... إن المحبة غايتي ومرادي

فلأجزيَنَّ بما فعلت فإنني ... في وصلِ من أهوى على ميعادِ



في المجتمعات القبلية

بقلم : الدكتور محمود سلام زناتي*

كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن الأزمة السكانية والانفجار السكاني ، وأصبح تزايد السكان مشكلة تؤرق الكثيرين سواء على مستوى الدول أو الأفراد . لكن هذه المشكلة ليست حديثة العهد كما قد يتبادر الى الذهن ، بل انها قديمة قدم المجتمعات البشرية نفسها ، والمقالة التالية تعرض لبعض طرق تنظيم النسل في المجتمعات القبلية .

ان أساس الأزمة السكانية هو عدم تناسب التزايد السكاني مع الامكانيات الاقتصادية المتاحة في مجتمع ما ، وهذه المشكلة لم تظهر للمرة الأولى في وقتنا الحاضر ، بل كانت قائمة أيضا في المراحل الأولى للتطور البشري ، ولعل الجديد فيها هو أنها اكتسبت أبعادا لم تكن لها فيما مضى .

فحتى في أبسط المجتمعات البشرية تطورا ، وهي المجتمعات التي تعتمد في تحصيل قوتها على الجمع والقنص ، تثور مشكلة تحقيق التوازن بين عدد أفراد الجماعة وبين أسباب العيش المتاحة . ونظرا لعدم توافر امكانية زيادة الموارد الاقتصادية في هذه الجماعات ، فقد لجأت الى البديل الحتمي ، وهو عدم السماح بتزايد السكان الا في حدود الامكانات الاقتصادية المتوفرة ، ولذا كان من الطبيعي أن تتجه أعداد السكان في هذه المجتمعات الى الثبات والاستقرار .

ونفس الشيء يصدق بالنسبة للمجتمعات الأكثر تطورا ، وهي المجتمعات التي تمارس الزراعة البسيطة أو الرعي .

* عميد كلية الحقوق بجامعة اسيوط ج . م . ع .

وقد نتساءل والحال هذه عن الكيفية التي استطاعت هذه المجتمعات بمقتضاها أن توفق بين الزيادة في عدد السكان وبين الامكانات الاقتصادية المحدودة ، وللاجابة على هذا التساؤل نقول ان هذه المجتمعات تعرف عديدا من الاجراءات والعادات ، تستهدف الحد من تزايد السكان تزايدا كبيرا ، وهو ما جرت العادة ، في الوقت الحاضر ، بتسميته وسائل تنظيم الأسرة أو وسائل ضبط النسل .

ومن الممكن تقسيم هذه الوسائل الى وسائل تستهدف منع الحمل ، وأخرى تستهدف الاقلال من فرص الحمل ، وثالثة تستهدف التخلص من الجنين ، ورابعة تستهدف التخلص من المولود ، وخامسة تستهدف الاقلال من مصادر النسل .

وقد عرفت المجتمعات القبلية بعضا من الوسائل التي تستهدف منع الحمل ، من هذه الوسائل وسائل من الممكن أن نسميها وسائل سحرية ، حيث لا ارتباط بينها وبين منع الحمل في الواقع ، فهي وسائل تستند الى مجرد الخرافة ، ولا أثر لها على الاطلاق في منع الحمل ، والوسائل الخرافية ، في المجتمعات القبلية كثيرة ومتنوعة ، وليس من المستغرب أن نجد بعضا منها بين وسائل منع الحمل .

ويغلب اللجوء الى هذه الوسائل السحرية في حالة الاتصال الجنسي بين أشخاص غير متزوجين ، وبهدف الحؤول دون أن يفضي هذا الاتصال الى حمل .

لكن المجتمعات القبلية تعرف وسائل أخرى ، أكثر فعالية في تحقيق منع الحمل .

وثمة مناسبات معينة يتطلب العرف فيها الحؤول دون حمل المرأة ، وأهم هذه الحالات وأكثرها شيوعا هي حالة كون المرأة مرضعا ، ففي الغالبية العظمى من المجتمعات القبلية ، يتطلب العرف الحؤول دون أن تصبح المرضع حاملا قبل فطام طفلها الرضيع ، ولهذا يتطلب العرف من الزوج ممارسة العزل خلال مدة الرضاع التي تتراوح عادة بين سنتين وثلاث سنين .

فلدى البمبا مثلا يمتنع الزوج عن الاتصال بزوجته بعد الولادة ، والى فطام الطفل ، ومع ذلك يجوز للزوج ، بعد بضعة شهور وبعد القيام بشعيرة خاصة ، أن يستأنف الاتصال الجنسي المقترن بالعزل .

الطوارق ، في الصحراء الكبرى ، مثلا يرون في الحمل تحقيقا لارادة الله وحدها ، بمعنى أن الحمل يحدث عندما يشاء الله له أن يحدث ، ومع ذلك فهم يقرون بعلاقة السببية بين الاتصال الجنسي والحمل ، ولا يشكون مطلقا في أن المرأة لا يمكنها أن تحمل دون اتصالها برجل

ويجري العرف في كثير من المجتمعات القبلية بحظر العلاقات بين الزوجين في مناسبات متعددة ، وتختلف هذه المناسبات من قبيلة الى أخرى ، غير أن منها وسائل على جانب كبير من الشيوع ، ومن الواضح أن الاقلال من فرص الاتصال الجنسي بين الزوجين يقلل بدوره من فرص الحمل ، وليس من الممكن القول ، بطبيعة الحال ، أن حظر الاتصال الجنسي في كل هذه الحالات يستهدف بطريق مباشر الاقلال من فرص الحمل ، ولكننا نقول ان حظر الاتصال الجنسي بين الزوجين ، في بعض المناسبات ، يستند الى اعتبارات متنوعة ، ويستهدف تحقيق غايات متباينة ، غير أن هذا الحظر يترتب عليه عملا الاقلال من فرص الحمل ، فأيا كان الباعث وراء الحظر ، فان نتيجته العملية هي الاقلال من فرص الحمل .

الحداد والاتصال الجنسي

ومن الشائع في الأعراف القبلية حظر الاتصال الجنسي خلال فترة الحداد ، فأقارب الميت يحظر عليهم كل اتصال جنسي خلال فترة معينة هي فترة الحداد التي قد تطول وقد تقصر تبعا للقبائل ، ويقتضي الأمر عادة القيام بشعيرة معينة على سبيل التطهير ، قبل أن يحل للرجل استئناف النشاط الجنسي ، ومن شأن هذه العادة أن تؤدي ، اذا كان الرجل متزوجا ، الى الاقلال من فرص الاتصال بزوجته ، والاقلال بالتالي من فرص حملها .

من ذلك مثلا أن الفندا ، في جنوب أفريقيا ، يحظرون على الرجل الذي فقد قريبا ، أو ساعد في

دفن شخص ولو لم يكن قريبا ، الاتصال بأية أنثى مدة شهر أو شهرين ، الى أن تقام شعائر التطهير اللازمة ، والتي تستهدف استبعاد شبح الميت .

يجري العرف ، لدى كثير من القبائل ، بحظر الاتصال الجنسي بين الزوجين اذا كانت الزوجة ما زالت ترضع طفلا ، وتتفاوت فترة الرضاع طولا وقصرا تبعا للقبائل ، وهي تتراوح عادة بين سنتين وثلاث سنين ، ومع ذلك فقد تصل لدى بعض القبائل الى خمس سنين ، والهدف من حظر الاتصال الجنسي بين الزوجين ، خلال فترة الرضاع ، هو تجنب ولادة طفل جديد والطفل السابق ما زال رضيعا ، ويسود الاعتقاد ، لدى القبليين بأن ولادة طفل ، أثناء فترة رضاع طفل سابق ، سوف تؤدي الى اصابة الطفل السابق بالعته أو المرض أو الموت

وفي كثير من المجتمعات القبلية لا يسمح للزوج مطلقا بالاتصال بزوجته المرضع ، وفي البعض منها يسمح له بذلك ، لكن يتطلب العرف منه تجنب التسبب في حمل زوجته المرضع ، عن طريق العزل .

فلدى الفندا ، في جنوب أفريقيا ، لا يعاود الرجل الاتصال بزوجته الا بعد مضي سنة على الأقل على الولادة ، وقد لا يعاود الرجل الاتصال بزوجته قبل فطام وليدها ، أي لمدة قد تصل الى خمس سنين .

ولدى الكبسجي عندما تلاحظ المرأة انقطاع طمثها ، تبلغ زوجها ، وعندئذ تتوقف العلاقات الجنسية بينهما منذ هذه اللحظة ، وبمجرد أن تشعر الزوجة بآلام المخاض ، يغادر الزوج الكوخ ولا يعود اليه الا بعد انقضاء شهر الولادة ، غير أن الاتصال الجنسي بينهما لا يستأنف قبل مضي عام ، أي بعد فطام الطفل .

وفي داهومي لا يتصل الزوجان جنسيا الا بعد مضي ستة شهور على الأقل على الولادة ، وفي كثير من الحالات لمدة سنة ، وعندما يكون للزوج زوجات أخريات ، لا يتصل بزوجته المرضع طيلة فترة الرضاعة ، وهم يعتقدون أنه اذا حدث حمل عقب الولادة بقليل ، فان هذا المولود الجديد سوف يولد مريضا ومصيره الموت .

ولدى البمبا (في زامبيا وزمبابوي) من واجب الزوج الامتناع عن الاتصال الجنسي العادي بزوجته بعد الولادة والى حين فطام الطفل ، ومع ذلك فان من الممكن له أن يستأنف الاتصال بزوجته اتصالا مقترنا بالعزل عقب الولادة ببضعة شهور ، ومخالفة هذا الحظر تهدد - في اعتقادهم - حياة الطفل الرضيع ، واذا خولف الحظر ومات الطفل عُدَّ الأب مسؤ ولا عن موته ، وحق لأقارب زوجته مطالبته بتعويض .

العزل الجنسي والفروسية

كذلك يجري العرف ، لدى معظم القبائل النيجيرية ، بمنع الزوج من معاشرة زوجته الى حين فطام طفلها ، ويرى ميك أن هذا العرف لا يستهدف تحقيق مصلحة الطفل الرضيع ، بقدر ما يستهدف استمرار البيت في نشاطه ، فاذا عجزت الزوجة ، بسبب وجود طفلين غير مفطومين ، عن القيام بواجباتها المنزلية ، مثل اعداد الطعام لزوجها أصبح الوضع غير محتمل .

ولدى الارابش (في غينيا الجديدة) تنقطع العلاقات بين الزوجين منذ الشهور الأخيرة للحمل ، والى أن يبدأ الطفل في السير على قدميه

كذلك جرت عادة العرب قبل الاسلام بحظر الاتصال الجنسي بين الزوجين أثناء كون الزوجة مرضعا ، وهو ما يعرف بالغيلة ، فقد كانوا يعتقدون أن اتصال الزوج بزوجته أثناء قيامها بارضاع طفل من شأنه أن يلحق بهذا الطفل الرضيع أبلغ الضرر ، وأن من شأن هذا الضرر أن يلازمه طيلة حياته ، وقد كانوا ينسبون شجاعة الفارس واقدامه الى أن أمه لم تكن لها علاقة جنسية بأبيه أثناء فترة الرضاعة .

وبالاضافة الى هاتين المناسبتين اللتين يحظر العرف فيهما الاتصال بين الزوجين ، واللتين نجدهما لدى كثير من المجتمعات القبلية ، هناك مناسبات أخرى يحظر فيها العرف أيضا الاتصال بين الزوجين ، وان لم يكن لها نفس الشيوع .

فلدى الفندا يحظر العرف على الرجل معاشرة زوجته في حالة وجود حداد في الأسرة ، كما يحظر عليه ذلك أيضا عندما يكون له أبناء في كوخ الختان ، أي أبناء سوف تجري لهم عملية الختان ، وقبيل القيام بحملة قنص قبلية ، وكانوا يعتقدون أن مخالفة الحظر في هذه الحالة الأخيرة تستتبع اتجاه الحيوانات المفترسة اليه بصفة خاصة فتقتله أو تتسبب في اصابته

ولدى الايلا اذا مرض رجل أو امرأة وجب عليه الامتناع عن الاتصال الجنسي والا ازداد المرض سوءا ، كذلك من واجب المرأة التي تقوم بعمل الجعة ، أن تمتنع عن المعاشرة الجنسية والا ما اختمرت الجعة ، كذلك تمتنع المرأة عن كل اتصال جنسي قبل بذر حقولها خشية عدم انبات البذور ، واللاتي يقمن بدق الحنطة من واجبهن الامتناع في الليلة السابقة على بدء العمل ، كذلك على الرجل الذي يزمع القيام بسفرة أن يمتنع عن كل اتصال جنسي في الليلة السابقة ، والا حالفه سوء الحظ ، كذلك على الرجال الذين يزمعون الذهاب الى صيد السمك ، أو نصب الفخاخ ، أو حفر الآبار من أجل الماشية ، أن يمتنعوا عن كل اتصال جنسي في الليلة السابقة ، وعلى الرجال الذاهبين الى الحرب أن يمتنعوا تماما عن الاتصال بالنساء منذ الاعداد للحرب ، وقيام أطباء القبيلة بتحصين المحاربين ، ومخالفة هذا الحظر تعني حتما الموت في الحرب ، وربما تؤدي الى الحاق كارثة بالجيش .

الاجهاض في المجتمعات القبلية

من الوسائل التي يلجأ اليها القبليون للتخلص من حمل غير مرغوب فيه الاجهاض ، وهناك أسباب عديدة تدفع الى الاجهاض في المجتمعات القبلية .

في مقدمة هذه الأسباب الرغبة في التخلص من حمل سابق على الزواج ، ففي بعض المجتمعات القبلية لا يؤثم الرأي العام العلاقات السابقة على الزواج ، ولو أدت الى حمل ، ولا يرى الراغب في الزواج عيبا بالفتاة أن يكون لها ولد أو اثنان من علاقتها بشاب آخر ، بل قد يغبطه ذلك ، باعتبار أنه دليل لا شك فيه على خصوبة الفتاة .

غير أن معظم القبائل تؤثم تقاليدها كل اتصال سابق على الزواج . وبخاصة اذا تمخض عنه حمل ، وفي بعض هذه القبائل الأخيرة تتعرض الفتاة الحامل للقتل ، وحتى اذا لم يجر العرف بقتل الفتاة ، فان وجود ولد لها من علاقة سابقة على الزواج من شأنه أن يقلل فرصتها في زواج مناسب ، أو في الزواج أصلا ، وحتى في حالة زواجها فمثل هذه الفتاة لا يدفع من أجلها عادة سوى مهر قليل القيمة ، ومن هنا نفهم حرص أسرة الفتاة والفتاة نفسها التي تحمل من علاقة سابقة على الزواج على التخلص من هذا الحمل غير المرغوب فيه ، كذلك قد نلجأ الى الاجهاض امرأة متزوجة حملت من علاقة غير مشروعة ، فلكي تتجنب ما قد يؤدي اليه هذا الحمل من تعقيدات ، تعمد الى الاجهاض ، كذلك قد تلجأ الى الاجهاض الزوجة التي تبغض زوجها ، ولا ترغب في الانجاب له ، ويكون ذلك عادة بمثابة تمهيد للانفصال بين الزوجين .

وتتفاوت المجتمعات القبلية في موقفها من الاجهاض ، فمنها ما يحظر الاجهاض مطلقا ، ويعاقب عليه ان حدث ، وسواء وقع من امرأة متزوجة أو غير متزوجة ، ومنها ما يتسامح في شأن اجهاض يقع من فتاة أو امرأة غير متزوجة ، ولا يتسامح في شأن اجهاض يقع من امرأة متزوجة ، وفي هذه المجتمعات يستتبع الاجهاض الذي يقع بارادة الزوجة اعطاء الزوج الحق في تأديبها ، وقد يعطيه الحق في مطالبة أهلها بتعويض عن الضرر الذي لحق به بسبب حرمانه من المولود .

فلدى قبائل الأوفامبو في جنوب أفريقيا كان الحمل السابق على الزواج يعد عارا قوميا ، واذا اكتشف حمل فتاة من علاقة سابقة على الزواج ، كانوا يأخذونها الى الغابة ، حيث يوثقون اليها بعض حزمات من العشب ، ثم يحرقونها وهي حية ، وكان الرجل الذي تسبب في حالتها يعامل بنفس الكيفية .

ولدى الهوتنتوت في جنوب غرب أفريقيا أيضا تتوصل النساء اللاتي لا يرغبن في الحصول على أولاد ، الى تحقيق غايتهن عن طريق الاجهاض الذي يشيع الالتجاء اليه ، ويمارس الاجهاض بصفة خاصة في حالة الحمل غير المشروع ، وعندما يكتشف الاجهاض تقدم المرأة ومن عاونها الى مجلس القبيلة الذي كان يأمر بجلد كل منهن أربعين جلدة . وكانوا يسمحون لعشيق المرأة اذا أراد أن يتحمل منها عشرين .

طرق التخلص من الجنين

وتعرف المجتمعات القبلية وسائل متعددة للتوصل الى الاجهاض ، منها مثلا ما يجري به العرف ، لدى قبائل الاوفامبو من الدق دقا عنيفا أسفل بطن الحامل ، باستخدام مدقات خشبية ثقيلة ، أو بشد

البطن شدا محكما بحبل من الليف .

ومنها ما يجري به العرف ، لدى النيانكولي ، من مد قطعة من القماش فوق اطار كبير من الخشب ، كما لو كان المقصود هو تبخير الفتاة الحامل ، وتدخل الفتاة الحامل تحت هذا الاطار ، حيث وضعت جمرة تحترق فوقها عشب معين ، ويستتبع الدخان الناجم من حرق هذا العشب مرض الفتاة وبالتالي الى اجهاض الفتاة لا محالة بعد زمن قصير

يجري العرف ، في كثير من المجتمعات القبلية ، كما سبق أن رأينا ، بالحؤول دون ولادة طفل قبل فطام طفل سابق ، ويتوصل العرف الى تحقيق هذه النتيجة بحظر العلاقات بين الزوجين حظرا كاملا خلال فترة الرضاع ، أو بحظرها خلال مدة معينة ، والسماح بها بعد ذلك على أن تقترن بالعزل .

ومع ذلك قد يحدث حمل قبل فطام الطفل الرضيع ، وفي هذه الحالة قد يفطم الطفل الرضيع اذا كان قد قارب سن الفطام ، أما اذا كان الوقت ما زال مبكرا على فطامه ، فالعادة تجري بالتخلص من المولود الجديد .

وأوضح مثال لذلك ما تجري به العادة لدى البوشمن (في صحراء كلهاري) ، فالبوشمن من المجتمعات التي تعتمد في معاشها على جمع الأعشاب والثمار وقنص الحيوانات ، ولدى البوشمن تضطر الأمهات الى ارضاع أطفالهن حتى الثالثة أو الرابعة ، لعدم وجود غذاء مناسب لصغار الأطفال ، وبسبب عدم وجود وسائل لمنع الحمل سوى الاجهاض ، كثيرا ما يولد طفل أو اثنان قبل فطام طفل رضيع ، وفي هذه الحالة يتخلصون من المولود الجديد ، ويتخلصون منه ، سواء ولد حيا أم ميتا ، بدفنه في أقرب جحر أو حفرة تعدها لهذا الغرض العجوز التي تعاون الزوجة عند الولادة ، وتنفذ العملية ، غالبا ، ضد رغبات الزوج ، فالنساء عنيدات في رفضهن تربية ولدين في نفس الوقت ، وتصر الزوجة على عدم تربية طفل آخر حتى يصبح الأول في غنى عن اللبن

ولدى سكان استراليا الاصليين كان من النادر أن تحتفظ الأم بأكثر من طفلين ، على أن يكون بينهما فارق ظاهر في السن ، ويرجع ذلك الى استحالة أن تحمل الأم عدة أطفال في نفس الوقت أثناء تجولاتها المستمرة ، وفضلا عن ذلك فان امتداد فترة الرضاعة ، بسبب عدم وجود غذاء آخر للطفل ، يحول دون الأم وأن يكون لها طفلان في سن صغيرة

التوائم والتشاؤم

ينظر الناس ، في كثير من المجتمعات القبلية ، الى التوائم بوصفهم نذير شؤم ومصدر شر ، ولذلك فهم يسارعون الى التخلص منهم ، تخلصا من المصائب التي ترتبط بمقدمهم ، وفي بعض المجتمعات لا يقتصر النحس أو الشؤم على التوائم فحسب ، وانما يمتد الى الأم ، وفي هذه المجتمعات كانوا يقتلون الأم كما كانوا يئدون التوائم ، وفي بعض الأحيان كانوا يئدون التوائم ويكتفون بنفي أمهاتهم الى الغابة ، حيث يعشن بعيدا عن الجماعة .

ويجري العرف في كثير من المجتمعات القبلية بالتخلص من الأطفال المشوهين أو الذين يولدون بصورة شاذة ، بسبب اعتقادهم أن هؤلاء الأولاد نذير شؤم ، وأن التخلص منهم يجنب أهلهم الكوارث المهددة .

فلدى الاقزام ، في غابات الكونغو ، تقتل الأمهات أطفالهن الذين يولدون مشوهين أو عجزة بمجرد ولادتهم ، ولا يسمح للرجال حتى بالقاء نظرة على هؤلاء الأطفال ، كذلك لا يسمح الجوكون في شمال نيجيريا للأطفال الممسوخين أو المشوهين بالحياة ، وانما يتركونهم ليلاقوا حتفهم في الغابة أو في كهف .

وفي داهومي كانوا يتخلصون من الأطفال الذين يولدون ولهم ستة أصابع في اليد أو القدم ، ولدى التسوانا كانت العادة تجري بوأد الأطفال الذين يولدون بأقدامهم أولا بدلا من رؤوسهم ، وأولئك الذين تبدو قواطعهم العليا قبل السفلى .

يحظر العرف القبلي كل علاقة جنسية من بعض الأشخاص بصورة مطلقة ، كما يحظر على بعض الأشخاص الاتصال الجنسي في ظروف معينة ، ومخالفة هذا الحظر تستتبع عادة جزاء يتسم بالشدة البالغة ، ولا يقتصر الأمر في مثل هذه الحالات ، على مجازاة الفاعل أو الفاعلين ، بل يسارع القوم الى التخلص من الطفل الذي جاء ثمرة لهذه العلاقة المحظورة .

وفي مقدمة الأطفال الذين يتم التخلص منهم لأنهم جاءوا ثمرة لعلاقة محرمة ، الطفل الذي تلده فتاة لم يتم ختانها بعد ، أو لم تجر لها شعائر الانتقال أو البلوغ .

لدى الايلا مثلا ، اذا حملت فتاة قبل مرورها بشعائر البلوغ ، يقولون عنها أنها حملت بكائن غير طبيعي ، ولا يسمحون لهذا الكائن بالحياة ، بل يسارعون الى قتله بمجرد مولده .

ويحرم العرف القبلي كل علاقة جنسية بين الأقارب الأقربين ، واذا خولف هذا الحظر وتمخضت العلاقة عن حمل ، لم يسمح للمولود بالبقاء على قيد الحياة

فلدى قبائل الكونجو كانوا ، فيما مضى ، يحرقون الجناة أحياء ، كما كانوا يمحون ثمرة الجريمة دونما رأفة .

وقد يحظر العرف ، في بعض القبائل ، كل حمل سابق على الزواج ، فإذا حملت فتاة قبل زواجها عوقبت ، ولم يسمح لوليدها بالبقاء على قيد الحياة .

فلدى البانيا رواندا والباروندي ، الفتاة التي تحمل قبل الزواج ، تطرد من بيتها ، وأحيانا تغرق أو تنفي الى جزيرة مهجورة ، وكثيرا ما كانت تذهب لتلد طفلها في الغابة حيث تتركه ليلقى حتفه ، ان لم تقتله بمجرد ولادته .

وأد الأطفال . . والنساء

جري العرف ، في بعض المجتمعات القبلية ، بوأد الأطفال الذين يولدون في أزمنة معينة يرونها شؤما .

ففي جزيرة مدغشقر كانت العادة تجري بوأد الأطفال الذين يولدون في شهر مارس أو ابريل ، أو الذين يولدون في الأسبوع الأخير من الشهر ، أو الذين يولدون يوم أربعاء أو يوم جمعة ، وذلك بنبذهم أو خنقهم أو حرقهم أحياء .

بالاضافة الى الحالات السابقة هناك حالات أخرى يجري العرف فيها بوأد الأطفال ، من ذلك مثلا ما يجري به العرف في بعض القبائل من دفن الرضيع مع أمه عند وفاتها أثناء الولادة ، أو أثناء الرضاعة ، ومن ذلك أيضا ما جرى به العرف في بعض القبائل من قتل المولود الأول لكل زوجة .

ان الاناث مصدر النسل ، والاقلال منهن يؤدي بالضرورة الى الاقلال من النسل ، وفي الغالبية العظمى من المجتمعات القبلية ، يحدث الوأد بالنسبة للاناث أكثر مما يحدث بالنسبة للذكور ، فالأب يفضل أن يكون له أبناء يحملون اسمه ، ويخلدون نسبه ، ويرثون أمواله ، على أن تكون له بنات ينجبن أبناء لرجال آخرين .

فلدى الكول ، في الهند ، مثلا لا تحتفظ الأسرة في الغالب بغير ابنة أو ابنتين ، أما ما زاد عن ذلك من بنات فيوضعن حين ولادتهن ، في آنية من فخار ويدفن .

ولدى الأرابش ، في غينيا الجديدة ، لا يحتفظ الأب بالمولود الأنثى اذا كان لديه من قبل عدد من الأطفال الاناث ، فالارابش يفضلون الابناء ، فالابن سوف يبقى مع والديه ، وسوف يكون متعة وراحة لهما عندما تتقدم بهما السن ، والاحتفاظ بابنة أخرى بعد ابنة أو اثنتين سابقتين من شأنه أن يؤجل فرصة الحصول على ابن مدة طويلة .

وقد أدت كثرة الالتجاء الى وأد البنات ، في بعض المجتمعات القبلية ، ندرة النساء ندرة بالغة مما أدى الى نشوء نمط للزواج يتمثل في اتخاذ عدد من الرجال زوجة واحدة ، وهو ما يعرف بتعدد الأزواج ، ومن الواضح أن اتباع احدى القبائل هذا النمط من أنماط الزواج سوف يؤدي بالضرورة الى عدم تزايد السكان ، أو عدم تزايدهم بصورة كبيرة .

مما سبق ، يتضح أن المجتمعات القبلية تعرف الكثير من الوسائل التي تؤدى ، سواء كان ذلك مقصودا أم غير مقصود ، الى عدم تزايد السكان أصلا أو الى عدم تزايدهم بصورة ظاهرة ، على أن هذه العادات ليست هي العامل الوحيد في حفظ عدد السكان ضمن أبعاد معقولة ، فهناك عوامل أخرى كثيرة ، منها مثلا أمراض الطفولة التي تؤدي بحياة الكثير من الأطفال ، ومنها الأوبئة والمجاعات ، ومنها الحروب والغزوات ، وعندما تتغير ظروف هذه المجتمعات ، فتختفي هذه التقاليد والعادات ، ويختفي أو يقل مفعول العوامل الأخرى ، يتزايد السكان تزايدا كبيرا ، يدعو الى القلق ، ويتطلب مواجهة حاسمة ، على أسس علمية وفي اطار خطط مدروسة . □



بقلم : الدكتور انيس فهمي

منذ أن توصل الانسان الى اختراع أول كومبيوتر الكتروني قبل أربعين عاما ، انبهر الناس بالامكانيات المستقبلة لهذه الآلة السريعة التي لاتكل ولاتمل ولاتخطيء في اجراء الحسابات الرياضية ، وتطلع العلماء الى امكانية أن تقوم هذه الآلة بتقليد العمليات العقلية غير الحسابية ، مثل التفكير والادراك والتعلم ، وفهم لغة الانسان اليومية ، والوصول الى التخمين المطلوب عندما لايملك الانسان كل الحقائق بين يديه .

أطلق الناس على الآلات الأولى اسم « العقول الألكترونية » وبعض المخترعين كانوا يطمعون في أن يتوصلوا بأبحاثهم الى تقليد القدرات الانسانية ، مثل تأليف الموسيقا وكتابة الشعر ولعب الشطرنج .

الطريق الى الذكاء الصناعي

في أواخر الخمسينيات من هذا القرن أصبح موضوع تقليد القدرات العقلية البشرية فرعا من علم الكومبيوتر ، أطلق عليه اسم « الذكاء الصناعي » وكانت الابحاث في هذا المبدان قاصرة في البداية على قليل من الجامعات الأمريكية ، ولكنها دخلت في نشاطات مؤسسات كثيرة في الولايات المتحدة الأمريكية ، وفي دول أخرى من العالم .

والآن يهدف البحث عن الذكاء الصناعي الى تحقيق هدفين أساسيين :

الهدف الأول هدف علمي يحاول أن يصل الى فهم أفضل للتفكير الانساني عن طريق تقليده ، والهدف الثاني هدف هندسي يحاول أن يزيد من امكانيات الكومبيوتر ، بأن يجعله مساعدا للذكاء الانساني ، ويحتاج فقط الى معرفة مايراد منه عمله بدون أن يذكر له كيفية القيام بهذا العمل .

وهذا الهدف الثاني يتفق في كثير من النواحي مع مشروع « الجيل الخامس » للكومبيوتر الذي تقوم به اليابان ، وتتبادل فيه الخبرات والمعلومات مع الولايات المتحدة الأمريكية .

ولاشك ان اختراع « الات مفكرة » حقيقية تتفوق في ذكائها على الذكاء الانساني ، يتساوى في أهميته مع الثورة الصناعية التي ضاعفت من قوة العضلات البشرية عدة مرات ، دون أن تحسن من قوة العقل

البشري ، الا انه يبدو حتى الآن أنه ليس من السهل تحقيق الهدفين اللذين سبق ذكرهما ، كما كان العلماء يتصورون في البداية .

التطبيقات الحالية

ان نتائج الأبحاث في ميدان الذكاء الصناعي قد بدأت تشق طريقها في الحياة العملية ، وان مايقرب من مائة شركة أمريكية تعمل بلا كلل في تطبيق أبحاث الذكاء الصناعي في مهمات متنوعة ، وهذه التطبيقات على أنواع متعددة من البرامج المتخصصة التي أطلق عليها اسم « اجهزة الخبرات » وهي تقلد أداء الانسان ازاء أنواع معينة من المشكلات ، وبعض هذه الأجهزة تتفوق على علماء الكيمياء في تفسير قراءة الأجهزة التي تستخدم في التعرف على مواد كيميائية غير معروفة ، وبعض الأجهزة الأخرى تستطيع أن تحدد مخزونات المعادن تحت الأرض أو تساعد في تشخيص بعض الأمراض ، أو ترشد على طريقة اصلاح الآلات المعطوبة ، أو تقوم بعملية التدريس للطلبة .

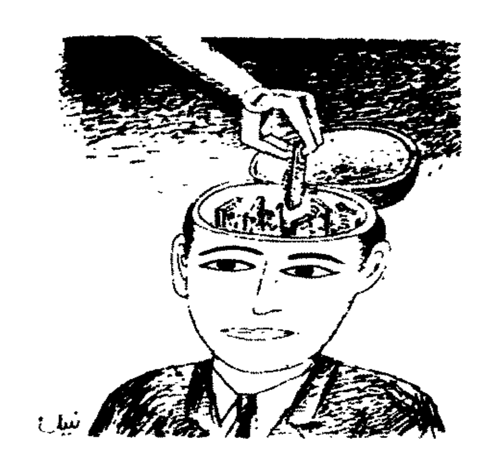
وبالاضافة الى اجهزة الخبرات استطاع الباحثون في ميدان الذكاء الصناعي في الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وأوروبا أن يخترعوا آلات لها قدرة محدودة على رؤية العالم من حولها وعلى فهم الأشياء التي تدركها في ذلك العالم والتكيف بالنسبة لها ، ان الانسان الآلي (الروبوت) الذي يعمل في بعض المصانع يستطيع أن يتعرف على الأجزاء المتحركة فوق الحزام الجلدي ويلتقطها ، ويضعها داخل الآلات في مواقعها الصحيحة ، أو يجمعها ليكون منها بعض المنتجات المعينة ، وحتى القدرات المحدودة على رؤية الأشياء أو لمسها مع قليل من الذكاء تستطيع أن تحسن كثيرا من قدرة الانسان الآلي على التصرف في المواقف غير العادية ، مثل التقاط الأشياء التي بها خطأ في تشكيلها ، أو في ترتيبها ، على أن الشيء الذي سيعزز من شأن الكومبيوتر بالنسبة للناس . . العاديين هو مقدرته على فهم اللغة العادية التي يستخدمها الناس في معاملاتهم اليومية ، بدلا من المعلومات الجامدة الصعبة التي تختزن حاليا في أجهزة الكومبيوتر .

ان الخدمات الجليلة التي يقدمها الكومبيوتر للانسان مثل الوصول الى مخزونات المعرفة الموسوعية المختزنة في بنوك الكومبيوتر للمعلومات ، لايستطيع أغلب الناس الاستفادة بها ، لأنهم يجدون من الصعب عليهم تعلم مصطلحات الكومبيوتر ، أو يصعب عليهم معرفة كيف يسألون الكومبيوتر عما يريدون معرفته .

ومن الأسباب التي تجعل من الصعب على الكومبيوتر أن يتعامل مع اللغة العادية ، أن الكلمات في جميع اللغات غالبا ماتكون لها عدة معاني تؤدي الى حيرة الكومبيوتر ، ولذلك فان أجهزة اللغة العادية في الوقت الحاضر تقتصر على مجموعات من الكلمات المحددة المعنى ، ولكن الباحثين يبذلون جهدهم لخلق أجهزة تستطيع أن تقلد لغة الاتصال الطبيعية في الحياة اليومية ، وقد توصل العلماء في جامعة ييل بالولايات المتحدة الأمريكية لتصنيع جهاز يستطيع أن يترجم مقالات صحيفة اسبانية الى اللغة الانجليزية ، كما نجحوا في تصنيع جهاز آخر يستطيع أن يقرأ هذه المقالات ، ثم يجيب على أسئلة بخصوص الموضوعات التي وردت فيها . .

تعليم الآلة

ان الباحثين في الذكاء الصناعي ركزوا محاولاتهم في البداية على محاولة جعل الآلة أكثر مهارة ، وكانوا يأملون في اختراع آلات تستطيع أن تقلد الأطفال البشريين في تطورهم من حيث تعلم اللغة والمعرفة ، واكتساب المهارات التي تمكنهم من التعامل مع العالم الخارجي ، أثناء مراحل نموهم ، ولكن هذا الأمل



ثبت انه من الصعب تحقيقه ، واكتشف العلماء ان من الأسهل لهم أن يبرمجوا الكومبيوتر بحيث يصبح قادرا على تقليد مهارات الكبار مثل لعب الشطرنج . . .

وجدوا أن هذا أسهل من برمجة كومبيوتر لتقليد مقدرة طفل في الرابعة من عمره على تعلم كلمات واكتساب مهارات جديدة ، لقد نجح العلماء حتى الآن في برمجة الكومبيوتر بكميات ضخمة من البيانات والتعليمات الدقيقة ، ولكنهم لم يتوصلوا تماما الى برمجة الكومبيوتر بطريقة تجعله قادرا على الشفرات ، والتصرف في المواقف غير العادية وحل المشكلات .

وكما يدل عليها اسمها فان أجهزة الخبرات تحتوي على معارف الخبراء البشريين ، والتي يعبر عنها عادة في شكل قواعد بسيطة مثل : « اذا كان المريض يشكو من ارتفاع في درجة الحرارة ، وزكام وآلام في الجسم وصداع ، فمن المحتمل أن يكون المريض مصابا بالانفلونزا »

أما برامج اللغات فيجب أن تشتمل على كلمات اللغة وقواعدها بالاضافة الى مادة الموضوع المطلوب معرفته .

المشكلات والآمال المتوقعة

يمتاز الكومبيوتر عن الانسان بخاصية الذاكرة ، والاحتفاظ بالكثير من التفاصيل التي قد لايذكرها الانسان أو قد تغيب عنه ، ففي بعض الأنواع من الأعمال الروتينية والمملة ، أو في الأعمال التي تحتاج الى قرارات بسيطة ، ولكن سريعة ودقيقة ، يمكن لجهاز الكومبيوتر أن يحل محل الانسان . ان الكومبيوتر يستطيع مثلا أن يقوم بكل العمل للاعداد لاحدى الرحلات ، كما يستطيع أن يتحكم في مفاعل ذري وقت الحاجة ، ولكن الكثيرين من خبراء الذكاء الصناعي يعتقدون في الوقت الحاضر أن أفضل استخدام لبرامج الذكاء الصناعي هو في مساعدة الانسان وليس الاحلال محله ، ففي حالات التشخيص الطبي المعقدة تستطيع أجهزة الخبرات مساعدة الأطباء في استبعاد التخمينات الخاطئة ، ولكن التشخيص النهائي يظل من اختصاص الطبيب .

وبالرغم من أن « ثورة المعلومات » قد حولت الذكاء الصناعي من مجرد استكشاف في المعمل الى حقيقة عملية تنمو يوماً بعد يوم ، الا أن اجهزة الذكاء الصناعي تشكل تحديا محيرا اذا استخدمت في ممارسة الذكاء الطبيعي ، فحتى الخبراء البشريين قد يعجزون أحيانا عن التعبير عن المعلومات التي يعرفونها،انهم يعرفون ما يعرفونه ولكنهم لايعرفون كيف يعبرون عنه أو كيف يشرحونه ، لو سألت مثلا سائق سيارة متمرن عن اللحظة التي يجب عليه فيها أن يضغط على الفرامل لكي تقف السيارة قبل اشارة المرور الحمراء ، مع الأخذ في الاعتبار السرعات المختلفة للسيارة وحالة الطريق ، لما استطاع أن يجيبك ، وزيادة على ذلك فإن كل انسان بما في ذلك العلماء يستخدم مايسمى « بالقدرة على التمييز » لكي يتصرف في المواقف المفاجئة وغير المتوقعة ، وهذه القدرة على التمييز تتكون وتنمو وتتطور من الدروس والتجارب التي يمر بها الانسان في الحياة .

لقد اكتشف العلماء أثناء محاولاتهم لبناء آلة للذكاء أن الطريق يعود بهم الى المخ الانساني ، وقد حققت أجهزة الذكاء الصناعي منافع كثيرة في مجال الحياة العملية ، ولكن أعظم ماحققته الأبحاث في ميدان الذكاء الصناعي أنها زودتنا بمفاهيم جديدة عن القدرات المذهلة للعقل البشري ، كما أتاحت لنا الفرصة لمعرفة الكثير عن المواهب المحيرة التي نلجأ اليها في انشطة الحياة اليومية ، مثل المحادثات العارضة ، وادراك العالم من حولنا وممارسة الأعمال المنزلية ، والذهاب الى المدرسة ، أو الى مكان العمل ، وتطبيق الدروس المستفادة من العاب الطفولة على نواحي العمل المختلفة ، ان هذه الأنشطة التي من السهل جدا على الناس أن يقوموا بها ، ليس من السهل على العلماء أن يفهموها وبالتالي من الصعب على أجهزة الكومبيوتر أن تقلدها .

ومع ذلك فمازالت المحاولات مستمرة ، ومازال الكائن البشري يبحث ويواجه التحدي ، لكي يشكل الآلة العقلية بطريقة تحدث تغييرا جذريا في الحياة ، كالتغيير الذي أحدثه اكتشاف الكهرباء واختراع الآلة ذات الاحتراق الداخلي . □

منهج القرآن في تربية العقول

بقلم : عبد الرزاق البصير

مارست دهري وجربت الأنام فلم — أحمدهمُ قط في جد ولا لعب
وكم تمنيت أن ألقى به أحدا — يسلي من الهم أو يعدي على النوب
فما وجدت سوى قوم اذا صدقوا — كانت مواعيدهم كالآل في الكذب
وكان لي سبب قد كنت أحسبني — أحظى به واذا دائي من السبب

الشاعر الطبيب

قائل هذه الأبيات رجل يتمتع بعديد من المواهب ، فهو طبيب حاذق في الطب ، وهو أديب كاتب متمكن من الكتابة ، وهو شاعر لطيف الشعر ، شاء الله له أن يحلب الدهر أشطره ، فلقد جرب حلو الدنيا ومرها ، كان مقربا من الأفضل ملك مصر ، لكن أحقاد أحد حجابه أصلته بنارها ، فأودت به الى الحبس فيما يقول بعض المؤرخين ، أو أنه حاول أن يستخرج سفينة مملوءة بالنحاس ، قد غرقت في البحر أمام الاسكندرية ، لكن محاولته باءت بالفشل في آخر الأمر ، مما أغضب عليه الأفضل ، فأمر بسجنه فيما يقول مؤرخون آخرون ، لأن الخليفة أنفق على تلك المحاولة جمالا من الأموال ، ذلك هو أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الذي جاء من الأندلس الى مصر على أني لا أقصد في هذه الكلمة ان أؤرخ لهذا الطبيب الأديب۔ وانما أردت أن نتعرف عليه بصورة موجزة ، لأني أريد أن أجعل من هذه الأبيات مدخلا لهذه الكلمة ، لهذا يجدر بنا أن نشير الى أن الذي دفعه الى إنشاد تلك الأبيات التي رويتها في صدر هذه الكلمة ، هو أن أحد تلاميذه كان من المقربين الى الأمير الأفضل ، لم يرع حق معلمه ـ صاحبنا الطبيب ـ فبدلا من أن يكون له عونا على نكبات دهره ، أصبح كالسهم يصيب فؤاده ، فقد أخذ يملأ قلب الأمير عليه بغضا وكمدا ، فشق على المعلم الطبيب الأديب أن يبلغ العقوق في بعض الناس الى هذا الحد ، فما هي الا أن نظم ما رويناه من أبيات الشعر ، ثم رفع رأسه الى السماء واغرورقت عيناه دمعا ، ودعا عليه فلم يحل الحول حتى استجيب له .

قليل من الفلسفة :

تعمدت أن أذكر السبب الذي دفع أستاذنا الطبيب الى التعبير عن نفسه بهذه الصورة ، لأني أعتقد أن معرفة سبب الأشياء من الأمور التي تنير العقل ، بل اني أذهب الى ما هو أبعد من ذلك ، فأنا أزعم أن إهمال الأسباب من العناصر التي ساهمت في تأخير هذه الأمة . فالكثيرون منا يصدقون بما لا يعقل وقوعه ، لأنهم لم يتعودوا على أن يتفهموا علاقة الأسباب بمسبباتها ، في حين أن ثقافتنا الاسلامية تعلمنا أن نهتم بمعرفة أسباب الأحداث ، ففي الحديث الشريف « أبى الله أن يجرى الأشياء الا بالأسباب ، فجعل لكل شيء سببا ، وجعل لكل سبب شرحا ، وجعل لكل شرح علما ، وجعل لكل علم بابا ناطقا ، ولعلي لا أستطيع أن أضرب أمثلة مما يشيع في عصرنا الحاضر تؤ يد ما ذكرت ، لأن في ذلك إزعاج بعض الناس ، ولا داعي لازعاج أحد ، فلنضرب أمثلة من قبل عدة قرون تؤ يد ما ذهبت اليه :ـ

زعموا أن أحد الصوفية أراد الحج فأعطاه الشيخ ماجد ركوته « الاناء الذي كان يشرب فيه » فكان ذلك الصوفي منذ غادر العراق الى أن عاد اليه ، يتوضأ من تلك الركوة ماء مالحا ويشرب ماء حلوا ، ويشرب منها أيضا لبنا وعسلا وسويقا « وهو طعام المسافر » أحلى من السكر . وهناك من يزعم أن أحد الصوفية كان يمشي على الماء وعلى رؤ وس الناس ، ومن الواضح أن الذي يصدق بهذه الروايات لا يهتم بالتفكير في علل الأشياء ، فكل ما يعجبه هي الأحداث المثيرة بغض النظر عن إمكان وقوعها .

يقول ابن خلدون في مقدمته :ـ « ان الحوادث في علم الكائنات سواء أكانت من الذوات أو من الأفعال البشرية أو الحيوانية ـ لا بد لها من أسباب متقدمة عليها ، بها تقع في مستقر العادة ، وعنها يتم كونها (أي تعودنا أن نراها تحدث بهذه الأسباب الظاهرة ، وعلى هذا النمط) . وكل واحد من هذه الأسباب حادث أيضا » . لهذا فان أفضل ما يوجه الى التربية هي الدعوة الى أن نعوّد ناشئتنا على التفكير بعلاقة الأسباب بمسبباتها .

الحافظة أو الفهم

أما حشو العقول بالمحفوظات دون تفسيرها تفسيرا عقليا فانها من الأمور التي لا نفع فيها بطبيعة الحال ، ذلك أن الفرد ينسى أولا ينتفع بما أرغم على حفظه ، قيل ان أحد الحفاظ افتخر بأنه حفظ كتاب الأغاني عن ظهر قلب ، فلما سمع بذلك بعض المفكرين قال :ـ ما صنع صاحبنا شيئا أكثر من أنه قد زاد نسخة من الأغاني في البلد ، وقد صدق مفكرنا ، فان الحفظ بدون الفهم لا يعني شيئا لصاحبه أو غيره ، فالفهم هو الذي يحدث التغيير في نفس صاحبه ، وفي نفوس الآخرين ، ولا يأتي الفهم الدقيق عادة الا بعد طول التأمل ، وليس من شك أن قوة الحافظة نعمة من النعم ، وقد رزقها جماعة من الناس بعضهم تكون حافظته مصاحبة للذكاء ، وبعضهم تكون حافظته بمنزلة الآلة لا تفرق بين الخطأ والصواب .

حسن البديهة أو الرؤية

وهنا نصل الى أمر فلسفي أدبي ، وهي أننا دائما نثني على الذين رزقوا سرعة البديهة ، وفي تصوري أن هذه الموهبة قد تكون نعمة بالنسبة للشعر ، فإننا نعجب بالأديب إذا استطاع أن ينظم شعرا بسرعة غير عادية ، كما نعجب بالفرد الذي يتنبه في محاورته لضعف حجة خصمه ، ولكن سرعة البديهة لا تكون صالحة في اتخاذ القرارات المهمة ، يقول عبد الله بن وهب الراسبي :ـ « دعوا الرأى حتى يختمر فلا خير في الرأي الفطير والقول القصير » . وقال المنصور لكاتبه : « لا تبرم أمرا حتى تتفكر ، فان فكرة العاقل مرآته تريه حسنه من قبحه » . وما أحسن قول ابن الرومي :ـ

ان الروية نار الجلد منضجة
وللبديهة نار ذات تلويح

وقد يفضلها قوم لعاجلها
لكن عاجلها يمضي مع الريح

وقد أصبحت سرعة البديهة بابا واسعا تحدث عنه الأدباء القدامى أحاديث مفصلة ، والذي يهمنا هنا أن نؤكد على أن التفكير العميق من أفضل الوسائل للوصول الى النتائج المبتغاة ، ذلك أن طول التفكير يعني التدقيق بعلاقة السبب بالمسبب ، لكي لا تكون الخطوات ناشئة عن شدة الانفعال ، ولو أردت أن أتحدث عن نفع استقصاء الأسباب والمسببات لخرجت عن القصد ، ويكفي أن نتذكر هنا أن أهم العناصر لتقدم الطب إنما يعتمد على تشخيص أسباب الأمراض ، فعندما تتضح معرفة السبب يستطيع الطبيب أن يعالج المريض معالجة مفيدة أو نافعة ، ولعلي لا أبالغ اذا قلت ان معرفة الأسباب هي من أهم العوامل التي أوصلت الانسان الى ما وصل اليه من الناحية المادية والمعنوية ، ولا يفوتنا أن نشير الى أن لكل عصر معرفته وثقافته ، فليس هناك شيء ثابت يتحتم علينا أن نقف عنده ، على أن هناك بعض القيم الانسانية والاجتماعية ما يزال لها تأثيرها ومكانتها عند معظم الأمم ، كالصدق والأمانة ، وما الى ذلك من الأخلاق الثابتة التي لا يستقيم المجتمع إلا بالمحافظة عليها .

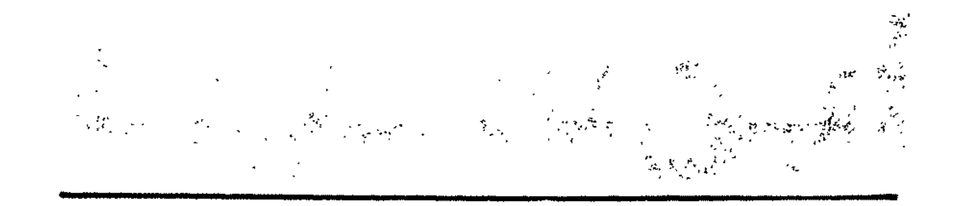
التأمل وإنارة العقول

ومهما يكن من أمر فان الفكر ليس له نهاية ، أعني أنه يتجدد مع تجدد الحياة ، على أننا قد نشاهد أحداثا نجهل أسبابها ، فلا يجوز أن نتخذها برهانا . على أن الأمور في هذه الدنيا تجري من غير أسباب ، وانما الذي ينبغي أن نقول عنها بأننا لا نعرف علتها ، وعلينا أن نبحث عن أسبابها قدر المستطاع ، فإن لم نتمكن من ذلك فإنه ينبغي لنا أن نثق بأنه سيأتي يوم من الأيام يتمكن فيه الانسان من أن يفهم سبب وقوعها ، وقد نخطىء في تفسيرنا أو تعليلنا لوقوع بعض الأحداث أو بعض الأمور ، ولكني أعتقد أن حركة العقل أو التساؤل أفضل بكثير من السكون الذي يعني أن نعتقد بأن علينا أن لا نتساءل عن علل الأشياء ، فإن التساؤل هو الذي يوصل الانسان إلى حقائق الأمور في معظم الأحيان . وهذا الذي ندعو اليه منهج قرآني عظيم فصله الكتاب العزيز في آيات كثيرة لكي نتعلم منه بأن ندفع عقولنا الى الحركة المستمرة قال تعالى : « فلما جنّ عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الأفلين » . الأنعام / ٧٦ الى آخر هذه الآيات الكريمة . □

ايمان قوى وثبات على الحق

كان الصحابي مصعب بن عمير من الشخصيات الاسلامية التي كان لها مواقف تدل على الايمان العميق بالاسلام ، والثبات على المبدأ الذي لايلين في الدفاع عن الحق ، وكان موقفه في معركة أحد أحد الشواهد التي تدل على هذا الايمان العميق ،يروى أن مصعب بن عمير حمل لواء رسول الله ﷺ يوم أحد . فلما جال المسلمون «اضطربوا» وثبت مصعب،فأقبل أحد الكفار واسمه ابن قميئة فضربه على يده اليمنى فقطعها ، ومصعب يقول « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل » ثم اخذ اللواء بيده البسرى ، فانحنى ابن قميئة عليه ، فضرب بيده البسرى فقطعها ، ومصعب يقول : وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل . . . . فحنا مصعب بن عمير على اللواء ، وضمه بعضديه الى صدره ، وهويقول : وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل . . . ثم حمل عليه في الثالثة بالرمح فقتله ، فوقع مصعب وسقط اللواء ، فوقف الرسول ﷺ يلقى نظرة على مصعب ثم قال : لقد رأيتك بمكة وما أرق حلة ولا أحسن لمة منك ، ثم ها أنت ذا شعث الرأس في بردة .

من تراثنا العربي



يتحدث عن نفسه

اعداد : جمال الغيطاني

« كنت أرجع بالليل إلى داري ، وأضع السراج بين يدي وأشتغل بالقراءة والكتابة ، ومهما أخذني أدنى نوم أحلم بتلك المسائل (التي كنت أقرؤها) بأعيانها حتى أن كثيراً من المسائل اتضح لي وجوهها في المنام » .

إبن سينا

.. تبدو الترجمة الذاتية في أدبنا العربي لغير المدقق الخبير بجوانب هذا التراث نادرة ، بل قد يقول البعض انها منعدمة ، غير أن الواقع لا يؤيد ذلك ، فإلى جانب النصوص التي كتبت كترجمة ذاتية مباشرة ـ أي أن الكاتب والمكتوب عنه شخص واحد ـ مثل (الاعتبار) لأسامة بن منقذ ، و (المنقذ من الضلال) للامام الغزالي ، والسيرة المؤيدية للمؤيد الشيرازي ،وهناك نصوص عديدة في بطون الكتب ، إلى جانب الشعر العربي القديم الذي نجده في العديد من القصائد ترجمة ذاتية للشاعر ، وهذا موضوع يحتاج إلى بحث ودراسة منفصلة ، وبالطبع فإنني أتحدث عن الترجمة الذاتية ، أما عن كتب التراجم فما أغنى الأدب العربي بها ، وكتب الطبقات والتراجم يزخر بها تراثنا في مختلف العصور .

من النصوص المندسة في بطون الكتب ، نص فريد يتحدث فيه ابن سينا عن نشأته ، وتكوينه ، أملاه على أحد المقربين منه ، أبو عبيد الجوزجانى وهذا النص موجود في كتاب « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » لابن أبي أصيبعة ، الذي حققه وشرحه الدكتور نزار رضا ، وصدر في بيروت عن منشورات دار مكتبة الحياة منذ عدة سنوات . يقول المحقق في مقدمة الكتاب :

« من أطباء العرب المعروفين ، وأدبائهم المرموقين ، رجل ترجم في كتاب واحد ـ لم يؤلف غيره ـ لأطباء العالم المشهورين منذ بدء التاريخ حتى يومه الذي هو فيه ، إنه موفق الدين أبو العباس أحمد ابن القاسم ، ابن أبي أصيبعة السعدى الخزرجي » .

ولد في دمشق عام ٦٠٠ هجرية «١٢٠٣ ميلادية » وكان والده طبيبا ، تلقى علم الطب في دمشق ، والقاهرة ، وذاعت شهرته حتى وصلت إلى أمير

صرخد ، احدى مدن جبال حوران ، فأرسل بطلبه ، فرحل إليه ، وهناك عاش حتى توفي في ٦٦٨ هـ (١٢٦٩ م) ، وضع كتابه هذا لأمين الدولة وزير الملك الصالح ، وقد بدأ فيه بترجمة كبار الأطباء زمن الاغريق ، والرومان ، والهنود ، والعرب ، والعجم .وترجم لأطباء مصر والشام ، كل قطر على حدة . طبع لأول مرة على يد المستشرق الألماني مولر الذي عثر على نسختين مخطوطتين منه عام ١٨٨٤ ، ثم قامت المطابع المصرية بطبعه مرة أخرى نقلا عن طبعة مولر ، إلا أن العثور على طبعاته القديمة بات صعبا ، ولم يصبح متاحا إلا بعد التحقيق الجديد الذي قدمه الدكتور نزار رضا .

تقلبات حياة

ابن سينا ، أو الشيخ الرئيس ، أو إمام العلوم كلها ، ولد عام ٣٧٠ هـ (٩٨٠ م) قرب بخارى ، كان أبوه من أهل بلخ ، أتم دراسته في اللغة والأدب وهو في سن العاشرة على يد رجل مجهول لم تذكره الترجمة التي نتحدث عنها . ويقول الأستاذ محمد ثابت الفندى في تعليقه على المادة التي كتبها المستشرق « دى بور » لدائرة المعارف الاسلامية ان هذا الرجل من المحتمل أن يكون هو أبو بكر أحمد بن محمد البرقي الخوارزمي (كشف الظنون لحاجي خليفة ، الجزء الثالث ، ص ٣٧٦) ، تقول الترجمة انه درس الطب بمفرده ، ومن جهة أخرى يروي أنه تلقاه على يد أبي سهل المسيحي ، وأبي منصور الحسن بن نوح القمرى عام ٣٩٢ هـ (١٠٠١ م) ، وبعد سقوط عرش السامانيين بين أيدي أمير غزنة السلطان محمود بن سبكتكين ، خرج من كركانج إلى جرجان عام ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م) ، فارا من وجه سلطان غزنة أيضا ، ويذكر فريد الدين العطار أنه التقى بالشيخ أبي سعيد بن أبي الخير شيخ متصوفة هذا العصر في نفس هذا العام ، في عام ٤٠٦ هـ (١٠١٥ م) يظهر ابن سينا في المدى ، ثم نجده في همذان حيث تولى الوزارة مرتين ، إلا أنه من المؤكد أنه ترك الوزارة عام ٤١١ هـ (١٠٢٠ م) ، إذ نجد في أخبار هذا العام عند ابن الأثير ذكرا لوزير آخر ، وبعد تركه الوزارة اضطهد من قبل أمير همذان الجديد ، فبث حوله



الجواسيس ، وسجن لفترة ، وأخيرا .. فر الى أصفهان عام ٤١٤ هـ (١٠٢٣ م) ، وعاش مقربا من أميرها علاء الدولة بن كاكاويه ، ثم توفي في عام ٤٢٨ هـ (١٠٣٦ م) . ويروى ابن خلكان في (وفيات الأعيان) روايات مختلفة عن موضع وفاته ، كما ذهب بعض المستشرقين إلى القول بأنه توفي بالأندلس اثر دسيسة من ابن رشد ، ولكن هذه أقاويل تفتقر الى أبسط الأدلة ، وحتى الان فان قبره مازال بهمذان يزار .

ملامح شخصية ونفسية

كان ابن سينا قويا ، جلدا ، وفي نص ترجمته صورة حية بليغة ، تصف مواصلته السهر لتحصيله العلم . وسكبه المياه الباردة على رأسه كلما أوشك على النوم حتى يفيق . في السادسة عشرة كان قد استوعب الطب ، والمنطق ، والالهيات ، وعندما تمكن من علاج سلطان بخارى نوح بن منصور سمح له بدخول دار كتبه ، ولأنه كان يتمتع بقوة ذاكرة مدهشة ، فقد

استطاع في فترة وجيزة أن يحصل الكثير من العلم ، وفي الواحدة والعشرين بدأ يصنف الكتب .

تعرضت حياته لاضطراب بعد وفاة والده ، إلا أنه كتب أهم مؤلفاته خلال فترات الراحة والهدوء التي كان ينعم بها في بلاط همذان ، وأصفهان ، وقد أتم في هذه الفترات دائرة معارفه الفلسفية (الشفاء) ، ومصنفه الطبي الهام (القانون في الطب) ، وقد تركت مؤلفاته الموسوعية أثرا عميقا على الفكر الاسلامي ، في العصور التالية له ، وبعد موته تكونت له في الأذهان ملامح أسطورية . والترجمة التي نورد نصها تلقي الضوء على بعض سيرته ، وخاصة سنوات تكوينه ، إلا أننا ننبه إليها من زاوية محاولة تسليط الضوء على بعض الجوانب المجهولة في الأدب العربي . وخصوصاً أن كتابا مثل (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) قد لا ينظر إليه دارسو الأدب العربي باهتمام . وكثير من المصادر التي يمكن أن تثرى أدبنا الحديث في بطون كتب غير مطروقة ، وهذا النص يؤكد وجود شكل السيرة الذاتية في تراثنا العربي والاسلامي .

قال الشيخ الرئيس ابن سينا :

. . إن أبي كان رجلا من أهل بلخ ، وانتقل منها إلى بخارى في أيام نوح بن منصور، واشتغل بالتصوف ، وتولى العمل في أثناء أيامه بقرية يقال لها « خرميثن » من ضياع بخارى ، وهي من أمهات القرى ، وبقربها قرية يقال لها « أفشنة » ، وتزوج أبي منها بوالدتي وقطن بها ، وولدت بها ، ثم ولد أخي ، ثم انتقلنا إلى بخارى ، وأحضرت معلم القرآن ومعلم الأدب ، وأكملت العشر من العمر وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من كتب الأدب ، حتى كان يقضى مني العجب ، وكان أبي ممن أجاب داعي المصريين ويعد من الاسماعيلية ، وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذي يقولونه ويعرفونه هم ، وكذلك أخي . وكانوا ربما تذاكروا بينهم وأنا أسمعهم وأدرك ما يقولونه ولا تقبله نفسي ، وابتدأوا يدعونني أيضا إليه ، ويجرون على ألسنتهم ذكر الفلسفة والهندسة وحساب الهند ، وأخذ يوجهني الى رجل كان يبيع البقل ، ويقوم بحساب الهند حتى أتعلمه منه ، ثم جاء إلى بخارى أبو عبدالله الناتلي وكان يدعي المتفلسف ، وأنزله أبي دارنا رجاء تعلمي منه ، وقبل قدومه كنت أشتغل بالفقه والتردد فيه إلى اسماعيل الزاهد ، وكنت من أجود السالكين . وقد ألفت « طرق المطالبة ووجوه الاعتراض على المجيب » على الوجه الذي جرت عادة القوم به .

علم المنطق

ثم ابتدأت بكتاب « إيساغوجي » على الناتلي ، ولما ذكر لي حد الجنس . انه هو المقول على كثيرين مختلفين بالنوع في جواب ما هو ، أخذت في تحقيق هذا الحد بما لم يسمع بمثله ، وتعجب مني كل العجب ، وحذر والدي من شغلي بغير المعلم . وكان اي مسألة قالها لي أتصورها خيرا منه ، حتى قرأت ظواهر المنطق عليه . وأما دقائقه فلم يكن عنده منها خبرة . ثم أخذت أقرأ الكتب على نفسي وأطالع الشروح حتى أحكمت علم المنطق . وكذلك كتاب أقليدس فقرأت من أوله خمسة أشكال او ستة عليه ، ثم توليت بنفسي حل بقية الكتاب بأسره . ثم انتقلت إلى المجسطي ، ولما فرغت من مقدماته وانتهيت إلى الأشكال الهندسية ، قال لي الناتلي تول قراءتها وحلها بنفسك ، ثم اعرضها عليّ لأبين لك صوابه من خطئه ، وما كان الرجل يقوم بالكتاب ، وأخذت أحل ذلك الكتاب فكم من شكل ما عرفه الى وقت ما عرضته عليه وفهمته إياه .

علم الطب

ثم رغبت في علم الطب وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه ، وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة ، فلا جرم أني برزت فيه في أقل مدة حتى بدأ فضلاء الطب يقرأون عليّ علم الطب ، وتعهدت المرضى فانفتح عليّ من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف ، وأنا مع ذلك أختلف إلى الفقه وأناظر فيه ، وأنا في هذا الوقت من أبناء ست عشرة سنة . ثم توفرت على العلم والقراءة سنة ونصفا ، فأعدت قراءة المنطق وجميع أجزاء الفلسفة . وفي هذه المدة ما نمت ليلة واحدة بطولها ، ولا اشتغلت النهار بغيره ،

وجمعت بين يدي ظهورا ، فكل حجة كنت أنظر فيها أثبت مقدمات قياسية ، ورتبتها في تلك الظهور . ثم نظرت فيها عساها تنتج ، وراعيت شروط مقدماته حتى تحقق لي حقيقة الحق في تلك المسألة .

وكنت أرجع بالليل إلى داري وأضع السراج بين يدي ، وأشتغل بالقراءة والكتابة . فمهما غلبني النوم أو شعرت بضعف ، عدلت الى سكب المياه على رأسي ريثما تعود إليّ قوتي ، ثم أرجع إلى القراءة ، ومهما أخذني أدنى نوم أحلم بتلك المسائل بأعيانها ، حتى أن كثيرا من المسائل اتضح لي وجوهها في المنام . وكذلك حتى استحكم معي جميع العلوم ، ووقفت عليها بحسب الامكان الانساني . وكل ما علمته في ذلك الوقت فهو كما علمته الآن لم أزدد فيه إلى اليوم ، حتى أحكمت على المنطق والطبيعي والرياضي . ثم عدلت إلى الالهي ، وقرأت كتاب ما بعد الطبيعة . فما كنت أفهم ما فيه ، والتبس عليّ غرض واضعه ، حتى أعدت قراءته أربعين مرة وصار لي محفوظا . وأنا مع ذلك لا أفهمه ولا المقصود به ، وأيست من نفسي وقلت : هذا كتاب لا سبيل إلى فهمه . وإذا أنا في يوم من الأيام حضرت وقت العصر في الوراقين ، وبيد دلال مجلد ينادي عليه ، فعرضه عليّ فرددته رد متبرم ، معتقدا أن لا فائدة من هذا العلم ، فقال لي اشتر مني هذا فانه رخيص أبيعه بثلاثة دراهم ، وصاحبه محتاج إلى ثمنه ، واشتريته فاذا هو كتاب لأبي نصر الفارابي في أغراض كتاب ما بعد الطبيعة : ورجعت إلى بيتي وأسرعت قراءته فانفتح عليّ في الوقت أغراض ذلك الكتاب بسبب أنه كان لي محفوظا على ظهر القلب ، وفرحت بذلك وتصدقت في ثاني يومه بشيء كثير على الفقراء شكرا لله تعالى . وكان سلطان بخارى في ذلك الوقت نوح بن منصور ، واتفق له مرض تحيّر الأطباء فيه وكان اسمي اشتهر بينهم بالتوفر على القراءة ، فأجروا ذكري بين يديه وسألوه إحضاري ، فحضرت وشاركتهم في مداواته وتوسمت بخدمته . فسألته يوما الاذن لي في دخول دار كتبهم ومطالعاتها وقراءة ما فيها من كتب الطب ، فأذن لي فدخلت دارا ذات بيوت كثيرة في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على بعض . في بيت منها كتب العربية والشعر ، وفي آخر الفقه وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد .

فطالعت فهرست كتب الأوائل وطلبت ما احتجت إليه منها . ورأيت من الكتب ما لم يقع اسمه إلى كثير من الناس قط ، وما كنت رأيته من قبل ولا رأيته أيضا من بعد ، فقرأت تلك الكتب وظفرت بفوائدها ، وعرفت مرتبة كل رجل في علمه . فلما بلغت ثماني عشرة سنة من عمري ، فرغت من هذه العلوم كلها . وكنت إذ ذاك للعلم أحفظ ، ولكنه اليوم معي أنضج ، وإلا فالعلم واحد لم يتجدد لي بعده شيء . وكان في جواري رجل يقال له أبو الحسن العروضي . فسألني أن أصنف له كتابا جامعا في هذا العلم ، فصنفت له المجموع وسميته به . وأتيت فيه على سائر العلوم سوى الرياضي ، ولي إذ ذاك إحدى وعشرون سنة من عمري . وكان في جواري أيضا رجل يقال له أبو بكر البرقي ، خوارزمي المولد ، فقيه النفس ، متوحد في الفقه والتفسير والزهد ، مائل إلى هذه العلوم ، فسألني شرح الكتب له فصنفت له كتاب « الحاصل والمحصول » في قريب من عشرين مجلدة ، وصنفت له في الأخلاق كتابا سميته كتاب « البر والاثم » ، وهذان الكتابان لا يوجدان إلا عنده فلم يعر أحدا بنسخ منهما ثم مات وتصرفت بي الأحوال . وتقلدت شيئا من أعمال السلطان ، ودعتني الضرورة الى الاخلال ببخاري والانتقال الى كركانج . وكان أبو الحسن السهلي المحب لهذه العلوم بها وزيرا ، وقدمت الى الأمير بها وهو علي بن مأمون وكنت على زي الفقهاء إذ ذاك بطيلسان ، وأثبتوا لي مشاهرة داره بكفاية مثلي . ثم دعت الضرورة الى الانتقال الى نسا ، ومنها الى باورد ، ومنها الى طوس ، ومنها الى شقان ، ومنها الى سمنيقان ، ومنها الى جاجرم رأس حد خراسان ، ومنها الى جرجان ، وكان قصدي الأمير قابوس ، فاتفق في أثناء هذا أخذ قابوس وحبسه في بعض القلاع وموته هناك ، ثم مضيت الى دهستان ومرضت بها مرضا صعبا وعدت الى جرجان ، فاتصل أبو عبيد الجوزجاني بي وأنشأت في حالي قصيدة فيها بيت القائل :

لما عظمت فليس مصر واسعي
لما غلا ثمني عدمت المشتري

الى هنا ينتهي النص الذي ورد في عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ويكمل أبو عبيد الجوزجاني قائلا :

هذا ما حكى لي الشيخ من لفظه ! □

بالإشعاع

بقلم : الدكتور سينوت حليم دوس*

تبدأ البحوث علمية بحتة نتيجة ظاهرة معينة ، وتتوالى الدراسات عليها ويحاول كل متخصص في فرع من فروع العلم الاستفادة منها في فرعه ليحقق نتائج جديدة ذات قيمة تطبيقية تساهم في التنمية .. فما الذي يحدث بعد ذلك ؟

تأتي ظواهر جديدة وتحاول الربط مع ما هو قائم من نتائج لاحداث طفرات فكرية جديدة ، لها تطبيقات صناعية لم تكن معروفة من قبل .. وهكذا ...

حتى هنا والأمر يسير في قناته الصحيحة المرسومة له ، بحوث ... تطبيقات صناعية ... رفاهيه للوطن والمواطنين ... تخفيف لأمراضهم وآلامهم .. تحقيق أقصى أشباع لهم .

ولكن تأتي يد منحرفة لتختلس التقنية الجديدة لتحقيق أغراض غير مشروعة ، أو أهداف مجرمة قانونا ... وهنا تصبح الجريمة مرتكبة بيد متخصصة انحرفت عن جادة الصواب ...

ولعل هذا هو الجانب المظلم في التقنية الحديثة ، ولكن ليس هذا عيبا فيها بقدر ما هو عدم التزام العامل بأخلاقيات المهنة وآدابها وقسمها الذي أقسمه قبل أن يتولى مسئوليتها ، من وجوب استعمال كل معرفة لخير البشرية وأمنها ورفاهيتها ..

وقبل التطرق الى تفاصيل جريمة القتل بالاشعاع ، نعطى مقدمة تاريخية عن الكشف عن النشاط الاشعاعي ، وما يرتبط به من آثار ، وكيفية استخداماته في الطب والصناعة والزراعة .

هنرى بكرل وظاهرة الفلورة :

بدأت بحوث النظائر المشعه منذ تسعين عاما على يد العالم الفرنسي (هنرى بكرل) عندما كان يُجري بعض بحوثه المتعلقة بظاهرة الفلورة لأملاح اليورانيوم ، وقبل ذلك بعام كان العالم الألماني رونتجن قد نشر الخواص المهمة لأشعة اكس ، وبدا واضحا أن هناك علاقة بين الاشعاع وظاهرة الفلورة ، وتركزت بحوث (بكرل) متأخرا على اثبات هذه العلاقة ، وفي يوم ٢٠ فبراير ١٨٩٦ ، أحاط (بكرل) لوحاً فوتوغرافيا بورقتين سميكتين لونهما أسود ، ثم نثر طبقة رقيقة من مادة كبريتات اليورانيوم البلورية ، ثم عرَّض اللوح لأشعة الشمس ، وبعد تحميضه كانت المنطقة التي تغطيها طبقة ملح اليورانيوم منطفة سوداء ، وعند تكرار التجربة بوضع قطعة معدنية بين طبقة الملح اليورانيومي واللوح الفوتوغرافي ، تكونت صورة معتمة للعملة المعدنية ، وكل ذلك تم في وجود أشعة الشمس ، ولكن في يوم ٢٦ فبراير ، وعندما أعاد تجربته رغبة في التأكد من النتائج التي حصل عليها

* استاذ بكلية العلوم الطبية ـ جامعة الملك سعود ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية .

سابقا ، كان الجو غيما ، فاحجم عن تكملة تجربته ، ووضع اللوح في مكتبه انتظارا لبزوغ شمس يوم جديد ، وظل الحال كذلك حتى أول مارس ، وعليه قرر أن يبدأ تجربة جديدة خشية أن يكون اللوح الفوتوغرافي قد تأثر لطول الوقت ، ومن باب الاحتياط قام باخراج اللوح من مكتبه وحمضه ، وهنا كانت دهشته ، فلقد ظهر اللوح معتما بدرجة أوضح ، وأحسن من سابقتها ، وكرر تجاربه وفي كل مرة يحصل على نفس النتيجة ، بدون اللجوء الى أشعة الشمس ، حتى مع استخدام أملاح مختلفة لعنصر اليورانيوم ، وليس فقط كبريتاته ، كما اكتشف ان الاشعاعات المنبثقة من اليورانيوم لها القدرة على تفريغ الشحنة الكهربائية من الكشاف الكهربائي واستنتج أنها شبيهة بأشعة اكس ، وحتى هنا يقف دور (بكرل) لتبدأ احدى تلميذاته وهي ماري كوري لمواصلة البحث في خاصية النشاط الاشعاعي ، وتفسيرها لبعض أنواع العناصر ، مثل الراديوم والبولونيوم ، وأكمل العالم الانجليزي ارنست رذرفور المسيرة ، معلنا أن المواد المشعة . . ينبعث منها ثلاثة أنواع هي : جسيمات ألفا ، وجسيمات بيتا ، وأشعة جاما .

انحراف الهدف

والتقطت الدول الأوروبية الخيط الأول للنشاط الاشعاعي ، وبدأت التطورات المتلاحقة في الكشوف العلمية البحتة ، حتى كان البروفسور (هويز نبرجر) الرئيس السابق لمؤسسة الكسندرفون هامبولدث لتشجيع البحث العلمي العالمي ، والعالم (اينشتاين) وظهور فكرة الانشطار النووي الذي حفز بعض السياسيين على تكثيف التطبيق العلمي لهذه الظاهرة في اضفاء القوة العسكرية على الدولة التي يرأسها .

وللحقيقة والتاريخ ، فان القنبلتين اللتين القيتا على هيروشيما وناجازاكى صنعتا في المانيا النازية ، وبطريق لم يذكره التاريخ حتى الآن نقلتا الى أمريكا ، ثم كان قرار الرئيس روزفلت . . .

وقد ذكر ذلك صراحة العالم (اوبنهايمر) في مذكراته وكذلك المستر (ساكس) المستشار المالي للرئيس (روزفلت) ، رغم أن اليابان قد بدأت في اعلان استسلامها ولم تكن بحاجة الى هذا الردع .

يذكر ذلك التاريخ . . . ولكن لماذا كان هذا الردع لليابان بالذات وبقنبلتين المانيتي الصنع ؟

لعل هذه نقطة في التاريخ السياسي وبحاجة الى من يتدارسها .

ومع التركيز الكبير في بحوث الانشطار النووي وتركزه في مجال التخريب والدمار ، أعلن الرئيس الامريكي (ايزنهاور) في خطابه الذي وجهه الى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وجوب توجيه الطاقة الذرية نحو الاستخدامات السلمية .

ويعتبر شهر ديسمبر ١٩٥٣ م هو التاريخ الحقيقي للاستخدام السلمي للطاقة النووية ، ومع بداية عام ١٩٥٦ ، بدأ الكوبلت المشع والابر الذهبية المشعة في الاستخدامات الطبية في علاج الانسجة السرطانية .

ورغم ذلك فان مخزون العالم اليوم من الأسلحة النووية يقدر بنحو ٥٠ الف رأس نووي ، وتعادل هذه ١٥ بليون طن من مادة (تي . ان . تي) شديدة الانفجار ، وبمعادلة بسيطة فان الطاقة التدميرية التي يملكها العالم الان تعادل خمسة آلاف ضعف الطاقة التي استخدمت في الحرب العالمية الأخيرة .

وتكفي الترسانات النووية الحالية الى ابادة ٢٤٠ الف مليون شخص ، وهو ما يعادل تعداد العالم ستين مرة .

الاستخدام السلمي للطاقة :

عندما اكتشف الانشطار النووي ، وبمقارنة الطاقة المتولدة عن الوقود النووي ، وهو عنصر اليورانيوم ٢٣٥ بالطاقة الناجمة عن الفحم ، يتبين لنا أن انشطار ذرة يورانيوم٢٣٥ ، ينتج عنها طاقة مقدارها ٢٠٠ مليون الكترون فولت ، بينما احتراق ذرة واحدة من الكربون لا يصاحبه سوى طاقة قدرها أربعة اليكترونات فولت ، فطاقة الذرة الأولى تعادل خمسين مليون ضعف الطاقة المتولدة من الذرة الأخيرة .

وقد أشار أحدث تقرير للوكالة الدولية للطاقة الذرية ، الى أن الطاقة النووية هى التي احتلت قسما رئيسيا من بدائل البترول خلال عام ١٩٨٤ م ، ١٩٨٥ م حيث ارتفعت نسبة استهلاك الطاقة النوويه

الى ١٧,٧٪ كبديل لطاقة البترول ، في حين أن الطاقة الناجمة عن الفحم كانت ٣,٤٪ ، أما الطاقة المتولدة عن الغاز الطبيعي فشكلت ٣,٢٪ ، كبدائل للطاقة الناجمة عن البترول .

أما في المجال الطبي ، فأصبح ميسورا عن طريق التحليل الاشعاعي المناعي تقدير الهرمونات بالجسم بوحدات النانوجرام والبيكوجرام والفمتوجرام ، بدقة وسهولة تفوق أي طريقة كانت معروفة من قبل بحوث العالمين (رزوالين يالو) و (بيرسون) والانجليزي (ايكنز) ، كما أمكن تقدير تركيز الدواء بالدم،وتقدير نسبة جرعة السم التي تحدث الوفاة مما أفاد الكثير في مجال الطب العدلي .

وبعد التقدم الذي عاصرته المواد التشخيصية الاشعاعية ، وصل استخدام الطب النووى في التشخيص الى ٩٩٪ من الأمراض المستعصية ، فأصبح تصوير عضلة القلب سريرياً باستخدام الثاليوم المشع ممكنا وميسورا لتشخيص ضيق الشريان التاجي،ومدى التعرض للذبحة الصدرية ، كما أمكن مراقبة وظيفة القلب باستخدام الابر المشعة لكرات الدم الحمراء ، مع مادة التكنشيوم المشع ، وأمكن بذلك علاج أمراض القلب بناء على خلفية سليمة من التشخيص الدقيق .

وعن طريق التصوير الطبقي باستخدام الحاسب الآلي أمكن تصوير الكبد والنخاع الشوكي والكليتين ، ومعرفة القصور الذي يعتريهم ، كما أمكن تصوير الرئتين وتشخيص جلطاتها قبل أن يستفحل أمرها .

كذلك أمكن عن طريق التشخيص الاشعاعي تحديد التهاب المفاصل والأنسجة ، ومعرفة مكان الكسور ومدى التئامها ، وكذلك تحديد مكان الالتهابات داخل البطن ، وخصوصاً بعد إجراء العمليات الجراحية .

كما تدخل التشخيص النووي في الجهاز العصبي ، والمخ ، فأصبح من الميسور معرفة مكان الجلطة ومدى تقبلها للعلاج ، وكيف انتقلت أو زالت عقب فترة العلاج أثنائها .

وفي المجال الزراعي استخدمت النظائر المشعة لمعرفة أي العناصر يحتاجها النبات ليزيد المحصول ، وأي الفترات تكون أكثر ملاءمة لزراعته والتغلب على الآفات التي تصيبه ، وكيفية زراعة محصول في غير الفصل المحدد له من السنة .

وفي المجال الصناعي ، تدخلت البحوث الذرية والتطبيقات النووية في معرفة الكثير من أسرار التفاعلات الكيميائية ، وتفسيراتها ، وكيفية اقتصاد بعض الخطوات المكلفة في الانتاج ، والاستعاضة عنها بخطوات أكثر انتاجية ، وكانت قمة الاستخدام النووى في مجال صناعة الصواريخ عابرة القارات ، ومركبات الفضاء ، وأجهزة الدمار في شتى أشكالها .

آثار الاشعاع على الجسم :

الأشعة المؤينة تحمل طاقة تفوق طاقة ربط الألكترونات في الذرات والجزيئات عند امتصاص الألكترونات هذه الطاقة من الاشعاعات المؤينة الساقطة عليها ، فانها تتأين أي تنقسم الى شقين أحدهما سالب والآخر موجب ، والخطورة التي تصيب جسم الانسان من تعرضه للاشعاعات ، وخاصة أشعة جاما ، ترجع الى تأيين محتويات الجسم . حيث تتفاعل الأشعة المؤينة مع مكونات الخلية الحية (الأحماض النووية) ويؤدي هذا بدوره الى انفصال الروابط الكيميائية في الخلية ، وهذا بدوره يؤدي الى اضطراب في نشاط الخلية الطبيعي .

والأشعة المؤينة (جاما) لا يشعر الانسان بغزوها لجسمه ، ولا يستطيع ملاحظة آثارها بسرعة ، ذلك أنه يكون في بداية الجرعة فلا يلاحظ الفرد أي تأثير آني على خصائص أعضائه ، ولكن هذه الاشعاعات تتراكم داخل الجسم محدثة تأينا لسوائله .

وكلما زدات الجرعة الاشعاعية وقلت الفترات بين التعرض الاشعاعي ، وقربت المسافة بين الجسم ومصدر الاشعاع ، كلما ظهرت التأثيرات التراكمية الاشعاعية على الجسم بصورة أسرع .

وبصفة عامة فان الاشعاع تظهر آثاره المدمرة على الجلد والجهاز التنفسي والغدة الدرقية والخصيتين والمبيضين وباقي أعضاء الجسم الحيوية ، كما يؤدي الى الاصابة بالسرطان والتشوه الخلقي في الأطفال المولودين لآباء أو أمهات تعرضوا للاشعاع ، أو عملوا في مجاله دون اتخاد الاحتياطات اللازمة .

كذلك تتسرب المواد المشعة الى النبات ، وتستقر في ألبان الحيوانات التي تتغذى على النباتات أو

الأعشاب المصابة ، ومن ثم تصيب الانسان بطريق غير مباشر .

حوادث التسرب الاشعاعي :

واذا كانت الانفجارات النووية التي وقعت بمحطة الطاقة النووية في بنسلفانيا عام ١٩٧٩ م ، وبعض حوادث التسرب البسيطة التي وقعت في أوك ردج أو بصفة عامة في ولايات كاليفورنيا وتكساس وبنسلفانيا ، وأمكن احتوائها بسرعة دون تصاعد لمخاطرها ، وكذلك كارثة محطة توليد الطاقة الكهربائية بالقوى النووية في تشرنوبيل بالاتحاد السوفييتي في أبريل ١٩٨٦ م ، فان هذه الأحداث تعتبر ضريبة للتقدم البحثي ، واحتمالات الخطأ التجريبي المعترف بها التي تشكل نسبة ١٠٪ في صحة وصدق النتائج .

وان كان أول حادث نووي جماعي يذكره التاريخ هو حادث مصنع الساعات في عام ١٩٢٠ م ، فقد كان أول الاستعمالات الصناعية للراديوم هو الطلاءات المضيئة ليلا ، فعندما يخلط مسحوق الراديوم مع بلورات كبريتيد الزنك ، فان البلورات الأخيرة تضيء نتيجة لامتصاص الطاقة من جسيمات الفا المنبعثة من الراديوم ، وكان جديراً بهذا الاكتشاف الجديد أن يعم العالم ، لما له من استخدامات حربية مفيدة ، خصوصاً في الحرب العالمية الأولى ، بالاضافة الى صناعة أقراص الساعات بطلاء أرقامها بهذا الطلاء الجديد ، ليمكن قراءة الوقت اثناء الظلام .

ومن أجل رسم خطوط رفيعة لأرقام الساعات بهذا الطلاء ـ كان لا بد من فرشاة تكون قمتها مدببة ورفيعة جدا ـ وكانت العاملات في مصانع الساعات يضعن قمة الفرشاة بين شفاههن من أجل تحقيق ذلك ، وفي كل مرة كانت تلامس قمة الفرشاه مقدمة الفم كانت كميات ضئيلة من الراديوم والميزوثريوم تبتلع ، ومع بداية عام ١٩٢٠ ، كانت بضع من العاملات في مصانع أقراص الساعات قد توفين مصابات بأنيميا حادة ، ونقص حاد في نمو عظام الفكين ، الى أن اكتشف مصادفة أحد أطباء الأسنان علاقة طبيعة العمل بالتأثير الاشعاعي على عظام الفكين .

القتل بالاشعاع :

وتصل المأساة الى قمتها عندما يستغل أحد العاملين في مركز الطاقة النووية ببولندا خبرته التي تراكمت على مدى عشرين عاما ، ليتخلص من رفيقة حياته بعد أن ذكر (أن حياته معها لم تعد تطاق) .

أخبر المهندس (كويتار) زوجته بأنه سيكون في مهمة بالخارج لمدة شهر ، وصدقته زوجته ، وقام بوضع مصدر اشعاعي تنبعث منه اشعة جاما في طرد مغلف تحت سريرها ومن جهة وسادتها .

بدأت أعراض الاشعاع الأولى تظهر عليها بعد أسبوع مباشرة ، ذلك لأن مصدر الاشعاع قريب من جسمها ، فلا يزيد عن ٤٠ سم ، كما أن المصدر كان قويا ، بالاضافة الى أنها تتعرض يوميا قرابة العشر ساعات(فترة بقائها في منزلها أو نومها على الفراش الملوث) .

وكانت أهم الأعراض التي ظهرت عليها هي الارتفاع في درجة حرارة الجسم ، والغثيان والقيء المستمر ، والشعور بالخوار والتعب ، مع عدم القدرة على القيام بأي مجهود .

واستشارت الأطباء ، وأجريت التحليلات ، واستخدمت المضادات الحيوية ، وفي الأسبوع التالي بدأت تظهر الأعراض بأكثر حدة .

لاحظ أحد الأطباء الجدد بالمستشفى وظيفة الزوج ترتبط بالطاقة النووية ، كما لاحظ أن الأعراض التي تشكو منها هي أعراض التسمم الاشعاعي ، فما كان منه الا أن استأذن رئيسه في وجوب طلب مركز الوقاية من الاشعاع ببولندا لاجراء مسح اشعاعي بمسكن السيدة يونوش .

وكم كانت دهشتهم عندما أشار عداد (جايجر مولر)-وهم خارج المنزل-عن وجود مصدر اشعاعي بداخل المنزل . . . ومع تتبع القراءة الاشعاعية التي أخذت تزداد رويدا رويدا أمكن الوصول الى مصدر الاشعاع الموضوع تحت سرير الزوجة ، وعن طريق الاسعاف المركز أمكن انقاذ الزوجة بترياقات الاشعاع ، والبعد عن المصدر المشع ، وما جاء عام ١٩٨٠ م ، حتى كان الزوج يقضى عقوبة السجن مدى الحياة ، لاخلاله أولا بواجبات وظيفته ،وثانيا لشروعه في قتل زوجته . □

عاشوا في هذا المكان

العقّاد

بين أسوان ومصر الجديدة

بقلم : سارة

هناك الكثير من المؤثرات التي تساهم في تشكيل مادة الابداع عند المبدع . . والمكان والزمان هما بعض تلك المؤثرات .

فما هو تأثير هذا العامل عند بعض المبدعين والمشهورين في حياتنا العربية . . وأحد أمثلتهم عباس محمود العقاد ؟

في المدينة التي ذكرها « حزقيال » في نبؤات التوراة والتي جاء اليها « هيرودوت » و « دداسترابون » وأقيمت فيها الصلوات لاله النيل وإيزيس وأوزريس و « يهوا » رب الجنود ، وشيدت فيها أديرة الرهبان وصوامع النساك ، وعرفها الشاعر دعبل كما عرفها رهين المحبسين،ووشمتها الحضارات الفرعونية واليونانية الاسلامية بملامح خلدتها ، وقال عنها كمال الدين جعفر بن ثعلب في القرن الثامن الهجري : « قد خرج من أسوان خلائق كثيرة لا يحصون من أهل العلم والرواية والأدب » .

في مدينة المعابد وبئر إراتستين ، الجرانيت ، أحجار الطواحين والصخور النارية والأركية التي يقول الجيولوجيون أنها أول ما تصلب من قشرة الأرض ، مدينة الشلالات والشمس الساطعة ، فيها ولد العقاد ، في ظهر يوم الجمعة ١٨٨٩/٦/٢٨ ، في بيت من بيوتها العريقة ، في العام نفسه الذي ولد فيه : طه حسين ، نهرو ، هتلر ، سالازار ، شارلي شابلن ، أرنولد توينبي ، عبدالرحمن الرافعي ، جان كوكتو ، ومارتن هيدجر .

البيت العتيق

كان ذلك البيت في تقسيم حجراته وردهاته كغيره من بيوت أسوان . . مدخل يفضى الى صحن الدار والحجرات التي كانت سقوفها على نظام الأقبية ، ومن وراء صحن الدار سلم من « الخرخاش » وهو نوع



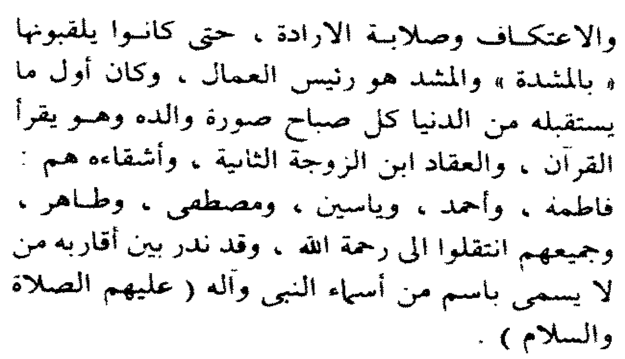
● أقدم صورة للعقاد وكان عمره ١٣ سنة



● المنزل رقم ١٣ شارع السلطان سليم

رخو من الحجر الرملي مائل الى السمرة ، يصعد الداخل الى قاعة متوسطة السعة ، رصت فيها بعض الأرائك والكراسى لجلوس صاحب الدار مع ضيوفه ، ولذلك كانت تسمى « المقعد » وفي نهايتها حجرة صغيرة مربعة يرتفع سقفها أو قبوها مترا ونصف متر ، سويت أرضها بالبلاط ، وفي مستواها حلق نحاسية صغيرة ، اذا رفعت ارتفع معها بعض البلاط كأنه غطاء تحته مخزن صغير ، كان والده يضع فيه سلاحه الذي كان معدا يومئذ لصد الدراويش الذين كانوا يتهددون أسوان بالغارات ، وبعد انتهاء الخطر صار مخزنا للأواني النحاسية .

كان جده يشتغل بمصنع حرير بدمياط ، فلقب بالعقاد ، وكان أبوه أمينا للمحفوظات بمدينة أسوان ، أما أمُّهُ فكانت حفيدة لأحد رجال الفرق الكردية التي وجهها محمد على سنة ١٨٢١ الى السودان لتأديب الملك « شندى » وقد ورث عنها حبها للصمت والاعتكاف وصلابة الارادة ، حتى كانوا يلقبونها « بالمشدة » والمشد هو رئيس العمال ، وكان أول ما يستقبله من الدنيا كل صباح صورة والده وهو يقرأ القرآن ، والعقاد ابن الزوجة الثانية ، وأشقاءه هم : فاطمة ، وأحمد ، وياسين ، ومصطفى ، وطاهر ، وجميعهم انتقلوا الى رحمة الله ، وقد ندر بين أقاربه من لا يسمى باسم من أسماء النبى وآله (عليهم الصلاة والسلام) .



كانت مكتبة والده تتكون من كتب الفرائض والعبادات وبعض كتب التاريخ ، لا سيما السيرة النبوية وتراجم الأولياء الصالحين ، وأعداد صحيفة الأستاذ والطائف للنديم ، وصحيفة العروة الوثقى للأفغاني ومحمد عبده ، وكان بيتهم ملتقى لشيوخ يسمرون مع والده ، في « المندرة » وكان حريصا على وجود عباس معهم وهو في السابعة فأكسبه ذلك وقارا حتى أنه رفض ـ وهو طفل ـ لبس البنطلون القصير ،



● العقاد مع سارة وهي لبنانية من أسرة داغر

واصر على رفضه ، وتجلت اهمية هذا المجلس في معرفته بالقاضي أحمد الجداوي ، وكان من أدباء الفقهاء الذين ناصروا الأفغاني وأخذوا عنه لذلك قال العقاد « وقد حببت مجالس الجداوي الأدب الى نفسي لأول مرة ، ورغبت أن اتخذه فنا أضرب فيه بسهم كما ضرب فيه الأستاذ ،وصرت منذ ذلك الحين مهتما بحفظ الشعر ومطالعة كتب الادب »

بقي البيت الذي ولد فيه على حاله بعد وفاة والده عام ١٩٠٧ ، وفي عام ١٩٤٩ فكر العقاد في ازالة البيت القديم ، وبدأ البناء في يوم ١٣ مارس ، وانتهى يوم ٣١ ديسمبر ٤٩ ودخل العقاد بيته الجديد يوم ٩ يناير ١٩٥٠ ، يقع البيت في شارع العقاد « عباس فريد سابقا » ويتكون من ثلاث طبقات ، طليت جدرانه بالطلاء الأبيض ، وأبوابه ونوافذه باللون الجوزي المائل الى الحمرة قليلا ، وأقيمت واجهة البيت على أربعة أعمدة رئيسية ، فيما بينها ثلاثة أبهاء يعلو بعضها بعضا ، ويصعد الداخل اليه ثلاث درجات ، تؤدي به الى بهو مستطيل يبلغ طوله سبعة أمتار تقريبا ، تطل عليه ثلاث نوافذ ، هي نوافذ حجرة الندوة الأسوانية ، وهي حجرة كبيرة طولها طول البهو المجاور لها ، وعرضها يزيد على أربعة أمتار ، وقد حوت ستة وثلاثين مقعدا ، يضاف اليها بضعة عشر كرسيا عند الضرورة ، وعلى الجدار المواجه لباب الحجرة صورة كبيرة للعقاد في شيخوخته ، وعلى الجدران الباقية صور أخرى لمناظر أسوانية ، ومعظم صور البيت للفنان صلاح طاهر ، أهداها اليه بعد بناء البيت ، ومن صور حجرة الاستقبال صورة مقياس النيل والصخور النارية ، وأخرى للخزان والماء يتدفق منه ، ولوحة النيل والجزيرة في أحضانه ، وهناك أيضا لوحتان احداهما لقصر « انس الوجود » وأخرى لفندق كتراكت « الشلال » .

تعقد الندوة الأسوانية مساء كل ثلاثاء وجمعة ، تبدأ في الثامنة مساء ، وتنتهي نحو التاسعة ، ومنذ أول ندوة عقدت في هذا البيت اعتاد العقاد أن يقدم لضيوفه « القرفة الساخنة » التي يغطيها السمسم أو جوز الهند المبشور .

أما في داخل البيت فهناك حجرة المائدة التي تزين جدرانها لوحات منها : لوحة لقطط تلعق اللبن ، وأخرى لطبق يحوى فاكهة ، ولوحات قرآنية ، وقد توسطت الحجرة مائدة كبيرة ، رصت حولها الكراسي ، أما بقية الحجرات فهي لنوم أسرة العقاد ، وفي الطبقة الثانية بهو كبير تتوسطه مائدة حولها ستة كراسي ، تحتها بساط أسواني ، وحول البهو حجرات للنوم احداها للعقاد حين يأتي في الشتاء ، والأخرى لضيوفه ، وفي البهو أريكتان كبيرتان ، وعلى الجدران لوحات منها لوحة تمثل شلالا ، والأخرى لطفلة صغيرة تنام في مهدها ، وفي أحد الأركان مذياع وبضعة كراسي من القش ، وسعف النخيل الأسواني ، وهناك حجرة الاسعافات أسماها العقاد بذلك لاحتوائها على كتب ومراجع تشكل اسعافات معرفية له اذا اراد مرجعا في موضوع يهمه ، ومنها أخرج للناس عدة كتب بينها : فلاسفة الحكم في العصر الحديث ، حقائق الاسلام وأباطيل خصومه ، عقائد المفكرين في القرن العشرين ، المرأة في القرآن الكريم ، الانسان في القرآن ، وفيها يجلس العقاد في الصباح الباكر للكتابة والاطلاع ، وربما تطول جلسته الى منتصف اليوم ، بعدها يرتاح بعض



● عيد ميلادة الأخير عام ٦٣

الوقت ، ثم يتناول طعامه حوالي الساعة الواحدة ، وينام حتى الرابعة ، ثم يعود الى جلسته في المكتب بعد أن يشرب قدحا من القهوة ، والعقاد يكتب في كل مكان خلا من الضوضاء . أما اذا لم تقيده الضرورة بمكان معين ، فأكثر ما كتب وهو مضطجع على الفراش ، وثلاثة أرباع مقالاته السياسية كتبت كذلك ، وكان ينظم الشعر ـ غالبا ـ وهو يتمشى أو يسير في الخلاء ، واذا شطب كلمة اهتم بطمسها ، ويكثر الشطب اذا كان منحرف المزاج ، أما زمان الكتابة فشرطه الوحيد فيه الا يكون بعد تناول الطعام ، ويفضل الكتابة منفردا ، ولم يتعود أن يستعين بشيء من المنبهات أثناء العمل ، كالتدخين ، وشرب القهوة ، وحتى في الأيام التي كان يدخن فيها ، وقد أتعبته الكتابة بالقلم الرصاص ، فلما ان تيسر له ثمن القلم الحبر حتى عاد من جديد للقلم الرصاص ، ثم اكتشف أن المداد الأحمر ، أريح للنظر في ضياء الليل ، فاستخدمه ، و . . في حجرة الاسعافات عدة لوحات ! احداها للنيل في أسوان والأخرى للعقاد بريشة صلاح طاهر رسمها عام ٤٢ ، وخلف المكتب ديباجة من النسيج اهداها اليه أحد الأصدقاء ، في نسيجها مقطوعة شعرية له من ثلاثة ابيات :

قالوا الحياة قشور
قلنا فأين الصميم ؟
قالوا شقاء ، فقلنا
نعم ، فأين النعيم ؟
ان الحياة حياة
ففارقوا أو اقيموا .

وفي المساء ينزل العقاد دائما الى الطابق الأول ، ليكون بين أسرته ، وكانت الجلسة في حجرة والدته ، فلما توفيت عام ١٩٥٦ ، ظلت حجرتها مغلقة طيلة اقامته هناك .

واذا ما صعدنا الى الطابق الثالث وجدنا شمس أسوان تحتل أركانه ، وفي الجهة الجنوبية نرى ثلاث حجرات للنوم ، اثنتين متجاورتين في الزاوية الغربية ، وحجرة منعزلة في الزاوية الشرقية ، وفي الجهة الشمالية حجرة مميزة بجدرانها الزجاجية الملبسة بالخشب ، تحيط بها النباتات المتسلقة ، وفي الجانب الشرقي منها أريكة يتخذ العقاد مجلسه عليها دائما ، وحولها بضعة كراسي منجدة ، وفي وسطها منضدة صغيرة ، تحتها بساط أسواني ، وعلى أحد الجدران صورة كبيرة للعقاد في شبابه ، والجالس فيها يستطيع

أن يرى المدينة والنيل ، وعلى ضفته الغربية معابد الفراعنة ، واعتاد العقاد الجلوس فيها للتأمل في الأيام التي لايخرج فيها من البيت ، أو لايكون مشغولا بالقراءة والكتابة .

ويقيم في هذا البيت حاليا أبناء شقيقه أحمد وهم : عبدالعزيز في الطابق الثالث ، وأسرة الراحل محمود في الطابق الثاني ، أما الطابق الأول ـ وهو مغلق حاليا ـ فهو خاص بأسرة الراحل عامر العقاد ، وقد تغيرت ملامح البيت الداخلية كثيرا بعد أن دخلته المكيفات والمراوح وورق الحائط ، وفي الاحتفال بذكراه السنوية الذي تقيمه محافظة أسوان وأسرته ، يستضيف هذا البيت بعض المشاركين في الاحتفال .

المقر الأخير

تخرج العقاد في المدرسة الابتدائية عام ١٩٠٣ ، واستطاع أبوه بماله من صلات طيبة برؤساء الديوان ، أن يوظفه بالقسم المالي في مدينة قنا ، حضر الى القاهرة للكشف الطبي عام ١٩٠٥ ، واستقال من هذه الوظيفة عام ١٩٠٦ ، والتحق بمدرسة الفنون والصنائع ، ثم تركها ، وتوظف في مصلحة البرق ، وبعد ستة أشهر هجرها الى الصحافة . ومنذ وصوله الى القاهرة تنقل في عدة أماكن للسكن في ضاحية الدمرداش بجوار حدائق القبة ، شارع محمد علي ، بنسيون الاهرام في مصر الجديدة ، شبرا ، ثم استقر منذ عام ١٩٢٦ وحتى يوم وفاته ١٢ مارس ١٩٦٤ في المنزل رقم ١٣ شارع السلطان سليم « شفيق غربال حاليا » في مصر الجديدة ، وربما كان سبب اختياره تلك الضاحية شغفة بالخلاء ، وجوها الجاف ، وهو الذي تعرض عام ١٩٢٢ لأزمة صدرية حادة .

وحين كنت أصعد سلالم بيته المتآكلة انتابني تردد حزين واجف ، تذكرت ماقاله : « فهذا البيت قد كتبت فيه خير كتبي، وأحبها الي،هذا المسكن صعدت سلالمه ثلاثا ثلاثا ،ثم صعدتها اثنتين اثنتين ، ثم اصعده درجة درجة على غير عجلة ، ولا أكتراث ، وقد استقبلت فيه آمالا واستحييت فيه ذكريات ، ومن غار على ذخيرة آماله وبواطن ذكرياته ، فقد يغار على مواطنها أن تستباح بعده لكل من يشاء » .

قرعت جرس منزله في الطابق الثاني المواجه لمنزل ابن اخيه الراحل عامر أحمد العقاد ، وما أصعب أن نطرق مواطن الذكريات.استقبلني وجه ابراهيم الطنطاوي الأسمر ، الذي تربي بين ايدي العقاد وعامر ، كان أبوه حارسا للمبنى ، وقد مات منذ شهور قليلة ، ويعيش مع أسرة العقاد كواحد منهم ، هو عضو في جمعية العقاد الأدبية ، ويكتب في عدد من المجلات العربية ، ومن أكثر من قابلتهم حماسا لكل مايذكره بالعقاد .

واجهتني ردهة صغيرة لها شرفة أصغر ، كان يحلو للعقاد الجلوس فيها حتى مطلع الفجر ، ردهة عارية الأرض والجدران تفوح منها رائحة عتق واهمال وكآبة ، خالية تماما من خزانات الكتب التي كانت غاصة بالاف المجلدات ، بل ان البيت كله يخلو من أي أثر لكتاب ، وقد أخبرني مرافقي أن الكتب بخزاناتها حجزت عليها الضرائب لمطالبتها ورثة العقاد خمسة الآف جنية ، ونقلت الى دار الكتب ، وقد قررت محافظة أسوان أخيرا دفع هذا المبلغ واسترداد الكتب بعد الفراغ من بناء المكتبة التي تقام حاليا



● في المطبخ مع طاهية

لتضم تراث العقاد . . تتوسط الردهة مائدة صغيرة حولها ستة مقاعد ، وفي أحد الاركان ثلاجة أدميرال صغيرة ، افتقدت « تابوته المقدس » الذي أشار اليه في كتابه « في بيتي » وهو عبارة عن صندوق مربع يشتمل على حاك قديم وبضع مئات من آلاسطوانات الموسيقية والغنائية التي عثرت على بعضها ملقاة باهمال في أحد الأدراج مع بقايا ملابس وصحف .

على يمين الردهة غرفتان متجاورتان ، احداهما صالونه والأخرى حجرة نومه التي يتوسطها سريره الضخم ودولابه ، ومشجب الملابس ، وقد اختفت منها متعلقاته التي تتمثل في تسع عشرة بدلة وعشرين حذاء ، أربعين قميصا واحدى عشرة طاقية ،

وأربعين لفاعاً « كوفية » عشرين (روبا) ومئتى ربطة عنق كما اختفت منها أيضا الصور المنسوخة من أصولها كصورة سالومى من تصوير بروسبير ، و « زهرة » للاسبانى فيلاسكية ، وتاييس ، واخرى لسوق رقيق في عاصمة شرقية ، أما الصورة الأصلية الوحيدة في

الحجرة وكانت معلقة على الجدار المواجه لسريره وقد رسمها صلاح طاهر استجابة لرغبة العقاد وتمثل فطيرة حلوة يشتهيها الجائع والشبع،عليها صرصور وذباب وهي ترمز للمرأة التي أحبها العقاد وأصبحت مشاعا

للجميع هذه اللوحة وجدتها ملفوفة بورق الصحف وقد تعرضت للتلف في مكتب عامر العقاد.أما صالونه الذي كانت تعقد فيه ندوته صباح كل جمعه،وكان يستقبل ضيوفه بالبيجاما والطاقية والكوفية ، ويقدم لهم عصير الليمون والقهوة ، الجلوس فيه كان حسب الاقدمية .

فالأقربون اليه هم الأقدمون ، وعندما ينهض الأكبر سنا يكون ذلك اشارة الى ان الساعة اقتربت من الثانية ، موعد غداء العقاد ثم نومه ، وكان يجد متعة

في أن يقارن بين الحيوانات وبين تلامذته أو أصدقائه فكل واحد منهم قد وجدله شبها بالحيوانات .

في هذا الصالون اريكتان واربعة مقاعد ومنضدة ، تحتها بساط أسواني،وفي أحد الأركان تمثال نصفى للعقاد بجواره مذياع تعلوه صورة محمد عبده ، وأيضا هناك أربع صور له من رسم صلاح طاهر ، بينما

اختفت لوحة الفنان هدايت وشاطىء الزمالك لشعبان زكي ، وترعة المحمودية لصلاح طاهر ، وأبوقير للبيب تادرس ، وكذلك الساعة والبومتان اللتان تحفان بهما .

على يسار الردهة ممر ضيق قصير ، في نهايته حجرة مكتبة وقد تحولت الى غرفة نوم بها ثلاثة أسرة ودولابان ، وانتقل مكتبه الى منزل عامر العقاد ، ولم يعد هناك أثر لصور الافغاني وسعد زغلول وبيتهوفن وكارليل ، وكذلك لوحة « زيارة القبر » لمحمد حسن ، وقد خصها بمقاله في « ساعات بين الكتب »

« والينبوع » لآنجر أما صورتاه بعد الأربعين وبعد الخمسين فهما معلقتان في شقة عامر ، وبجوار حجرة المكتب حجرة كانت لضيوفه ، ومخزنا لثيابه ، تحولت هي الأخرى الى غرفة نوم ، يواجهها مطبخه وحمامه المتواضعان ، سألت « ابراهيم » بأسى عن ما ضاع من مواطن الذكريات فقال:« لقد فقدنا العدد الأكبر والأندر من صور العقاد وخطاباته لتداولها بين الأصدقاء والصحفيين ، ولم يبق من متعلقاته الا بدلتان وحذاءان وكوفية وطاقية وطربوش وعصاه وبعض مؤلفاته وخطاباته في ركنه الخاص بدار الثقافة بأسوان ، بالاضافة الى طاقية وكوفية احتفظ بهما د .

عبداللطيف عبدالحليم رئيس جمعية العقاد الأدبية ، وضاعت منا ساعته واحدى البومتين ، أما جميع اللوحات،التلفزيون ٢٣ بوصة ، احدى البومتين ، الحاكي ، وبقية الاسطوانات فقد احتفظ بها العقاد في صناديق مغلقة في بيته ، خشية الضياع وخاصة بعد أن تحول بيت العقاد الى مصيف لأسر أشقائه ، بينما يظل طيلة الشتاء مغلقا .

كان البيت يتنفس حرارة ورطوبة ، وكان العقاد يكره الصيف .

صار البيت محاصرا بالضجيج والأبنية الشائهة ، وكان قد اختاره لانه مغروسا كنخلة يتيمة .

كان العقاد يغسل رأسه بالماء الساخن كلما داهمته الكآبة ، فمن لي بماء ساخن يزيل عن نفسي كآبة ما تبدد وما تبعثر من مواطن الذكريات ، ولا ندري ما يفعل الزمن بما حرصنا على أن يستوطن منا العيون وحبات القلوب . □

من
قصص
الخيال
العلمي



تأليف الكاتب الاميـريكي :
ايزاك ازيموف
ترجمة : الدكتور غسان حتاحت

خمسة أعوام مضت منذ بدأ سور من الكتمان يحيط بأبحاث الدكتور آرون رودمان .

وقد فسروا لـه ذلك بقـولهم : « انـه من أجـل حمايتك ، فلو وقعت أبحاثك في الأيدي الخاطئة . . »

وفكر الدكتور رود مان بأسى : هل الأيدي الصحيحة هي يديه حقا ؟ .

ذلك أن اكتشافـه كان بـالتأكيـد أعظم تقـدم في المجال الصحي منذ أبحاث باستور على الجراثيم ، وأعظم سبيل الى تفهم آلية الحياة على الاطلاق .

وقد بدأ الصمت يطبق على أبحاثه بعد محاضرته في أكاديمية الطب في نيويورك ، وكانت في أول يوم من القرن الحادي والعشرين . بحيث منع من التحدث عنها الا الى بعض المسؤولين كـما منع بـالتأكيـد من نشرها .

وقد دعمته الحكومة وزودته بكل ما يحتاج اليه من مال ، ووضعت تحت تصرفه كل أجهزة الكمبيوتـر التي أرادها . فكان أن تقدمت أبحاثه بسرعة حثيثة . وكـان المسؤولون الحكـوميون يـزورونـه بـاستمـرار للاطلاع على أبحاثه ، وقد سأله بعضهم :

ـ دكتور رود مان كيف يمكن للفيروسات أن تنتشر من خلية لأخرى ضمن جسم ما ومع ذلك لا تكون معدية لجسم آخر ؟ .

وكان يضجر من التكرار مرة بعد أخرى ، انه لا يعـرف أجوبـة كل الأسئلة . كـما كان يتضـايق من استعمـال مصطلح فيـروس ، ويقـول : انها ليست فيروس ، اذ ليس لها نفس التركيب ، بل هي شيء مختلف هو الليبو بروتين .

وعندما يكون السائلون من غير الأطباء ، كان يجد أن الاجابة أسهل عليه ، اذ يستطيع أن يشـرح لهم الأمـور بصورة عـامـة ، عـوضـا عن الـدخـول في التفاصيل الدقيقة فيقول :

« ان كل خلية حية ، وكل تـركيب صغير ضمن الخلية محاط بغشاء . ويعتمد عمل الخلية على نفوذية هذا الغشاء تجـاه المواد المختلفـة ، وعلى نسبـة هذه النفوذية . وان تغييرا بسيطا في الغشاء يبدل طبيعـة العبور من خلاله بصورة كبيرة . ويغير بالتالي الطبيعة الكيميائية للخلية ونشاطاتها .

وتنجم معظم الأمراض عن تغيرات في نشاط هذه

* المترجم : الفيروس كائنات حية متناهية فى الدقة ذات تركيب كيميائى معقد . عندما تدخل الى الخلايا تجبرها على أن تشكل التركيب الكيميائى للفيروس فتتكاثر مسببة كثيرا من الأمراض .

الأغشية . بحيث أن كل آلية تسيطر على هذه الأغشية انما تسيطر على الحياة . فالهورمونات تسيطر على الجسم عن طريق تأثيرها على الأغشية . وان مادة الليبوبروتين التي ركبتها هي هورمون صنعي أكثر منها فيروس . وهي تندمج في الأغشية وتحرضها على صنع ذرات مماثلة لها (تماما كما تفعل الفيروسات) وان كنت شخصيا لا أفهم هذه الآلية . وهذه البنية الدقيقة للأغشية ليست واحدة لدي كل الناس ، بل انها تختلف من شخص لآخر ، وبالتالي فان الليبوبروتين لا تؤثر على شخصين نفس التأثير . فلئن سمحت بنفوذ السكر الى الخلية لدي شخص مامصاب بالسكري فقد تشفيه ، بينما يمكن لها أن تغلق الخلية لدي شخص آخر وتمنع عبور مواد ضرورية اليها فتؤدي لقتلها » .

وهذا الأمر الأخير هو مابدا أنه يثير اهتمامهم ، ذلك أن هذه المادة هي سم قاتل . وكان رود مان يقول : « انها سم انتقائي . فلا يمكن التنبؤ مقدما ـ دون دراسات معقدة بالكمبيوتر لبنية الأغشية لدى شخص معين ـ اي نوع من الليبوبروتين سيؤذيه .

ومع مرور الوقت أخذت الحلقة تضيق حول رودمان فتمنعه حريته وان لم تحرمه من الرفاهية ، في وقت أخذت الحرية والرفاهية تختفيان من العالم ، وفتحت الجحيم فاها أمام الانسانية اليائسة .

كان ذلك عام / ٢٠٠٥ / وقد بلغ عدد سكان العالم ستة بلايين . ولولا المجاعات لكان العدد تجاوز السبعة بلايين .

وكان بيتر افار رئيس منظمة الغذاء العالمية يزور مخابر الدكتور رود مان كثيرا . فيقضيان معا بعض الوقت يلعبان الشطرنج ويتناقشان . وكان أفار ـ حسب قوله ـ هو الذي أدرك أهمية محاضرة رود مان في الأكاديمية الطبية ، وبسبب ذلك عين رئيسا لمنظمة الغذاء .

وان كان رود مان يرى أن ادراك هذه الأهمية أمر سهل الا أنه لم يقل له ذلك .

كان أفاز كثير الابتسام ، رغم أن موضوع حديثه قل أن يعطي سببا للابتسام . ذلك أن أي رئيس لمنظمة تهتم بغذاء العالم لابد له وأن يتحدث عن المجاعة .

وكان أفار يقول : « لو وزعنا الطعام المتوفر بالتساوي على سكان العالم لمات جميعهم جوعا » فيرد عليه رودمان : لو كان التوزيع بالتساوي لكانت العدالة المثالية قد تحققت وقادت العالم الى خطة عالمية عاقلة . أما والأمركما هو فإن العالم في يأس وسخط : وفرة أنانية لدي البعض ، وحرمان لدي الآخرين .

وقد سأله أفار : هل ستتطوع لتقدم مايفيض عن حاجتك من طعام .

فرد رودمان : انني بشر وأناني ، ثم ان تصرفي الفردي لن يعني الكثير .

أجاب أفار : انك شاعرى ، ألا تدرك أن الأرض مثلها كقارب نجاة ، اذا قسم مخزون الطعام بالتساوي بين الجميع سيموت الجميع . بينما اذا طرد قسم من شاغلي القارب فإن الباقين سيعيشون . وليس السؤال ما اذا كان البعض سيموت ، ذلك ان البعض يجب أن يموت ، ولكن السؤال هو ما اذا كان البعض سيعيش ؟

سأل رود مان : هل تطالب رسميا بالقتل الانتقائي . أي تضحية البعض في سبيل الباقين ؟ .

رد أفار : اننا لا نستطيع ذلك . فالناس في قارب النجاة مسلحون ، ومناطق كثيرة من العالم تهدد باستعمال الأسلحة الذرية اذا لم يزودوا بالطعام .

هنا قال رود مان : هل تعني أن الاجابة على المشكلة : يجب أن تموت كي أعيش أنا أو اذا كنت أنا سأموت فستموت معي ؟

قال أفار : ليس تماما . فثمة مناطق في العالم لا يمكن انقاذ سكانها ، فقد تزايدوا بكثرة هائلة وهم يعانون من المجاعة . لنفرض أنه أرسل اليهم طعام . ولنفرض أن هذا الطعام أماتهم . فلن تتطلب تلك المناطق أية شحنات أخرى .

سأل رود مان : وكيف تستطيع قتلهم ؟ .

أجاب أفار : يمكننا معرفة الخصائص البنيوية

للغشاء الخلوى لدي مجموعة معينة من الناس بصورة وسطية . بحيث نستطيع أن نركب ليبو بروتين مصمم خصيصا لهم . يوضع في شحنات الطعام فيصبح قاتلا لهم .

قال رود مان مصعوقا : انه لا يمكن التفكير بذلك .

أجاب أفار : بل يجب التفكير بذلك لن يكون هنالك ألم . فأغشية الخلايا ستتغير .

وسينام المصاب فلا يستيقظ . وذلك لاشك أفضل من الموت جوعا أو من التدمير الذري .

كما أن هذا لن يشمل الجميع ، ففي كل مجموعة سكانية تختلف خصائص الأغشية لديهم ، وعلى أسوأ الاحتمالات فان ٧٠٪ سيموتون .

وسيتم هذا الأمر في مناطق الازدحام السكاني وسيبقى ما يحفظ كل أمة وكل طائفة عرقية وكل ثقافة وحضارة .

رد رودمان : وذلك بقتل البلايين من الناس ؟ .

أجاب أفار : ان الأمر لن يكون قتلا ، بل هو توفير الفرصة للناس كي يموتوا .

أما من هو الفرد الذي سيموت فيعتمد ذلك على الخصائص البنيوية له . وستكون يد الله هي التي اختارته .

سأل رودمان : وعندما يكتشف العالم ذلك ؟ .

رد أفار : سوف لن يحصل هذا في عصرنا ، وعندما سيحصل سيكون العالم مزدهرا وسكانه قلائل . وسوف يشكروننا على العمل البطولي في اماتة البعض لتجنب موت الكل . شعر الدكتور رودمان بالغضب ووجد صعوبة في الكلام وهو يقول : ان أرض الله واسعة ، ومازلنا حتى الآن لم نستغل خيراتها كلها ، ولم نبذل جهدنا في توزيعها بصورة عادلة ، وفي مناطق شتى يهدر الفائض من الطعام . مما يسبب الغضب لدي الجياع .

أجاب أفار ببرود : اني أوافقك . ولكننا لا نستطيع أن نخلق العالم الذي نريده ، بل لابد لنا في العيش في العالم كما هو .

وانتهت المناقشة عند هذا الحد . وكان رودمان يزاريوميا من قبل مسؤولي الحكومة ، وكلهم تبدو عليهم مظاهر التغذية الجيدة .

بحيث أصبح حساسا تجاه ملاحظه من أن جميع من طالب بضرورة قتل الجياع ، هم من الذين يتغذون جيدا .

وقد قال له وزير الزراعة في احدى زياراته : ألا تقبل بقتل قطيع من الغنم مصاب بمرض معد في سبيل تجنب انتشار المرض الى الاغنام السليمة ؟ .

أجابه رود مان : أولا ان البشر ليسواغنما . وثانيا المجاعة ليست مرضا معديا . رد وزير الزراعة . لكنها كذلك ، وهذه هي النقطة المهمة ، فاذا لم نقض على الانفجار السكاني فان المجاعة ستنتشر الى المناطق غير المصابة . لذلك يجب أن تساعدنا . فسأله رودمان : وكيف ستجيرني على ذلك ؟ بالتعذيب ؟ .

رد وزير الزراعة :ـ اننا لن نمس شعرة من جسمك . فخبرتك في هذا الأمر ثمينة بالنسبة لنا ، ولكننا نستطيع سحب قسائم الطعام .

ـ ولكن الجوع سيضر بي .

ـ ليست قسائمك أنت ، لكننا بما أننا مهيئون لقتل بضعة بلايين من الناس في سبيل الجنس البشري فاننا لاشك مهيئون لأمر أبسط كثيرا وهو سحب قسائم الطعام من ابنتك وزوجها وطفلها .

ـ سكت رود مان بينما تابع الوزير : سوف نترك لك بعض الوقت لتفكر . نحن لا نريد الاساءة الى عائلتك ، لكننا سوف نفعل ذلك اذا اضطررنا . سنمهلك اسبوعا . ويوم الخميس القادم ستجتمع اللجنة كلها هنا . وأعتقد أنك عندها ستكون ملتزما مثلنا بهذا المشروع .

خلال الاسبوع التالي ضوعفت الحراسة على رودمان وغدا كالسجين . ويوم الخميس حضر جميع أعضاء مجلس الغذاء العالمي مع وزير الزراعة وبضعة أعضاء من المجلس التشريعي الى المخبر . وجلسوا حول الطاولة في غرفة الاجتماعات في البناء الفخم الذي بني من أموال الشعب .

وتحادثوا خلال ساعات . ورسموا الخطط ، مسترشدين باجابات رودمان على بعض الاسئلة المحددة . دون أن يسأله أحد ما اذا كان سيتعاون معهم ، ودون أن يتبادر الى ذهنهم أنه لن يفعل ذلك .

وفي النهاية قال رودمان : ان مشروعكم غير عملي . لانه بعد وصول شحنات الحبوب الى المناطق

المعينة من العالم ، سيموت مئات الملايين ، فهل تعتقدون أن الذين سيعيشون سوف لن يعرفوا السبب ، انكم بذلك تخاطرون باحتمال انتقامهم المستميت بالقنابل الذرية ؟ .

هنا أجابه أفار لقد درسنا هذا الاحتمال . هل تعتقد أننا قضينا سنوات في التخطيط دون النظر بعين الاعتبار لاحتمال رد فعل المناطق المختارة للقضاء عليها ؟

سوف لن يعلموا أنهم قد اختيروا لذلك . وسوف لن تكون كل شحنات الحبوب موبوءه بالليبو بروتين . وسوف لن نركز على مكان واحد . وسنعمل على نشر الوباء في الحبوب المزروعة محليا هناك . اضافة الى انه لن يموت الجميع . بل ان بعضهم فقط سيموتون وذلك حسب بنية الأغشية في خلاياهم . وسيبدو الأمر وكأن الطاعون قد عاد .

ـ وهل فكرت في الرعب الذي ستخلفه عودة الطاعون ؟

ـ ان ذلك سيكون درسا مفيدا لهم . وسنعلن عن اكتشاف ترياق لهذا المرض ، وسنعمم التلقيح الشامل في المناطق التي نعلم أنها لن تصاب . ان العالم مصاب بمرض يائس ولا بد من الاستماتة في المعالجة . ان العالم على شفا موت مريع من المجاعة . لذلك لا مجال للمناقشة في طريقة انقاذه .

قال رود مان : أود أن أسال هل هذه هي الطريقة الوحيدة . أم أنها الطريقة السهلة التي لن تتطلب أية تضحية منكم بالذات . . بل بلايين من الآخرين من البشر . وتوقف رودمان عندما جاءت عربة تحمل الطعام الى الغرفة . وقال : لقد أوصيت لكم على بعض الطعام . يمكن أن نتناوله الآن خلال لحظات من الهدنة بيننا ، وأمسك باحدى الشطائر وقال : على الأقل فلنأكل جيدا بينما نناقش اكبر جريمة قتل جماعي في التاريخ نظر أفار الى ماتبقى من شطيرته وقال : هل هذا هو الأكل الجيد ؟ بيض على خبز غير طازج ثم تنهد وهو يقول : لو كنت مكانك لغيرت المطعم الذي أتعامل معه .

راقب رودمان الآخرين وهم يأكلون ، ثم مد يده وتناول الشطيرة الأخيرة وقال :

ـ لقد خطر ببالي أن بعضا منكم سيفقد شهيته بسبب موضوع المناقشة ، لكنني كنت مخطئا . فكلكم قد أكل .

قال أفار : وكذلك أنت . بل انك مازلت تأكل .

رد رودمان بينما كان يمضغ ببطء : نعم وانني أعتذر عن كون الخبز غير طازج ، فقد حضرت الشطائر بنفسي البارحة ، ومضى عليها أكثر من خمس عشرة ساعة .

تساءل أفار : أنت حضرتهم بنفسك ؟ .

ـ نعم كان لابد من ذلك . اذ ليست هنالك طريقة أستطيع أن أتأكدبها من وضع الكمية المناسبة من الليبو بروتين .

ـ ماذا تقول ؟ .

ـ أيها السادة : لقد قلتم لي انه من الضروري أن نقتل البعض لانقاذ الآخرين . ربما تكونون على صواب ، بل انكم أقنعتموني بذلك . ولكن لابد لنعرف تماما ماذا نحن فاعلون من التجربة على أنفسنا . وما الشطائر التي تناولتموها الا تجربة في هذا المجال .

قام بعض المسؤولين من كراسيهم وقالوا : لقد سممتنا .

قال رودمان : ليس ذلك بالأمر الأكيد . فأنا لا اعرف البنية الكيميائية لكل منكم تماما ، لذلك لا استطيع أن أضمن نسبة ٧٠٪ التي تحدثتم عنها .

حدقوا فيه بأعين جمدها الفزع ، بينما تابع رودمان :

ـ على أنه من المرجح أن يموت اثنان أوثلاثة منكم حلال هذا الاسبوع . وماعليكم الاّ الانتظار لمعرفة من سيكونون . ليس هنالك دواء أو ترياق ، ولكن لاتقلقوا فهو موت غير مؤلم .

وستكون يد الله هي القاضية ـ كما ذكر أحدكم . . وهو درس مفيد كما ذكر آخر . وفيما يتعلق بالذين سيعيشون منكم فقد تتغير آراؤهم حول الموت الانتقائي .

قال أفار : انك تخادعنا . فقد أكلت من الشطائر مثلنا .

رودمان : نعم لقد حضرت الليبو بروتين بصورة تناسب بنيتي الكيميائية الحيوية بحيث أن موتي سيكون أكيد وسريعا . وأغلق وهو يقول :

عليكم أن تستمروا بدوني . . . أعني أولئك الذين سيعيشون منكم . □





تحليل فى الدوافع والاهداف

بقلم : فارس المنصوري *

في رمضان الماضي نشرت صحيفة « صن » SUN اليومية الواسعة الانتشار «كاريكاتورا» يصور مجموعة من الخنازير وهي تتظاهر بغضب أمام مطابع واينغ (التي تصدر عنها هذه الصحيفة اللندنية) بينما يقول الشرطي الذي يحرس البناية : « المشكلة هي أن الخنازير تحتج على تسميتها عربا !! »

وفيما يلي قصة هذا الكاريكاتور الذي رسمه فرانكلين : قبل فترة صدرت « الصن » وهي تحمل عنوانا رئيسيا في صفحتها الأولى يقول : « خنزير عربي يتسلل عائدا الى بريطانيا ، اركلوه الى الخارج !» والمقصود مواطن ليبي عاد الى بريطانيا ، فاذا بالصحيفة المذكورة التي توزع حوالي أربعة ملايين نسخة يوميا تتهمه بالانتماء الى مجموعة الليبيين الدين رحلتهم السلطات البريطانية من أراضيها ، اثر حادث مصرع الشرطية ايفون فليتشر أمام السفارة الليبية في ابريل ١٩٨٤ .

على أن أحد المواطنين البريطانيين استاء من العنوان العنصري الذي يشتم العرب دونما تمييز ، وقدم شكوى الى مجلس الصحافة البريطاني الذي يشرف على التزام الصحف بالقواعد الاخلاقية والمهنية .

لكن هذا المجلس بعد البحث والتداول في موضوع الشكوى أصدر حكمه بأن عنوان « الصن » لم يكن عنصريا ، مبررا قراره على النحو التالي : صحيح أن العنوان كان مسيئا ومهينا ، وذلك ما قصد به فعلا ، وصحيح أن الصحيفة اتخذت في هذا

* باحث وكاتب عربي يقيم في اقليم الاندلس الاسباني ، له دراسات وبحوث تتناول الصهيونية والمواقف الغربية من القضايا العربية والاسلامية .

العنوان موقفا بعيدا عن الموضوعية المطلوبة في كتابة العناوين ، الا أن عبارة « خنزير عربي » مع أنها شديدة ، ليست عنصرية في اعتبار المجلس ، وبالتالي لن يصدر حكم زجر بحق الصحيفة .

وكانت نتيجة هذه التبرئة ان عادت « الصن » فأكدت على موقفها العنصري المهين للعرب جميعا وللمسلمين بنشرها ذلك الكاريكاتور الذي لم تعرف الصحافة البريطانية مثيلا له في القسوة المتناهية منذ الحرب العالمية الثانية .

هذا الحادث أثار ثائرة العرب في لندن ، وأعادات إحدى الصحف العربية الصادرة في العاصمة البريطانية نشر كاريكاتور فرانكلن ، واضعة اياه في صدر صفحتها الأولى تحت العنوان : « يا عرب . . الى متى السكوت على الاهانات ! »

وفورا وضع العرب اللوم على اليهود والصهيونية ، مشيرين الى مسؤ وليةروبرت مردوخ صاحب مجموعة الصحف التي تضم « الصن » « والصنداي تايمز » و « التايمز » وهو يهودي صهيوني ، والواقع أن هذا الميلياردير الاسترالي الذي يمتلك عددا كبيرا من الصحف والمجلات ودور النشر وشركات الانتاج السينمائي والتلفزيوني في مختلف أنحاء العالم ، من استراليا الى بريطانيا وأفريقيا والولايات المتحدة وكندا ، ليس يهوديا ، وانما هو ابن قسيس مسيحي بروتستانتي ، ولا تربطه علاقة دم باليهود ، ولو أن العرب قاموا ببحث تاريخ هذا الرجل وأصله وسيرته ، وهذه المعلومات متوفرة في الكتب والمراجع العامة ، لتيقنوا من مسيحيته الخالصة ، لكنهم افترضوا أن مردوخ اسم يهودي ، وغاب عن ادراكهم أنه اسم اسكتلندي قح وشائع بين الاسكتلنديين ، وبين المشاهير الذين يحملون هذا الاسم في الحاضر الروائية البريطانية المعروفة آيريس مردوخ المرشحة لنيل جائزة نوبل للآداب .

ذكرنا أن مردوخ ابن قسيس بروتستانتي ، اسكتلندي الأصل ، على ان هذا لا يعني مطلقا أن موقف صحفه المناهض للعرب ناجم بالضرورة عن خلفيته المسيحية ، فالواقع أن العداء الغربي للعرب يمكن تشبيهه بالسور الكبير الذي تدخل في بنيانه أحجار ولبنات متعددة النوع والمصدر ، ولدراسة ظاهرة العداء وتحليلها بشكل تشريحي موضوعي يستهدف اكتشاف الاسباب الكامنة وراء هذا الموقف الذي تساهم في تكوينه الأهواء العنصرية والدينية والاجتماعية ، والدوافع السياسية والاقتصادية ، لابد من العودة الى أواخر القرن الماضي لتتبع الخيط الى بدايته .

وفيما كان العرب والمسلمون يظهرون بشكل سلبي في السينما والتلفزيون وحتى المسرح ، كان اليهود يقحمون اقحاما في افلام سينمائية وتلفزيونية تمتلىء بالتمجيد والمديح لهم ، ولدينا نموذج على ذلك في فيلم « غاندي » من اخراج البريطاني (غير اليهودي) رشارد انتبورو ، ففي هذا الفيلم الذي يسجل سيرة الزعيم الهندي صاحب مذهب المقاومة بلا عنف ، نشاهد مشهدا أقحم اقحاما في القصة ، فان أحد الرجال البيض الذين ينضمون الى صفوف غاندي أثناء مقاومته لتفرقة العنصرية في جنوب افريقيا في أوائل هذا القرن ، يظهر وهو يرتدي نجمة داود حول عنقه ، لافهام المشاهد أنه يهودي ، اقتنع برسالة غاندي وجاهد معه ، هذا الرجل الذي يظهر مرتين في الفيلم ،دون أن يشكل هذا الظهور أي اضافة للقصة وسياقها ، فضلا عن أن موضة ارتداء نجمة داود لم تنتشر بين اليهود الا ابتداء من الخمسينيات ، بينما يعود المشهدان المذكوران الى فترة تاريخية تسبق ذلك بعشرات السنين . لكن المسألة تتعلق بالتركيز على اليهود ودورهم في صنع الأحداث الكبرى أينما حدثت .

هذه النغمة التمجيدية أصبحت ظاهرة من ظواهر عصرنا ، نسمعها في الاذاعة ، ونشاهدها في التلفزيون والسينما والمسرح ، ونقرأها في الصحف والكتب ، ومؤخرا وجدت هذه الظاهرة واسطة جديدة لها في شكل لعبة منزلية ظهرت مؤخرا واكتسحت العالم وأضحت اليوم اللعبة المنزلية الاولى ، اذ درت على أصحابها الامريكان مئات الملايين من الدولارات ، وفاقت مبيعاتها جميع مبيعات الألعاب المنزلية الأخرى مجتمعة ، وبينها ألعاب كلاسيكية ذات تاريخ طويل وشعبية واسعة ، مثل سكرابل ومونوبولي اخ . . .

وتقوم « انشغالات تافهة » وهذا هو اسم اللعبة على مبدأ بسيط هو : المعلومات العامة ، فاللاعب الذي يمكن أن يتراوح سنه بين الثالثة عشرة والسبعين

يلعب على لوحة مقسمة الى خانات ملونة عديدة ، وعليه تحريك مركبته عبر هذه الخانات حسب الرقم الوارد في النرد ، وكلما تحط مركبته على خانة يسحب غريمه بطاقة تحمل نفس لون تلك الخانة ، ويطلب منه الاجابة على سؤال وارد في البطاقة ، علما بأن الجواب الصحيح مطبوع فيها الى جانب السؤال ، وتحتوي البطاقات على ستة آلاف سؤال منتقاة من الجغرافيا والتاريخ والسياسة والعلوم والرياضة والفنون والطبيعة وعالم التسلية .

وقد أطلق واضعو اللعبة الامريكان على لعبتهم اسما يوحي بأنها في عداد الهوايات أو الانشغالات التافهة القليلة الأهمية والجدية ، وذلك لتطمين الجمهور وافهامه أن الأسئلة ليست من الوزن الثقيل ، وانما هي خفيفة مسلية . . ومثالية لتمضية أوقات الفراغ مع الاصدقاء .

بيد أن العربي الذي يطلع على الأسئلة في النسخة الاصلية الانجليزية (وهي التي ترجمت عنها النسخ الأخرى) سيجد أن عددا لايستهان به من هذه الاسئلة يتوخى ترويج أفكار مسبقة ذات طابع تلقيني بحت .

وهذه هي الأسئلة المتعلقة بالعرب . . و « اسرائيل » .

فبالنسبة « لاسرائيل » نعثر على الأسئلة التالية :

ـ ما هي عاصمة « اسرائيل » ؟ الجواب : القدس

ولايذكر واضعو اللعبة أن الدولتين الوحيدتين اللتين اعترفتا بالقدس عاصمة شرعية « لاسرائيل » هما كوستاريكا وليبيريا ، وانهما قد فعلتا ذلك تحت وطأة الضغط الأمريكي الشديد .

ـ من هو أول رئيس وزراء اسرائيلي ؟ في أي بلاد يقع ميناء حيفا ؟ كم عدد الاشرطة في علم « اسرائيل » ؟

ـ كم عدد الرهائن الذين قتلوا في غارة عيتيبة ؟ كم عدد الكوماندوس الاسرائيليين الذين قتلوا في غارة عيتيبة ؟

ـ أين اختطف الكوماندوس الاسرائيليون أدولف ايخمان ؟ على أي عين كان موشي ديان يضع عصابته ؟

ـ كم عدد الرياضيين الاسرائيليين الذين قتلوا أثناء الألعاب الأولمبية في ميونخ ؟

ـ ما اسم الدولة المتاخمة للبنان وسوريا والأردن ومصر ؟ ما اسم الدولتين المتاخمتين للبحر الميت ؟

ـ أي زعماء ثلاثة وقعوا على اتفاقية كمب ديفيد ؟

ثم :

ـ أي رئيس وزراء اسرائيلي قضى سنتين في معسكر اعتقال روسي ؟ الجواب مناحيم بيغن .

وفي مقابل هذه الاسئلة الموجهة التي تدور حول جغرافية « اسرائيل » وتتناول زعماء « اسرائيل » وبطولات « اسرائيل » ، نجد حفنة من الاسئلة تتعلق بالعرب :

ـ بأي يد لايأكل البدوي الذي يقطن الصحراء ؟

ـ كم عدد الأنهار الموجودة في العربية السعودية ؟ الجواب : لاتوجد أنهار .

ـ ما هي الدولة العربية الوحيدة بلا صحراء ؟ الجواب : لبنان .

ـ أي دولة صحراوية تتاخم السعودية والعراق والخليج العربي ؟ الجواب : الكويت

نرى في هذه الأسئلة عزفا واضحا على الفكرة العنصرية القديمة التي تؤكد على صحراوية الوطن العربي وبداوة الفرد العربي ، واستكمالا لهذه الصورة السلبية التي ترسمها الأسئلة للشخصية العربية ، نجد أسئلة أخرى تضيف تشويها للنضال الفلسطيني الى هذه الملامح الكئيبة .

ـ من هو الشخص الوحيد الذي ألقى كلمة في منظمة الأمم المتحدة وهو متمنطق بمسدس ؟

وطبعا الجواب معروف سلفا . فالشخص المقصود هو ذلك « الارهابي السيء الصيت » ياسر عرفات ، وهكذا يوضع « الارهابي » عرفات مقابل المناضل في سبيل الحرية والديمقراطية » الذي سجنه الروس في معسكرات الاعتقال القاسية : مناحيم بيغن !

من بين ستة الاف سؤال تتناول شتى المواضيع في التاريخ والجغرافيا والفنون والسياسة والعلوم والرياضة والطبيعة ، الاسئلة التي ذكرناها هي الوحيدة المتعلقة بالعرب والمسلمين .

وليس من باب الصدفة أن يفوز ليون أوريس الكاتب الأمريكي الصهيوني بحصة الأسد بين اسئلة « انشغالات تافهة » ، فانه الكاتب الوحيد الذي يتناوله أكثر من سؤال واحد ، وهو شرف لم ينله أدباء

من وزن تولستوي وبلزاك وغوته وهوميروس وسرفانتس . رغم ما يشبه الاجماع على ضحالة موهبته الأدبية ، وطبعا أهم سؤال يدور حول كتب أوريس هو التالي : ـ

ـ أية رواية من روايات ليون أوريس تناولت مولد « اسرائيل » ؟

والملاحظ أن العرب يركزون ردود فعلهم الارتجالية على مظاهر العداء دون جوهره ، ولا ريب في أن كاريكاتور « الصن » جارح ومهين ، الا أنه في نهاية المطاف مجرد وقاحة وتفاهة .

ان الأخطر بكثير من هذا الكاريكاتور وما شابه ذلك « هو الاتجاه المعادي المدروس الذي شاهدناه في لعبة « انشغالات تافهة » الذي يرمي الى النيل من سمعة العرب والمسلمين على صعيد العالم .

فاللعبة المذكورة صدرت حتى الان في نسخ فرنسية واسبانية وألمانية وايطالية وبرتغالية ويابانية وهندية الى جانب النسخة الانجليزية الاصلية ، وفي كل نسخة من هذه النسخ التي تباع بالملايين ، تتكرر الصورة المعيبة للشخصية العربية ، صورة الشخصية الصحراوية التي تحيا وسط اجواء الارهاب والاغتيال والتخلف الحضاري ، ولاشك أن جيلا كاملا سينشأ في العالم ، بشقيه الشرقي والغربي ، وهو على ايمان تام بأن القدس هي العاصمة التاريخية الشرعية المعترف بها دوليا لدولة « اسرائيل » الديمقراطية المحبة للسلام !

والمفارقة المؤلمة أن شركة « تريفيال بيرسيوت » تعمل حاليا بجد ونشاط على تسويق النسخة العربية المعدة خصيصا لنا ، لو أننا لانظن أنها ستذهب الى حد وضع سؤال عن عاصمة فلسطين ، فالقدس لايمكن أن تكون عاصمة « اسرائيل » وفلسطين في آن واحد ، كما أنها ستدرج بين قائمة أسئلتها أسئلة حول المقاومة الفلسطينية وشرعيتها التي لاتقبل الجدل ، ولكنها على الأرجح ستخصص الكثير من الاسئلة عن التراث العربي الاسلامي ، فهي بعد أن حجبت ذكر أية اشارة الى هذا التراث في نسخها الانجليزية والفرنسية والالمانية والاسبانية واليابانية والهندية والصينية و . . و . . ستتكرم على العرب بتذكيرهم بأمجادهم في التاريخ من أجل وضع اليد على أموالهم.

وهكذا يمكن القول بأن شركة تريفيال بيرسيوت تستحق التهنئة على شطارتها الفائقة ، فهي بعد أن لوثت سمعة العرب ومرغتها في الأوحال ، جاءت الان لتنال مكافأتها المادية الدسمة منهم !!!! □

منتدى العربي

تعقيب على مقال : صور المحاربين من تاريخنا

بقلم : ابراهيم ونوس

عودتنا مجلة العربي منذ صدور أول عدد منها حتى اليوم على دقة المعلومات التي ترد في كتاباتها وبأقلام كتابها المرموقين ، واذا ماحدث خطأ ما فمرده الى السهو من المحرر الذي يراجع المقال قبل اجازته للنشر ، وجل من لا يخطي . . .

أقول هذه الكلمات بعد أن قرأت مقال الدكتور هاشم ياغي بالعدد ٣٣٢ من مجلة العربي بعنوان « صور المحاربين في تاريخنا » . . يستعرض فيه صور

المقاتلين العرب في الجاهلية ، وصدر الاسلام ، وفي مرحلة تمزق الدولة الاسلامية الى إمارات وولايات شبه مستقلة في القرن الرابع الهجري . . وعندما يصل الى رسم الصورة الثالثة للمحاربين ، المتمثلة بجيش الأمير الحمداني سيف الدولة يقول : ص ١١١ من مجلة العربي » :

ـ « أما الصورة الثالثة التي وددت أن أشير اليها من صور المحاربين في تاريخنا فهي صورة جيش الأمير سيف الدولة الحمداني الذي كان يقف رغم صغر امارته على الحدود بين الدولة الاسلامية والدولة البيزنطية وقفة شجاعة ، وان كانت تتكيء على جيش يغاير في تركيبه جيش القبائل في الجاهلية ، وجيش المسلمين في الفتوح . . فقد كان خليطا من أقوام متعددة الجنسيات ، في عصر اقطاعي غرق في أسواق الرقيق الذي أفاد منها سيف الدولة ، فأنشأ ذلك الجيش الذي يصفه الشاعر الكبير المتنبي بقوله :

أتوك يجرون الحديد كأنهم
سروْا بجياد مالهن قوائم
خميس بشرق الأرض والغرب زحفه
وفي أذن الجوزاء منه زمازم
تجمع فيه كل لسن وأمة
فما يفهم الحداث الا التراجم

والحقيقة التاريخية تخالف هذا القول تماما ، فجيش سيف الدولة كان بغالبيته من أبناء أفخاذ بكر بن وائل ، عشيرته تغلب ، وشيبان وغيرهما ، وأبناء القبائل العربية الأخرى التي كانت تسكن بوادي ومدن شمال بلاد الشام ، كبني كلاب ، وقشير ، ونمير ، وبلعجلان وتنوخ وغيرهم . . وهذه القبائل كانت تسكن المناطق التي تمتد من الموصل ، وديار بكر شرقا ، الى أنطاكية واللاذقية غربا ، و « من حدود بلاد الشام مع الدولة البيزنطية شمالا ، حتى بوادي « سلمية » و « تدمر » و « حسياء » جنوبا . . واذا وجد في جيشه بعض الغلمان والقادة من غير العرب ، فهم قلة لا يتجاوزون عدد أصابع اليدين ، ذكر لنا التاريخ أسماء بعض منهم « يماك » و « قرعويه » و « نجا » . .

والشاعر أبو الطيب المتنبي لم يصف في الأبيات التي أوردها كاتب المقال جيش الأمير سيف الدولة . . بل وصف بها جيش الروم الكبير الذي هزمه سيف الدولة شر هزيمة في معركة « الحدث الكبرى » عام ٣٤٣ هـ . .

والحدث قلعة قديمة على حدود بلاد الشام مع الدولة البيزنطية ، خربها وأحرقها القائد البيزنطي «الدمستق فردس فقاس » سنة ٣٣٧ هـ . فقرر الأمير سيف الدولة في ١٧ جمادى الثانية من عام ٣٤٣ هـ ، احتلالها واعادة ترميم حصونها وجدرانها ، كي يجعل منها قاعدة عسكرية متقدمة لقواته ، ويحرم العدو البيزنطي من الاستفادة منها في عملياته الحربية ، وفيما كان سيف الدولة منهمكا مع قادته وجيشه وعماله في بناء حصون القلعة تقدم القائد البيزنطي نحو القلعة بجيش عرمرم من اليونان والبلغار والخزر والصقالبة والروس والأرمن ، زاد عن خمسين ألفا بين فارس وراجل . . .

وعندما وصل الجيش البيزنطي الى أرض المعركة ، أعطى القائد أوامره بمحاصرة قلعة الحدث . . فتم له هذا . .

تم حصار الروم لجيش سيف الدولة في أصيل أحد أيام أواخر جمادى الثانية من عام ٣٤٣ هـ ، وكان الأمير سيف الدولة قد علم مسبقا ماذا سوف يفعل القائد الرومي ، وقد هيأ نفسه له ، فقرر أن يخوض معركته المريعة في صباح اليوم التالي . . فأمر وحدات الصدمة الرئيسية في جيشه أن تتهيأ خلال الليل ، وعددها حوالى خمسة عشر ألفا بين فارس وراجل ، بقيادة ابن عمه الأمير أبي فراس الحمداني ومحمد وهبة الله ابنى أخي سيف الدولة ، وناصر الدولة أمير مدينة الموصل في تلك المرحلة من التاريخ ، « ونجا » غلام سيف الدولة ، وأبقى الأمير سيف الدولة خمسة آلاف من خيالة البدو الخفيفة بامرته لحسم المعركة في الوقت المناسب . .

مع بزوغ أول ضوء في سلخ جمادى الثانية ، تقدم أبو فراس بقوام جيشه وهاجم جيش الروم بعنف وضراوة ، ومن مكان لم يكن يتوقعه القائد البيزنطي ، وهو اتجاه حصن من حصون القلعة يسمى « الأحيدب » . . دارت معركة رهيبة جدا لم يذكر التاريخ لها مثيلا في تلك الحقبة . . أبدى الأمير سيف الدولة حنكة ، وفنا قياديا عالي المستوى ، وتخطيطا مدهشا ، وشجاعة فائقة . . وبعد مرور بضع

ساعات على بدء المعركة ، والروم يعتقدون أنهم الغالبون ، وفي الوقت المناسب الذي خطط له الأمير سيف الدولة . . بدأ هجومه السريع بخيالته الخفيفة من فرسان البدو المعروفين بخبراتهم القتالية العالية باتجاه قلب الجيش البيزنطي ، وشق طريقه بهم بين صفوف الجيش المعادي ، ومعه أبو الطيب المتنبي ، حتى وصل الى مقر قيادة الجيش البيزنطي فلم ير أمامه سوى الفرار والنجاة من سيف الدولة . . ففر بسرعة ، وترك جيشه طعما لسيوف جنود سيف الدولة . . وقبل غروب شمس ذلك اليوم ، كان جيش حلب يسيطر سيطرة كاملة على الموقف ، بعد ابادة جيش الروم بكامله تقريبا ، وقتل في هذه المعركة ابن وصهره ، وابن عمه ، وزوج أخته . . وانتشرت جثث عشرات آلاف من القتلى من جيش الروم فوق أرض المعركة . . فأهاج هذا المنظر المريع شاعرية أبي الطيب المتنبي ، فنظم قصيدته التي يصف فيها المعركة ذات المطلع :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم

وأنشدها أمام الأمير سيف الدولة ، وجنده المنتصرين ، والعمال العرب يبنون آخر شرفة في قلعة الحدث . .

وفي هذه القصيدة يصف أبو الطيب الأمير سيف الدولة أثناء المعركة فيقول :

وقفت وما في الموت شك لواقف
كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة
ووجهك وضاح وثغرك باسم

ويصف أبو الطيب جيش الروم ، وليس كما ذكر كاتب المقال جيش سيف الدولة . . فيقول :

١٦ ـ أتوك يجرون الحديد كأنهم
سروا بجياد ما لهن قوائم
١٧ ـ اذا برقوا لم تعرف البيض منهم
ثيابهم من مثلها ، والعمائم
١٨ ـ خميس بشرق الارض والغرب زحفه
وفي أذن الجوزاء منه زمازم
١٩ ـ تجمع فيه كل لسن وأمة
فما تفهم الحداث الا التراجم

قال أبو البقاء العكبري في شرحه للبيت رقم ١٧ من القصيدة مايلي :

ـ « المعنى : جعل الروم يبرقون لكثرة ما عليهم من الحديد ، والبريق اللمعان ، يفرق بين سيوفهم وبينهم ، لأن على رؤ سهم البيض والمفاخر ، وثيابهم الدروع ، فهم كالسيوف ، وقد فسره بقوله : « من مثلها » . . أي مثل السيوف ، يريد من الحديد وأشار بهذا الوصف ، أعنى كثرة سلاح هذا الجيش الى قوته ، وبما ذكره عن هذه الهيئة الى شدته ، وسمعت بعضهم ، وكان شيخا يقرأ عليه الديوان يقول : « أخطأ أبو الطيب ، كيف ذكر العمائم ، والعمائم للعرب . . وليست للروم ، فكيف جعلها للروم ؟ » فضحكت من قوله ، وقلت له : « الضمير في « مثلها الى أين يعود ؟ أليس الى البيض وهي السيوف ؟ فلم يدر ما قلت » .

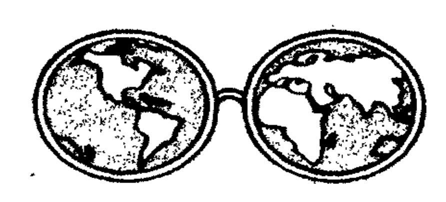
وبذا يتبين لنا أن أبا الطيب المتنبي في الأبيات التي أوردها الكاتب في مقاله ، يصف فيها جيش الروم ، وليس جيش سيف الدولة ، فجيش سيف الدولة كانت وحداته متجانسة تماما ـ كما قلت سابقا ـ ويجمع بين الصورة الاولى التي رسمها الكاتب للمحاربين العرب في العصر الجاهلي ، لأن جيش سيف الدولة بمعظمه كان من أفخاذ قبيلة بكر بن وائل ، والصورة الثانية للمحاربين المسلمين الأوائل ، الذين كانوا يقاتلون لهدف سام ، وتأدية رسالة عظيمة خالدة هي رسالة الاسلام . .

وبعد . . أرجو للدكتور هاشم ياغي كاتب المقال التوفيق . . والى مجلة العربي المزيد من السمو والمجد . . لأنها أتاحت لنا مثل هذا اللقاء على صفحاتها ، والله ولي التوفيق . .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . □

■ **على الانسان في سبيل التراحم والحب الا يدع للموت سيطرة على فكره (توماس مان) .**

العربي - العدد ٣٣٦ - نوفمبر ١٩٨٦



عندما يتكلم الحجر عن العرب .. في الشمال الإسباني

استطلاع : حسن محمود عباس / تصوير : أوسكار متري



فوق/ في هذا الموقع اكتشف العرب المياه المعدنية . وقد شيدت مبان حديثة يؤمها السائحون للاستشفاء .
إلى الشمال/ فتحة في أحد جدران قلعة أيوب ، أحدثها الزمن . . .



كثر الحديث عن جنوب أسبانيا وآثار العرب في الأندلس ، وامتشق كتاب كثيرون أقلامهم ، وأطنبوا في الوصف والقول ، ولكن . . ماذا عن وجود العرب وآثارهم في الشمال ؟ ألا يجدر بنا أن نقف وقفة تستطلع وتتأمل . . وتروي ؟

أما عن الوجود العربي في الشمال الأسباني فقد كان قصيراً نسبياً اذا قورن بمئات السنين التي قضاها العرب في الجنوب ، ولكنه كان وجوداً فاعلاً مؤثراً . ترى آثاره ماثلة في أكثر من مجال ، وما أبراج الموحدين في طوريل وقصر الجعفرية في سرقسطة وقلعة أيوب في البلدة التي تحمل الاسم ذاته الا شواهد عدل .

كانت بلنسية وجهتنا ، وهي المدينة الثالثة من حيث الأهمية بين مدن أسبانيا ، وتأتي بعد مدريد وبرشلونة . يبلغ عدد سكانها حوالي نصف مليون نسمة ، وترتبط بمدريد بخط حديدي ، وبطريق بري طوله حوالي ٣٢٠كم ، وهي تبعد عن شاطيء البحر ٤كم .

وبلنسية مدينة تشتهر أرضها بالخصب ، وبكثرة الأشجار والبساتين ، وكان العرب يصفونها بقولهم أنها أرض التراب ، لجودة تربتها ، وسعة رقعة الأرض الزراعية فيها ، وهي كثيرة الجنائن ، كانوا ـ أي العرب ـ اذا أحبوا بلدا تمنوا له جنائن بلنسية ونخيل البصرة .

فتحها طارق بن زياد في عام ٧١٤ م ، واستردها الاسبان في عام ١٢٣٨ ، وحفلت حياتها ـ بين هذين التاريخين ـ بأحداث جسام ، وظهر فيها غير قليل من الأدباء والعلماء والشعراء . ظلت بلنسية ـ بعد زوال الحكم العربي عنها وعن اسبانيا بعامة ـ معقلا رئيسيا من معاقل الموريسكيين ـ وهم العرب المتنصرون ـ لأكثر من قرن من الزمن ، ولكنها على الرغم من ذلك لم تحتفظ الا بالقليل النادر من الآثار العربية ، أما العادات والتقاليد فلا تستطيع أن تنسب للعرب منها شيئا يذكر ، ويلفت انتباه المتجول في شوارعها أسماء عربية كشارع الرصافة الذي يؤدي الى حي يعرف بهذا الاسم أيضا ، فهل أن موقعهما الحالي هو ذات الموقع الذي وجدا فيه أيام الحكم العربي للمدينة ؟ توجهنا بهذا السؤال الى السيد (أرتير كلافير) المرافق الذي كلفه بالطواف معنا معهد السياحة التابع لجامعة بلنسية فأجاب :

« نحن نعلم أنه قد كان في بلنسية القديمة (على عهد العرب) شارع وحي يحملان هذا الاسم ، ولكننا الآن ، وبعد مضي ٧٥٠ سنة على زوال الحكم العربي للمدينة ، لا نستطيع أن نحدد المواقع ، وأن نجزم في القول بأن موقع الشارع وذلك الحي يقعان في موقع الشارع والحي القديمين ، فليس لدينا مرشد جغرافي يحدد مواقع المدينة القديمة بدقة ، ولكنني أؤكد بأنهما قديمان نسبيا » .

يمتد شارع الرصافة من حلبة مصارعة الثيران ، ثم يتقاطع مع شارع « خوسيه انطونيو » وهو شارع تجاري مهم ، تكثر في وسطه أشجار النخيل ، يقول السيد (كلافير) : « أما عن النخيل فلا أحد يماري في أن العرب قد جاءوا به الى بلنسية ، والى غيرها من المدن الاسبانية ، تماما مثلما جلبوا لنا أشجار البرتقال وزراعة الأرز وصناعة الحلويات ، والعناية بتربية النحل بغية الانتفاع بالعسل » . ويصحبنا مرافقنا الى عدد من الأحياء القديمة في المدينة ويقول : « ان الطابع المميز لهذه الأحياء هو الطابع العربي ،

فالشوارع الضيقة والنوافذ البارزة ، تحمل طابعا عربيا ملحوظا » .

في السوق :

واتجهنا الى ميدان يقال له « ميدان السوق » وهو سوق عربي قديم ، يقول مرافقنا : « ما زال هذا الميدان يعرف بالسوق العربي ، وقد قلّت أهميته الآن ، ولكنه ظل حتى القرن الثامن عشر مركزا تجاريا مهما ، حيث كان الباعة يأتون اليه بما يحملون من بضائع مختلفة ، ويحتشد الناس هنا في أيام محددة من الأسبوع يتبادلون البيع والشراء » .

ولا تبعد كاتدرائية بلنسية ببنائها القديم الضخم عن السوق كثيرا . ويقال في تاريخها أنها كانت كنيسة في عهد الرومان ، ولكن العرب جعلوا منها جامعا كبيرا ، ولما استرد الاسبان المدينة من العرب هدموا الجامع وبقي منه عمود ، وشيدوا الكاتدرائية في مكان الجامع ، وظل العمود الذي لم يهدم يشغل ركنا من أركان الكاتدرائية .

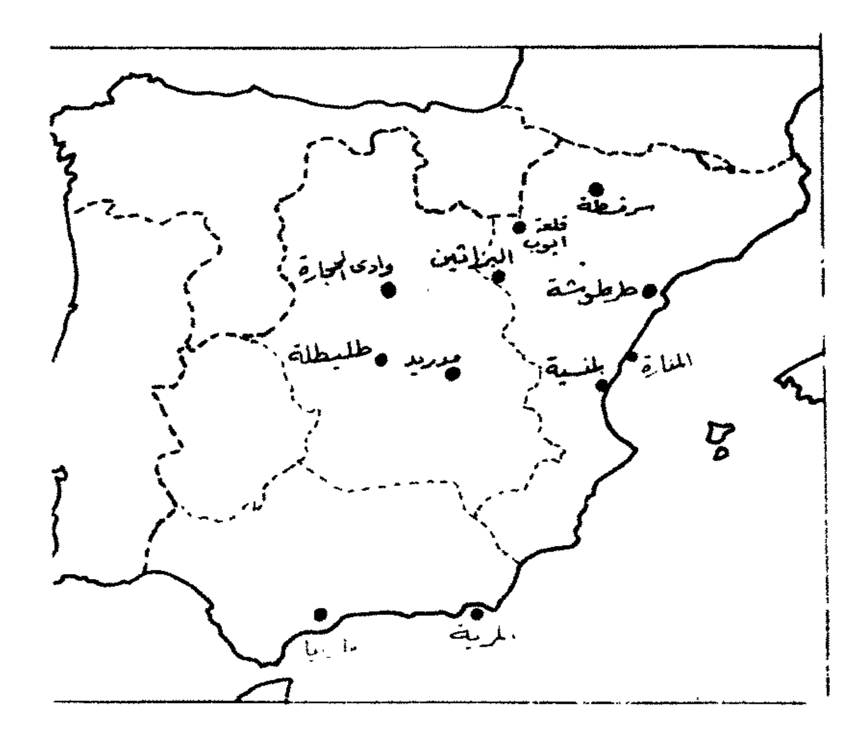
ويشير علينا المرافق بالذهاب الى الحمامات العربية ، فلما بلغناها وجدنا أنها قد تحولت الى نادٍ رياضي ، ولم يبق منها الا باب قديم !

وكان يحيط بمدينة بلنسية سور له أبواب عدة ، منها ما يعرف الآن « بالباب العربي » وقد هدم السور في عام ١٨٧١ ، وزالت الأبواب جميعا ، ما عدا هذا الباب الذي ظل شاهدا على أن العرب قد مروا من تحت سقفه !

في الملبس والمأكل :

قصدنا بيتا من بيوت الأزياء التراثية ، وسألنا عن امكانية العثور على ملابس أندلسية ، فوجدنا منها نماذج عدة ، وهي نسائية في معظمها ، ولكن أحدا من الناس لا يلبسها ، بل تظهر في المناسبات العامة ، كالاحتفالات بأيام مدينة بلنسية من كل عام ، كما تظهر على خشبات دور العرض المسرحي اذا كانت الشخصيات ترجع في زمانها الى عهد العرب .

أما في المأكل فهناك « طبخة » عربية تحظى بشعبية واسعة في بلنسية بخاصة وفي اسبانيا بعامة ، يقول (البلنسيون) انهم هم الذين ورثوا هذه الوجبة عن



المطبخ العربي القديم ، واحتفوا بها وطوروها ، ثم نقلت عنهم الى مدن اسبانيا ، انها « البائية » كما يلفظها الاسبان أو « البقية » كما يعرفها العرب في بلاد الشام بخاصة ، يقال في أصلها العربي انها تتألف من بقايا بعض الأطعمة كالخضار والدجاج والأسماك والأرانب ، كانوا اذا بقي لديهم كميات قليلة من هذه الأطعمة يحتفظون بها ، ثم تجمعْ كلها أو بعضها في قدر واحد ، بعد أن يضاف اليه الأرز لتقدم مرة أخرى ، بعد أن اكتسبت من « جمعها » مذاقا جديدا . أما التطور الذي لقيته على يد الاسبان فهو يتمثل في اختيار نوع واحد من اللحوم يضاف اليه الخضار والأرز ، يمكنك أن تذهب ـ اذن ـ الى أي من المطاعم المتخصصة بطبخها ، لتطلب « بائية » بالأرانب ، أو بالدجاج ، أو بالسمك وهكذا ، ويلح الناس في طلبها في أيام الآحاد وفي الأعياد والمناسبات العامة . وقد تذوقنا هذا الطبق الشهي في أحد المطاعم الكبيرة بدعوة من معهد السياحة .

النواعير والبراكات :

ومن آثار العرب الباقية في ريف بلنسية النواعير ، وهي احدى وسائل الري التي أخذ بها الزراع

فوق/ السور الذي بناه العرب حول قرية البرائين وقد بقيت معظم أجزائه .

الي اليمين/ أحد الأزقة في قرية البرائين وقد احتفظ بطابعه العربي القديم .

الي الشمال/ برج من أبراج الموحدين الأربعة التي شيدوها في مدينة طوريل وفيها تبدو دقة الزخارف وتناسق الألوان .





العرب ، والتي ما زالت قيد الاستعمال في كل من مصر وسوريا .

وللري في بلنسية قنوات وسواقي تثير الدهشة في كثرة تفرعاتها وحسن تنظيمها ، ان بساتين الريف المحيط بالمدينة تستقي الماء من النهر الأبيض ، منسابا في جداول عديدة وأقنية لا حصر لها ، نذكر منها قناة (مونكادا وتورموسى وراسكانا ومستالا وكورات وروبيللا ، وغيرها ، أما قناة (كورات) فمنتهاها في البحيرة ، وأما القنوات الأخرى فترجع الى النهر الأبيض مرة أخرى ، ثم تتوزع هذه القنوات في البساتين والأراضي الزراعية التي ترتوي منها في شعب ومجار يصعب الوقوف على عددها ، والفلاحون وأصحاب البساتين على دراية تامة بكيفية الانتفاع بمياه الري هذه ، وهم ينتخبون لكل قناة هيئة تشرف على توزيع المياه منها ، ويتألف من الهيئات جميعا ديوان الري .

قال محدثنا ودليلنا السيد (أرتير كلافير) وقد كنا نقف أمام أحد أبواب الكنيسة الكبرى في بلنسية : « في هذا المكان يجتمع ديوان الري يوم الخميس من كل اسبوع ، هنا يلتقي الفلاحون وأصحاب المزارع والبساتين ، ويعرضون مشكلات الري وسقاية الارض أمام قضاة ثمانية ، كل قاض يمثل ضاحية ، وفي هذه المحكمة العلنية يتم توزيع المياه بالعدل ، وتلك عادة جارية من أيام العرب الذين يرجع اليهم الفضل في تنظيم المياه وتوزيعها على هذا النحو المدهش » .

أما البراكة ويلفظها الاسبان « لابراكا » (وتجمع على براكات) فهي بيت عربي قديم ، كانت المساكن في منطقة « البوفيرة » ـ وهي تحريف لكلمة البحيرة العربية ـ تبنى على غراره ، ثم أخذ هذا الطراز من العمارة يندثر ، ولم يبق الآن الا نماذج قليلة لا تزيد عن عشر براكات ، ولعل الذي أغرى ببناء المساكن على هذا النمط أن أرض المنطقة رخوة ، تكثر فيها المستنقعات ، فهي قريبة من البحر ، ولا تحتمل أبنية كبيرة شاهقة . توجهنا الى احدى البراكات وكانت ـ بالصدفة ـ من أقدم ما تبقى منها . يسكن البراكة رجل عجوز في التاسعة والسبعين من العمر ، وزوجته البالغة ٧٦ سنة ، سألنا الرجل العجوز واسمه (انطونيو أراندا غارثيا) عما اذا كان قد سبق لوالده أن سكن هذه البراكة فأجاب بنعم ، وعما اذا كانت مساكن البحيرة كلها على غرار براكته فقال : نعم ، كل مساكن البحيرة كانت تتبع هذا النموذج من المساكن ، وقد حدث حريق كبير في منطقتنا أتى على معظم المباني المشيدة على هذا الطراز ، أنتم ترون أن البراكة تأخذ شكل مستطيل ، نقوم نحن بتقطيعه من الداخل الى غرف ومنافع صحية ، أما السقف (وهو على شكل العدد ٨) فيغطى بنوع من العشب يدوم طويلا ، لقد جددت عشب السقف منذ ٥٠ عاما ، أما البراكة المجاورة فقد جدد جاري عشب سقفها منذ ٧٥ عاما ، لقد ورثت هذه البراكة عن والدي ، وأظنها بنيت قبل حوالي ١٥٠ سنة ، لأننا ـ انا واخوتي الكبار ـ ولدنا ونشأنا فيها » .

*** هل هناك أناس مازالوا يحرصون على سكنى هذا النوع من المساكن ؟**

ـ الشباب من الجيل الجديد يعزفون عن سكناها ، ويفضلون البناء على الطراز الأوروبي الحديث ، ولكن السلطات المحلية في بلنسية لا تسمح بهدم ما تبقى من البراكات .

*** أين ذهبت البراكات المماثلة اذن ؟**

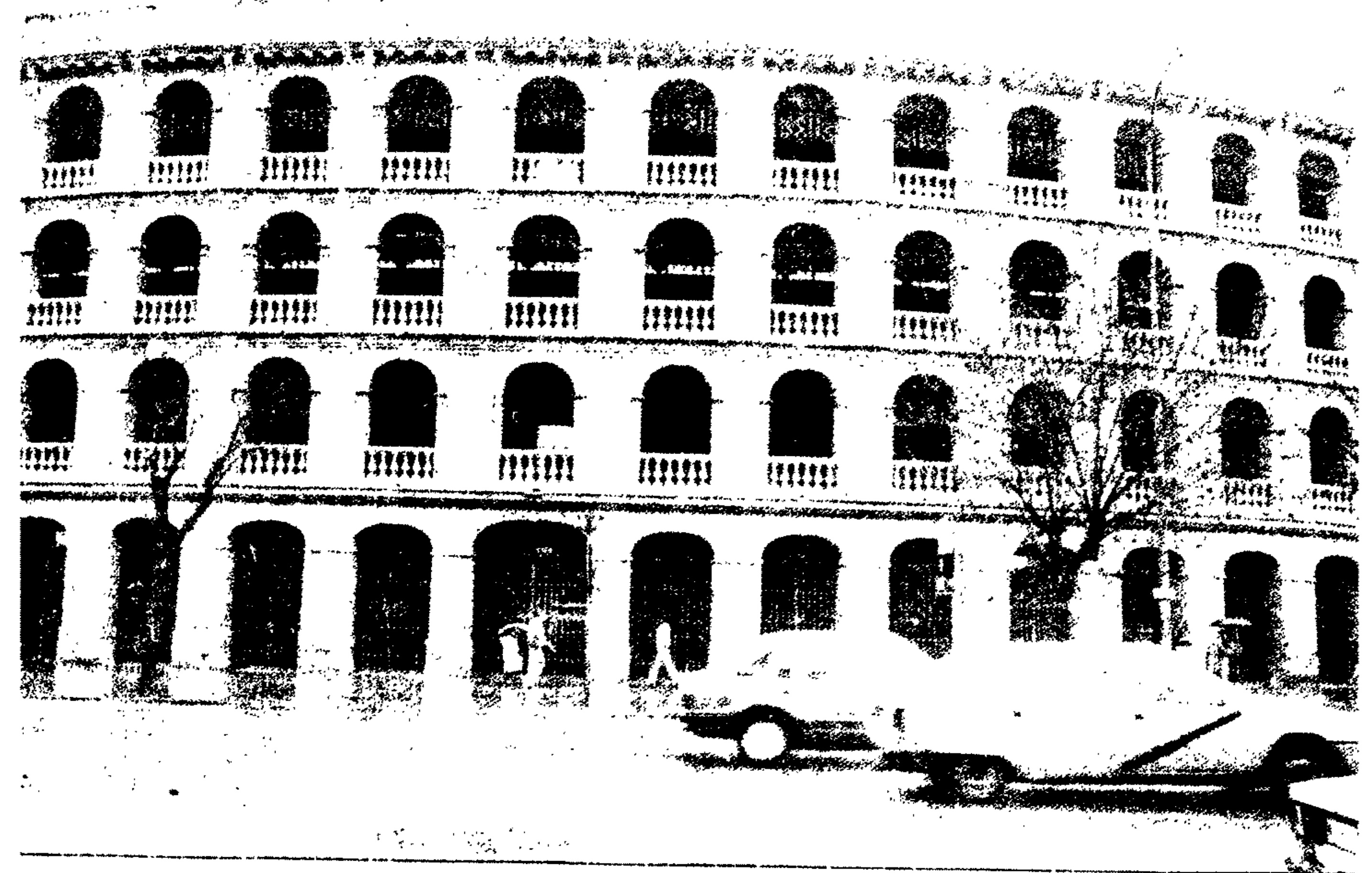
ـ زال كثير منها بفعل الحريق الذي أشرت اليه ، وقام الاهالي بهدم الجزء الأكبر لتحل محله مبان حديثة ، وقد صدر حديثا قانون يحظر على الناس هدمها ، بل ان بلدية بلنسية تدفع مساعدات مالية لاصلاح البراكات الحالية وترميمها وتجديدها .

*** هل يستطيع أحد من أبناء الجيل الجديد بناء براكة ؟**

ـ لايعرفون ، ولا يشغلون أنفسهم بها ، أما أنا ومن بقي من أبناء جيلي على قيد الحياة فنستطيع ذلك ، ولكننا لا نطيق بسبب ما ترى من عجز الشيخوخة .

ثم غادرنا البراكة شاكرين للعجوزين حسن استقبالنا ، واتجهنا الى ناحية السوق ، فدخلنا محلا يبيع عصيرا ، وتناولنا شرابا سائغا ، حلو المذاق ، أبيض اللون ، أشار به علينا رفيق دربنا المهندس (عدنان لبابيدي) وهو عربي الأصل من سوريا ، يحمل الجنسية الاسبانية .

سألنا البائع عن هذا الشراب وعن أصله فأجاب :



حلبة مصارعة الثيران في بلنسيه ، وتبدو عليها اثار العمارة الاسلامية .

« يصنع هذا الشراب ـ ويدعى تشوفا بالاسبانية ـ من حب أشبه بحب الحمص ، تنقع الحبوب بالماء ، ثم تدق في جرن ، ويضاف اليها ماء وسكر وقليل من عصير الليمون ، ويقدم باردا . نحن في بلنسية نعرف بأن العرب هم الذين أتوا بهذه الحبوب الينا . »

ويعقب رفيقنا المهندس العربي قائلا :

هذا الشراب شائع في بعض المدن السورية ، وهو يصنع من نفس الحبوب التي يصنع منها في بلنسية ، والناس هناك يدعونها « حب العزيز » .

في الطريق الى سرقسطة :

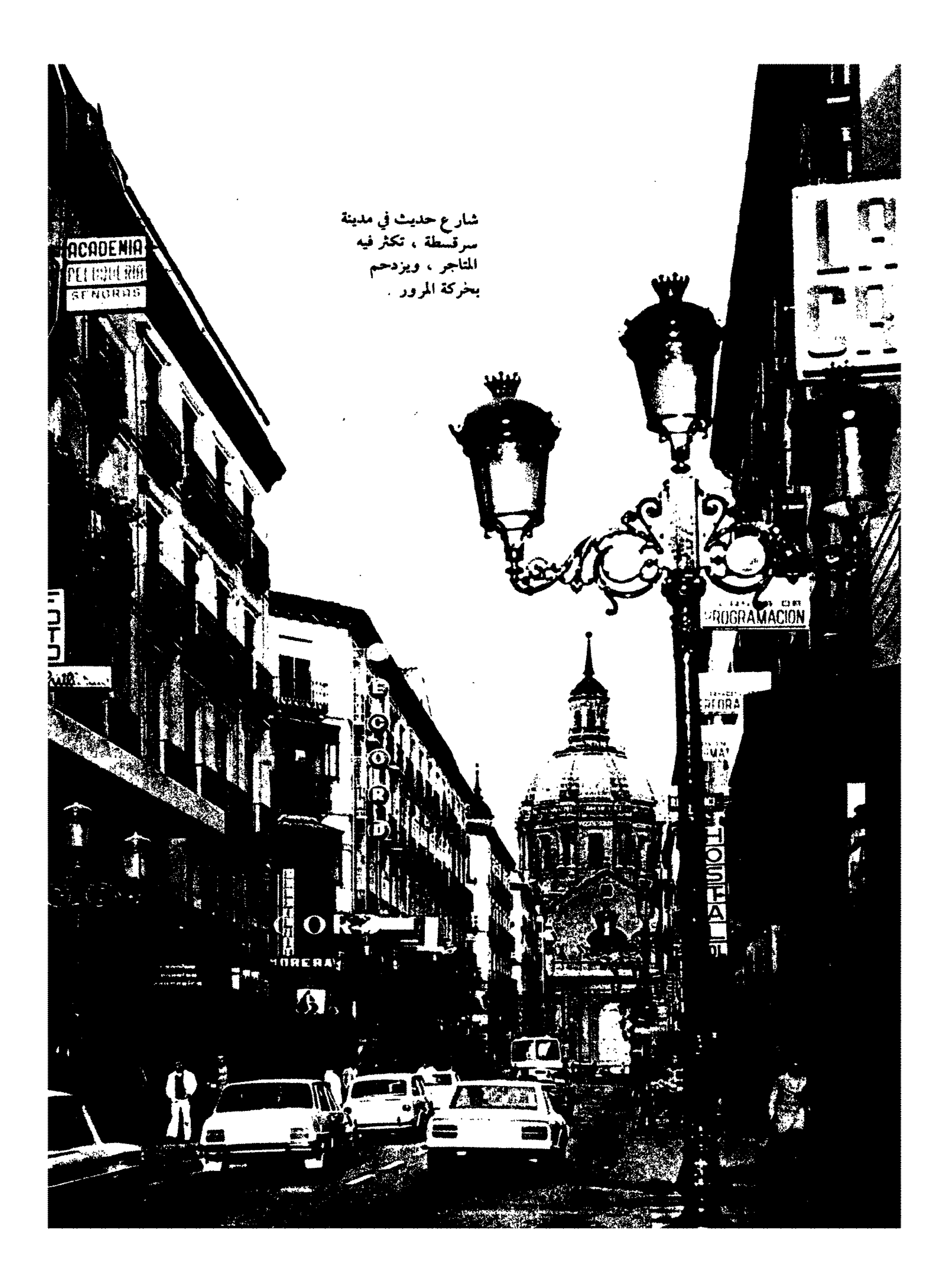
وعندما ادركنا الغاية في بلنسية ـ بقدر ما أسعفنا الوقت ـ توجهنا الى سرقسطة ، ولكن الطريق لايخلو من آثار عربية ، والمسافة بين بلنسية وسرقسطة تقرب من ٣٥٠ كم ، الا أن اجتيازها استغرق منا نهارا كاملا وبعضا من الليل .

كانت قرية (خيريكا) أول قرية توقفنا فيها ، وهي قرية جبلية ، وفي أعلى الجبل الذي تقع عليه عثرنا على بقايا قلعة عربية ، وأمامها برج ضخم ، ولكنهما (البرج والقلعة) مهملان تماما ، ولولا أنهما مشيدان من صخور صلدة ، لما صمدا أمام الرياح العاتية التي تكاد ـ من شدتها ـ أن تطرح الرجل أرضا .

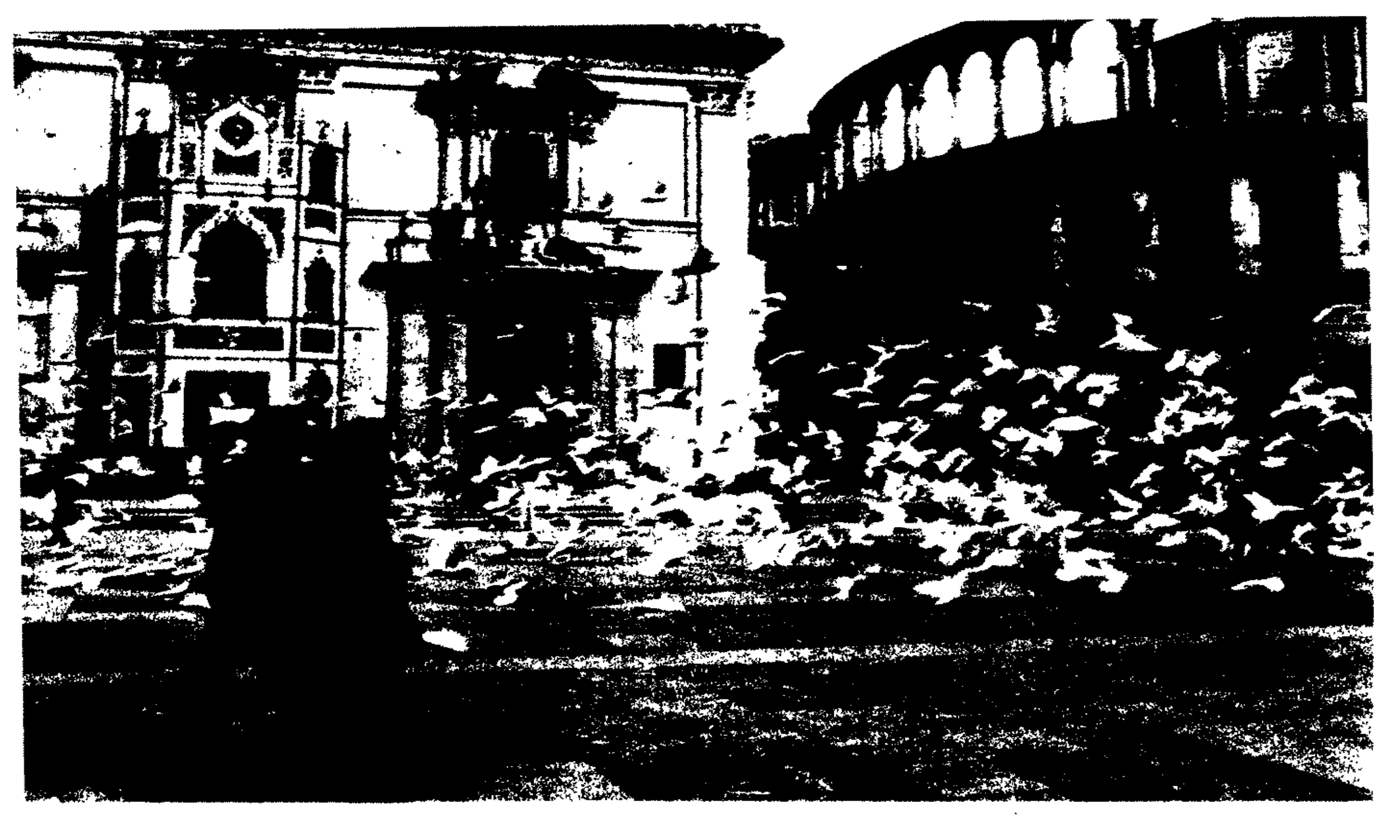
أما البرج فهو على شكل مربع من الخارج ، طول ضلعه ٧م ، وسمك جداره حوالى متر ونصف ، وله نوافذ حربية مربعة من الداخل ، وتظهر له فتحات صغيرة من الخارج ، سقفه قبة نصف دائرية ، تعلوها قبة أخرى بارتفاع ٧م .

أما ارتفاع البرج الكلي فلا يقل عن عشرين مترا ، والبرج والقلعة يشرفان على القرية كلها ، وعلى مساحات شاسعة من الأرض المحيطة ، فهما ـ لذلك ـ يصلحان للمراقبة والدفاع معا .

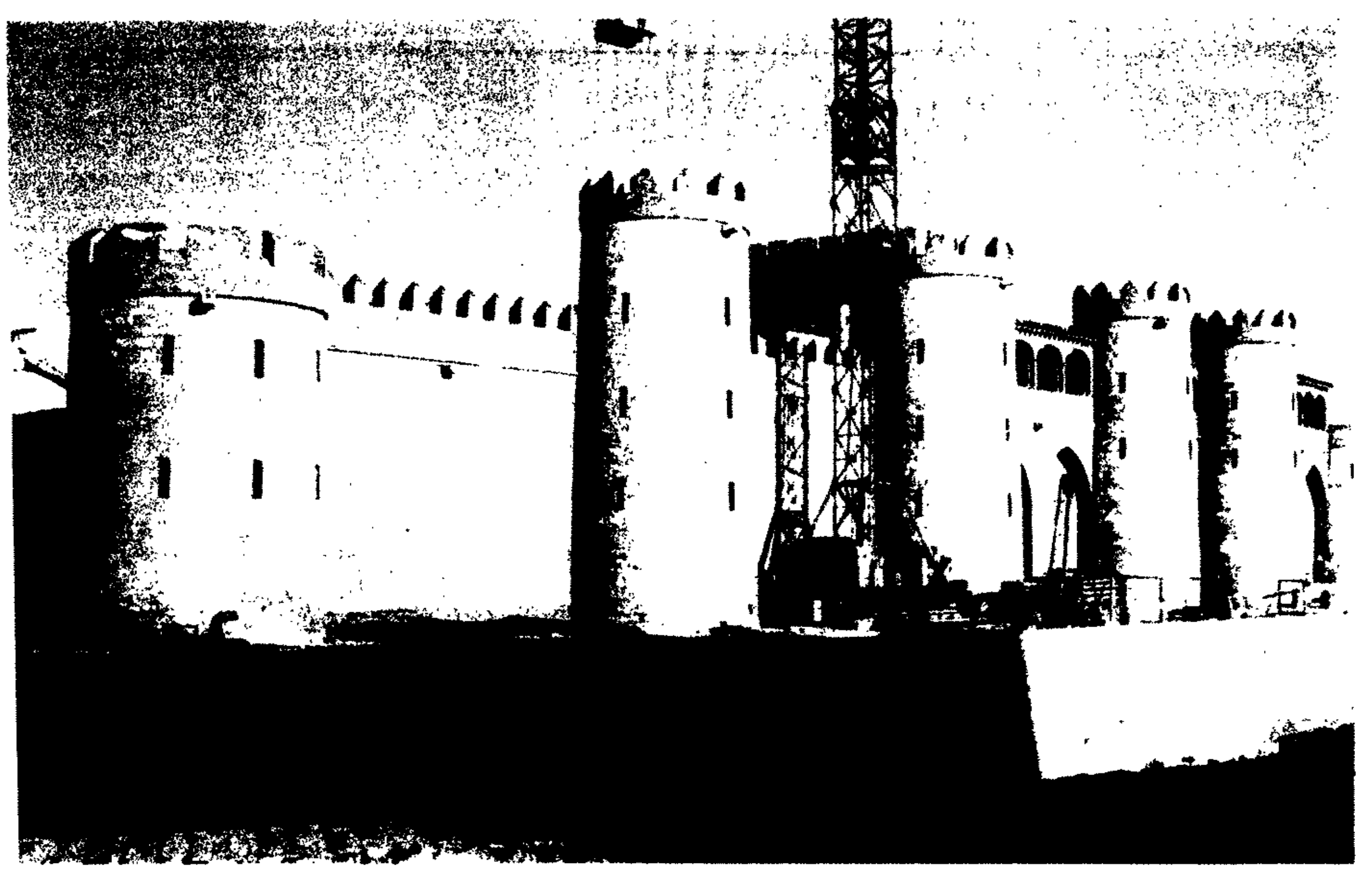
تتكون القلعة من قطع من الصخور ملتصقة بملاط من الطين والحصى ، وهي جزء من السور الذي



شارع حديث في مدينة
سرقسطة ، تكثر فيه
المتاجر ، ويزدحم
بحركة المرور .



في الساحة الواقعة أمام كنيسة سيدة البيلار في سرقسطة والحمام الآمن ينتشر بين المارة .



جانب من سور قصر الجعفرية في سرقسطة .

لاتزال منه بقية ، قال مرافقنا (خوسيه بيرغنثه) ، وهو عجوز من أهل القرية : « نحن نعلم بأن القلعة عربية ، ولكننا لا نعرف من الذي بناها ، وفي أي قرن ، أما البرج فنظن أنه من عهد الرومان » ، ولم نعثر في جدران القلعة على كتابات تبين لنا شيئا ، ولكننا عثرنا على بعض الكتابات اللاتينية على أحد جدران البرج تبين أن ارتفاعه عن مستوى سطح البحر ١٩٥٠م .

طوريل :

وفي الطريق الى سرقسطة مررنا ببلدة تدعى (طوريل) حيث أجمل الفنون العربية والمدجنة التي ازدهرت طيلة قرون عدة بعد خروج العرب ، وهي تعد من أشهر آثار الثقافة العربية في اسبانيا ، فأبراج الموحدين الأربعة التي شيدت في عهد بني مرين ومن بقي بعدهم من العرب تعطى البلدة أهمية أثرية وتاريخية عظيمة ، و (طوريل) بلدة عربية استردها الاسبان في عهد (الفونس) الثاني سنة ١١٧١ ، ولكن العرب المورسكيين ظلوا يقطنونها قرونا بعد ذلك التاريخ ، وقد بقي آخر مسجد فيها حتى عام ١٥٠٢ .



التاعورة التي أدخلها العرب في نظام الري .

يقع أحد الأبراج بجوار كنيسة (سان مارتين) ، وكان على مقربة من هذا البرج ـ فيما مضى ـ جامع ، ثم أزيل الجامع وبقى البرج لتقام الى جواره كنيسة (سان مارتين).بنى هذا البرج عرب من سلالة الموحدين ، بعد سقوط الحكم العربي في آواخر القرن الثالث عشر أما الكنيسة فقد بنيت في أواخر القرن السابع عشر،والبرج والكنيسة يقعان في شارع يسمى شارع عشاق طوريل (لوس مانتيس) ويدعى (برج النواقيس) حيث أفرغ الجزء العلوي منه ، وأضيفت اليه النواقيس ، بعد أن شيدت الى جواره كنيسة (سان مارتين) تقوم زخرفة البرج كلها على أشكال هندسية من أقواس ومربعات ونجوم ودوائر ، أما قمته العليا فهي مضلع على شكل مثمن ، وأما سقفه فهو قرميد أخضر من النوع العربي ، وهذا القرميد يعرف في اسبانيا « بالقرميد العربي » حتى يومنا هذا . توجد في المستوى الثالث من هذا البرج ساعة حديثة في مكان فجوة قديمة ، والزخارف في معظمها أقواس غير مفتوحة ، وتسمى الأقواس المعمية ، وقد زينت نوافذه بزخارف من السيراميك الزجاجي ، وهو من اللونين الأبيض والأخضر في معظمه .

يلتصق البرج الثاني بكنيسة (سان بيدرو) ، وألوانه وطرازه من ألوان وطراز الأبراج الأخرى ، ولكن أعمدته الأولى عمياء غير مفتوحة ، واذا عقدنا مقارنة بين الأقواس الموجودة في المستوى الأول من هذا البرج ، وبين الأقواس الموجودة في الجامع العربي بطليطلة ، وجدنا ان أقواس البرج دائرية ، ينتج من تشابكها أقواس مدببة كالتي شاهدناها في طليطلة ، وتختلف رؤوس الأعمدة بعضها عن البعض الآخر ، ولكن القاعدة فيها كلها صخرية .

ونجد في المستوى الثاني نوافذ فيها أربعة أقواس متداخلة ، كل قوس يقوم على عمودين ، أما ألوان الأقواس فهي الأخضر والبني ثم الأخضر .

ويوجد فوق هذه الأقواس ثلاثة صفوف من الأعمدة الزخرفية ذات اللون الأخضر ، وهي مزخرفة ـ في مستواها الأعلى ـ بمربعات خضراء من البورصلان ، وفوقها نافذتان ، كل نافذة مؤلفة من قوسين ، يقوم كل قوس منهما في واحد من طرفيه على جدار البرج ويقوم القوسان في الوسط على عمود .



أشجار النخيل الباسقة . . من الذي جاء بها الى الشمال الأسباني ؟

وتعود الزخارف المربعة مرة أخرى ، وهي في الصف الأول خضراء اللون ، وفي الصفين الثاني والثالث بنية ، وهي في الصف الرابع خضراء ، وفي أعلى البرج يوجد القرميد ، ويقوم على تشابك من الطوب ، وقد لوحظ على هذا البرج أنه أكثر بساطا من غيره من الأبراج المجاورة ، وهو يقوم على جدارين وليس على أعمدة ، وبين هذين الجدارين بوابة عرضها متران تقريبا ، وسقفها مدبب خال من القناطر .

ويتشابه البرجان الآخران ، فقد شيدهما مهندسان مختلفان ، ولكنهما نفذا مخططا واحدا ، ولقد وجد المهندس الذي نفذ أحدهما ـ وهو برج سان ميجيل ـ أن برجه مائل قليلا ، فانتحر بالقاء نفسه من أعلى البرج ، كما هو شائع في بلدة طوريل .

سور البراثين :

البراثين ، قرية تقع بين الجبال ، وتبعد ٣٩ كم عن (طوريل) في الطريق الى سرقسطة ، ويسير الى جوارها نهر صغير يسمى وادي (الأبيار) وهو اسم عربي ، ويتعرض الى ما يقرب من الجفاف في فصل الصيف ، ولكنه يشتد عند بداية ذوبان الثلوج في الجبال المحيطة ، وقد لاحظنا أن العرب لم يكونوا يهتمون بموقع ما ، الا بعد التأكد من وجود الماء بكميات وفيرة ، ولذلك نجد أن كثيرا من المدن أو القرى التي شيدوها وظلت باقية حتى الآن قريبة من مجاري الأنهار ، وما البراثين الا مثال على ذلك .

تمتاز هذه القرية بمظهرين عربيين ، سورها القديم ، وتخطيطها بوجه عام . أما السور فقد أقيم على جبل ، وهذا يدل على مدى الجهد الذي بذل في بنائه ، وهو يتألف من قاعدة بعرض البرج الذي يتوسط جانبي السور ، يلي القاعدة جدار دفاعي من الناحية الخارجية ، وذلك يتيح للمدافعين الاحتماء خلف أماكن خاصة ، فيها فتحات للمراقبة والدفاع . كان الحصن يتكون من خمسة أبراج ، تهدم برجان منها وبقي ثلاثة ، وفيه ايضا غرفة للحرس مغلقة من كل النواحي ، الا من فتحتين تتخذان شكل بابين صغيرين أحدهما فوق الآخر .

أما المظهر العربي الآخر للقرية فيتمثل في تنظيمها



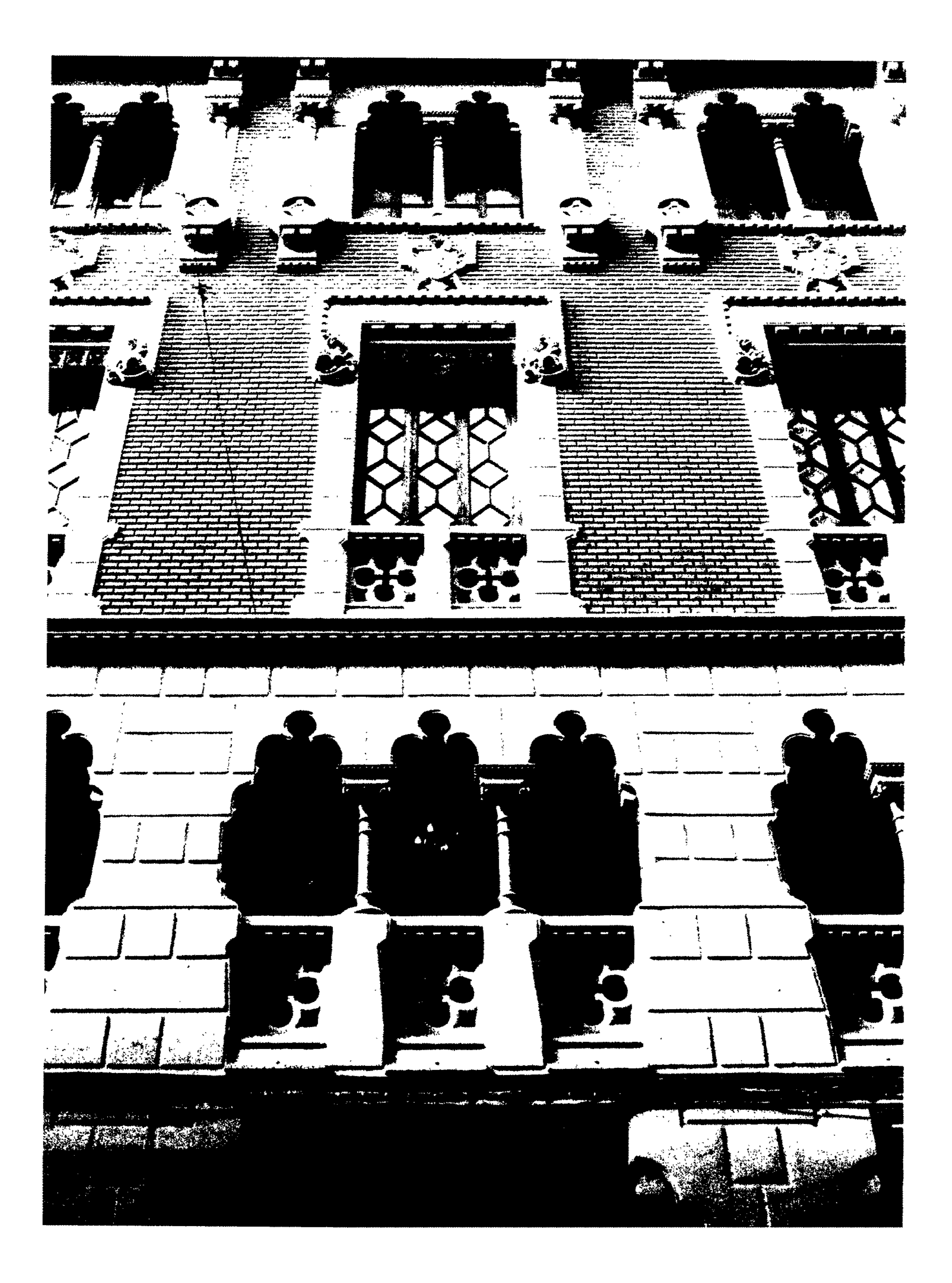
أعلى/ بيت قديم من الداخل مبني على الطراز العربي في منطقة البحيرات ببلنسيه .

أسفل/ نموذج البيت العربي في بلنسيه ولم يبق من هذا النوع الا أعداد قليلة

الي اليمين/ حسناء من بلنسيه تتناول طعام « البائية » .

الي الشمال/ عمارة حديثة في بلنسيه وقد ظهرت عليها آثار العمارة الاسلامية .





الشرقي للطرقات والأزقة المتعرجة ، وفي بيوتها ذات الطابع العربي ، لقد تقدمت الاشارة الى أنها قرية جبلية ، فهي ترتفع عن مستوى سطح البحر ١١٧١ مترا ، في موقع بديع تطل منه على المنحدرات وعلى نهر وادي الأبيار .

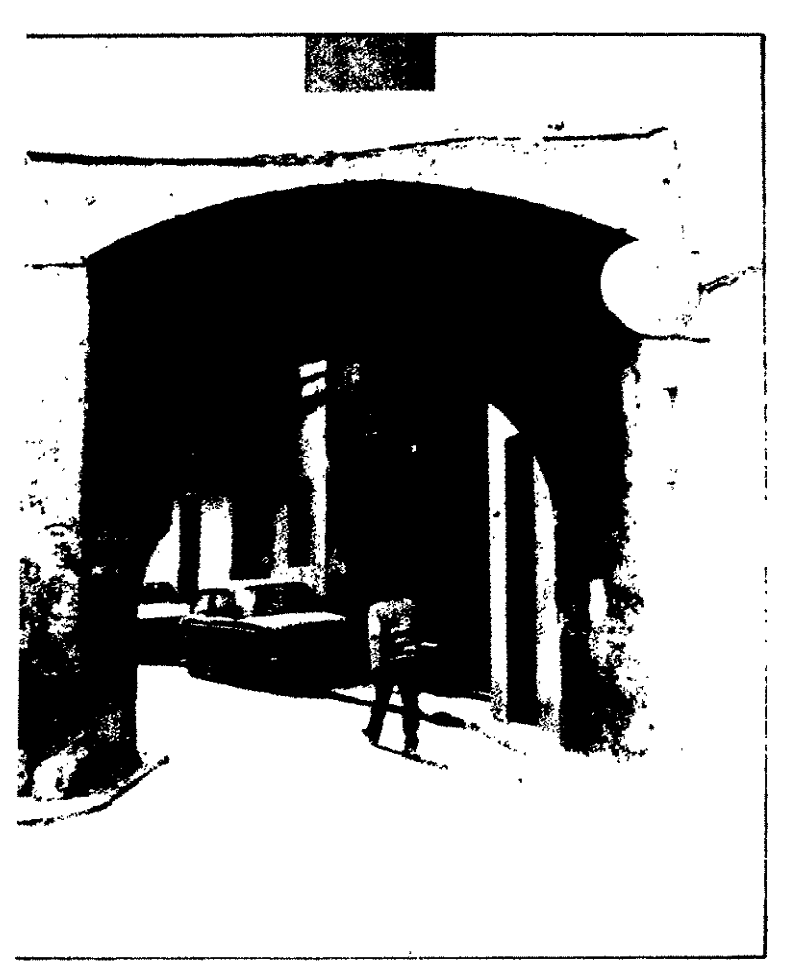
لقد بني سورها فيما بين القرنين العاشر والثالث عشر ، وكانت عاصمة لامارة عربية ، ثم أقيمت فيها دولة مسيحية صغيرة ، بعد انحسار الوجود العربي ، وانضمت فيما بعد الى مملكة سرقسطة في عام ١٣٠٠ .

تحيط بالراثين سلسلة من الجبال تصد عنها التيارات الهوائية والرياح ، وفي أعلى جزء منها شيدت « مصطبة » منذ عهد قريب ، يستطيع الزائرون بوقوفهم عليها رؤية القرية كلها والنهر والمنحدر .

قصر الجعفرية :

ثم يفضي بنا الطريق الطويل المتعرج الذي يخترق كثيرا من الجبال والتلال والهضاب الى سرقسطة ، استولى العرب على المدينة في عام ٧١٢ ميلادية ، وكانت الحملة العسكرية التي ظفرت بدخولها بقيادة موسى بن نصير . ظلت في عهدها العربي كثيرة الثورات ، وقد انتقل الحكم فيها من أسرة عربية الى أخرى غير مرة ، فكانت لذلك مسرحا لحروب كثيرة غدت بدورها وبالا على الآثار العربية في المدينة ، فتهدم جزء كبير منها ، وقد استعادها الاسبان من العرب نهائيا في عام ١١١٨ ، بعد أن مكث الحكم العربي فيها أكثر من ٤٠٠ سنة .

ولعل قصر الجعفرية ـ الذي ماتزال معظم أجزائه قائمة حتى يومنا هذا ـ هو الأثر العربي المهم الذي تعرفه المدينة وتعرف به ، وهو لايقل في قيمته عن قصور اشبيلية ، كما أن زخارفه العربية شاهد على الصنعة الجميلة والذوق الرفيع . يقع القصر شرقي المدينة ، ولايبعد كثيرا عن ضفة نهر (ايبرو) ، يقال انه نشأ قلعة في عام ٨٦٤م ، وقد بناه أبو جعفر فسمي باسمه ، ولم تحدد المراجع التاريخية من هو ابوجعفر هذا ، ولكن هناك رواية تاريخية تقول بأن القصر قد جدد في القرن الحادي عشر الميلادي ، وكان المقتدر بالله بن هود ـ ملك سرقسطة آنذاك ـ هو الذي أمر بتجديده ، ثم اتخذه مقرا له ، وكان المقتدر يدعى « أبو جعفر » ومن هنا ينشأ احتمال أن يكون القصر



الباب العربي الوحيد الذي بقي من سور بلنسيه .

قد حمل اللقب الذي عرف به هذا الملك من بني هود .

يتكون قصر الجعفرية من سور يبلغ طوله حوالي ١٠٠متر ، وفيه ستة أبراج أسطوانية الشكل ، أربعة منها متساوية الارتفاع ، وأثنان في زاويتي السور اقل ارتفاعا ، بحيث يزيدان قليلا عن ارتفاع السور ذاته ، وفي السور قناطر مقوسة تحيط بدهليز مغطى من داخله بقرميد عربي . وفي السور فتحات عديدة ، وكل برج من أبراجه متوج بحاميات دفاعية ، وقد قام الملوك الاسبان ـ بعد زوال الحكم العربي ـ ببناء قصر الى جوار قصر الجعفرية ، بل هو ملتصق به . يحيط بالقصر العربي خندق عميق ، يبلغ عرضه حوالي عشرين مترا ، وعمقه عشرة أمتار ، وعليه جسر متحرك يقطع السير الى الداخل عند استشعار الخطر ، كان الخندق يملأ بالماء من النهر المجاور ، وهو نهر (ايبرو) فيتخذ القصر شكل جزيرة معزولة

عن اليابسة اذا رفع الجسر المتحرك .

مدخل القصر على شكل حدوة حصان ، وهناك برجان على جانبي المدخل ، والى جانب كل منهما قوسان مدببان ، وفيهما فجوتان عمياوان ، وفي الناحية اليسرى برج ثالث دون أقواس ، ثم يأتي برج الزاوية ، وكل من هذه الابراج له ثلاث مستويات ، تظهر فيها النوافذ بحسب مستوى الدرج اللولبي داخل البرج ، أما البرج الأيمن فالي جانبه قوسان مدببا الرأس عمياوان ، وقد شاهدنا القصر وهو في حالة ترميم يحظر معها دخول الزائرين .

قلعة أيوب :

ليس قصر الجعفرية هو الأثر العربي الوحيد في مدينة سرقسطة ، ولكنه أهمها ، وبعد أن غادرنا سرقسطة في اتجاه مدريد مررنا ببلدة ذات أهمية تاريخية ، فيها قلعة عربية مشهورة ، أما القلعة فهي (قلعة أيوب) وأما البلدة فتحمل اسم القلعة ذاته . يقال في نسبة القلعة أن ابن اخت موسى بن نصير ، وهو ايوب بن حبيب اللخمي ، هو الذي بناها ، فهي لذلك تحمل اسمه ، وتوحي معالم البلدة بأنها قديمة جدا ، وأن يد العمران والتطور لم تمتد اليها .

لم تبن القلعة من الصخر كما هو المألوف في القلاع ، لأن المنطقة ليست صخرية ، لقد بنيت بمزيج من الطين والأحجار الصغيرة المدحرجة ، فالطين يؤدي عمل المادة اللاحمة ، وبالكبس والضغط ومرور السنين تتكون للطين نسبة مرتفعة من الصلابة . ان أكثر من ثلثي معالم القلعة قد زالت وتهدمت اجزاء منها ، فهي مرتفعة ، وارتفاعها الشاهق يعرضها الى المزيد من تأثير عوامل التعرية والتآكل ، فاذا أضفنا عامل الزمن وتقادم العهد من ناحية ، وبناءها اللاصخرى من ناحية أخرى ، أدركنا سر تهدم أجزاء من القلعة وزوال معالم الأجزاء الأخرى .

تشرف القلعة على وادي كبير متسع في الطول والعرض ، وعلى بلدة قلعة أيوب ذاتها ، وليس في البلدة آثار عربية أخرى تستحق الذكر ، لقد استرد الملك (الفونس) الأول ملك (اراغون) قلعة أيوب في عام ١١١٩ ، وكانت تتبع مملكة سرقسطة .

الحما . . . والمياه المعدنية :

قد تكون الحما تحريفا للكلمة العربية « الحمة » التي يطلقها العرب على ينابيع المياه المعدنية الحارة ، وقد تكون اختصارا لكلمة الحمامات ، والكلمة في كلا الحالين عربية ، تطلق على حمامات المياه المعدنية في منطقة أراغون .

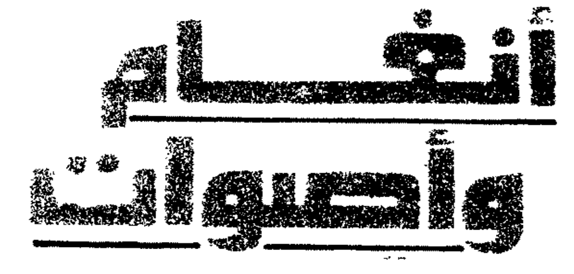
وهذه المياه موجودة قبل العرب ، ولكنهم لفتوا الانتباه الى فائدتها وجدواها ، ودعوا الناس الى التداوي بها ، وأقاموا حولها المنشآت ، ولكن منشآتهم زالت بمرور الزمن ، لتحل محلها منشآت حديثة ، هي فنادق تحيط بالينابيع ، وتوفر سبل الراحة لقاصدي مياه الحمة المعدنية طلبا للاستشفاء .

وقبل دخول مدريد توجد بلدتان كبيرتان تحملان اسمين عربيين ، وهما وادي الحجارة ويدعوها الاسبان (وادي لاخارا) ومدينة سالم وتدعى بالاسبانية مدينة (سالي)

وبعد ، فلقد شاهدنا في طوافنا بشمال اسبانيا آثارا عربية لا تخطئها العين ، ولكن هناك آثارا أخرى معنوية يعددها المؤرخ والمفكر الاسباني الكبير (مننديث بيدال) في حديث له مع محمد عبدالله عنان ، ورد في الآثار الاندلسية الباقية ، يقول بيدال :

« أجل ، لقد تركت الأمة الاندلسية (يعني عرب الأندلس) آثارا واضحة في الحضارة الاسبانية ، وفي الحياة الاسبانية العامة ، وفي تقاليد اسبانيا وعاداتها . . دعك من الآثار اللغوية ، فان هذه معروفة ، وهي مماثلة في كثير من نظمنا . . وفي تقاليد الملوكية الاسبانية يبدو أثر التقاليد الملوكية الاندلسية ، فمثلا يقرن ذكر الملك بعبارة حفظه الله ، وهو اصطلاح عربي . ويبدو هذا الأثر في كثير من العادات والتقاليد الاسبانية في التعامل والاسواق ، وفيما ينادي به الباعة على سلعهم ، وهي نداءات مسجعة ترجع الى أصول اندلسية ، وفي الدعوات الجنائزية حيث يقال عن المتوفي (رحمه الله) وفي مظاهر التحية ، وفي قصة « السيد » ان التحية تكون بتقبيل الكتف ، هي عبارة اندلسية ، وهكذا نجد أثر التقاليد والعادات الأندلسية ماثلا في كثير من مظاهر الحياة الاسبانية » . □

سمكة من نوع الخنزير ذي الثلاث شوكات .



أنغام وأصوات في أعماق المحيطات

بقلم : رجب سعد السيد

البحر عالم يفيض بالحياة في كل قطرة من مياهه . ومظاهر الحياة في البحار والمحيطات شديدة التنوع ، من الكائنات وحيدة الخلية ، الى قمة هرم الحياة : الثدييات البحرية،فكيف تمضي هذه الألوان من الحياة في أعماق البحار ؟

ليست أصوات الكائنات البحرية بغريبة على الانسان ، اذ عرفها منذ عرف طريقه الى البحر ، وسمعها بأذنه المجردة . . فقد كانت بعض هذه الأصوات عالية وواضحة . ويروّي (أرسطوطاليس ٣٨٤ - ٣٢٢ ق . م .) في كتابه : تاريخ الحيوانات « كل المخلوقات التي تتنفس الهواء مزودة برئات . . والدلفين ينام ومنخاره فوق الماء ، ويغط » . وفي الأربعينيات من هذا القرن ، وبخاصة خلال الحرب العظمى الثانية ، وبعد اختراع أجهزة التقاط الموجات الصوتية من الماء ، تمكن العلماء من التسمع الى الكائنات البحرية ، وتسجيل أصواتها تحت الماء ، وقد أعطانا العلم الحديث والتقدم التقني

* باحث بمعهد علوم البحار والمصايد وعضو اتحاد الكتاب

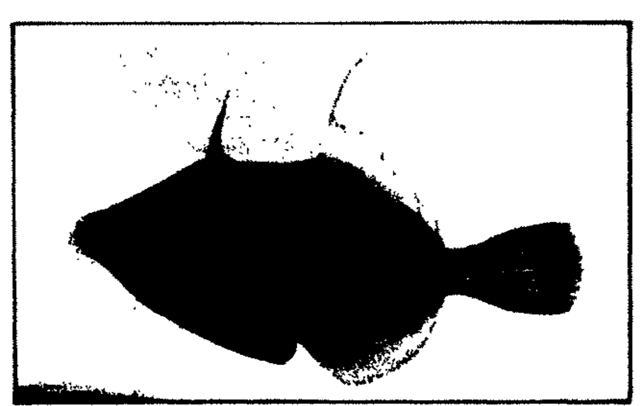
سلسلة من الأجهزة والتقنيات المتطورة أثبتت أن الكائنات البحرية تسمع أو - على الأقل - لديها قدرات سمعية .

اللافقريات البحرية

ولعل المتوقع لدى القارىء ، ان تكون عملية انتاج الأصوات واستقبالها قاصرة على الكائنات البحرية الراقية ، كالثدييات البحرية والأسماك ، غير أن التجارب والدراسات أثبتت أن بعض اللافقاريات البحرية تصدر أصواتا ، ولديها امكانيات استقبالها أيضا ، ومن أكثر أنواع اللافقاريات البحرية اثارة للضوضاء ، ذلك النوع من الجمبري الذي يسميه الصيادون (العضاض) . وقد أجريت عليه دراسات عديدة ، نظراً لتشابه الموجات الصوتية الصادرة عنه ، والموجات الصوتية التي كانت تبثها الغواصات والسفن الحربية في الحرب العالمية الثانية .

وأصوات اللافقاريات البحرية عبارة عن (تكات) حادة ، وذات ترددات واسعة المدى ، وتستخدم القشريات ، وهي من اللافقاريات ، أجزاءً متحركة من هيكلها الخارجي الذي تبنيه من مادة قرنية . . فباصطدام الكلابات ، مثلا تصدر تلك (التكات) ، وتسري في الماء على شكل نبضات يصل ترددها الى ٢٠ كيلو هرتز (الكيلو هرتز - ألف سيكل في الثانية) .

وتنفرد الاستاكوزا الأمريكية بين اللافقاريات البحرية بانتاج أصوات تشبه الهمهمة ، نقية النغمات ، منخفضة التردد (١٢٠ - ١٥٠ هرتز) ، ويصل زمن النبضة الواحدة الى ثانية كاملة ،



سمكة من نوع الخنزير ذي الشوكة الواحدة .

ولاتصدر هذه الأصوات من الهيكل الخارجي للاستاكوزا ، ولكن نتيجة لتذبذب المعدة المشدودة !! .

ويظن بعض العلماء أن اطراف بعض الكائنات اللافقارية البحرية التي تستخدم في وظائف ميكانيكية مثل التكيف مع الجاذبية وتحقيق التوازن ، يمكن أن تستخدم كمستقبلات للصوت ، ولكن الصورة العامة لكيفية استقبال الصوت في اللافقاريات البحرية لاتزال غير واضحة .

وتتضح الصورة أكثر اذا ارتقينا بضع درجات في سلم التطور ، لنصل الى الأسماك .

وأسماك المياه الضحلة هي أكثر أنواع الأسماك البحرية انتاجاً للصوت، أما في المياه العميقة، فقد أثبتت الدراسات أن وسائل انتاج الأصوات لاتوجد الا في الأسماك التي تعيش في مناطق المنحدرات القاعية . فلهذه الأنواع من الأسماك صفات كل من النوعين : الذي يعيش سابحا في المياه الطليقة ، والذي يعيش على القاع . أي أنها أسماك تسبح بالقرب من القاع شبه المعتم ، ولكنها لاتتخذه بيئة دائمة لها . . وفي هذه المنطقة فوق القاعية ، لاتكون تجمعات الأسماك كثيفة جدا ولكن أعدادها تكون كافية لأن تنشأ بينها علاقات اتصال ، وبذلك يصبح الصوت ضروريا .

المثانة الهوائية

وهناك نوعان من الأصوات يصدران عن الأسماك : الصرير ، والذبذبات الناتجة عن توتر المثانة الهوائية .

والصرير هو صوت احتكاك واصطكاك الأجزاء الصلبة والخشنة مثل الأسنان البلعومية . فلبعض أنواع الأسماك مايشبه الأسنان في منطقة البلعوم ، وهي عبارة عن زوائد أو حبيبات قرنية قوية تطحن الطعام بالقرب من الزور . وفي حالة عدم العمل في طحن الطعام فان هذه الأسنان تصدر أصواتا صريرية نتيجة لانقباض البلعوم ، واحتكاك أسنانه بعضها ببعض .

أما الحوصلة أو المثانة الهوائية ، فهي عبارة عن غشاء رقيق تملأه السمكة بالغازات ، ويحقق لها ثبات تواجدها سابحة في طبقة معينة من الماء . وتتصل هذه

المثانة ببعض الألياف العضلية التي تتحكم في درجة تذبذب المثانة،وتربطها - في نفس الوقت - بتجويف الجسم .

والأصوات أو الأنغام التي تصدر عن ضغط العضلات على المثانة الهوائية وتذبذب غشائها يقع ترددها تحت ٢٠٠ هرتز،ويختلف نوع النغمة وطولها بين الأنواع المختلفة من الأسماك ، ولكنهما ثابتان ومحددان تقريبا لكل نوع .

وثمة أنواع مزعجة من الأسماك تصدر النوعين من الأصوات معا : فينبعث صرير أسنانها البلعومية ، وتتبعه نغمات تذبذب المثانة الهوائية ، وقد التقطت الميكروفونات المجهزة تحت الماء هذه الأصوات التي يصل ترددها الى ٨ كيلو هرتز .

واستطاع العلماء تحديد أكثر أنواع الأسماك (ثرثرة) واثارة للضوضاء في مياه البحار والمحيطات ، ومن بينها : الوقار ، والخنزير ، والفرخة . والقط ، والسمكة الضفدعية .

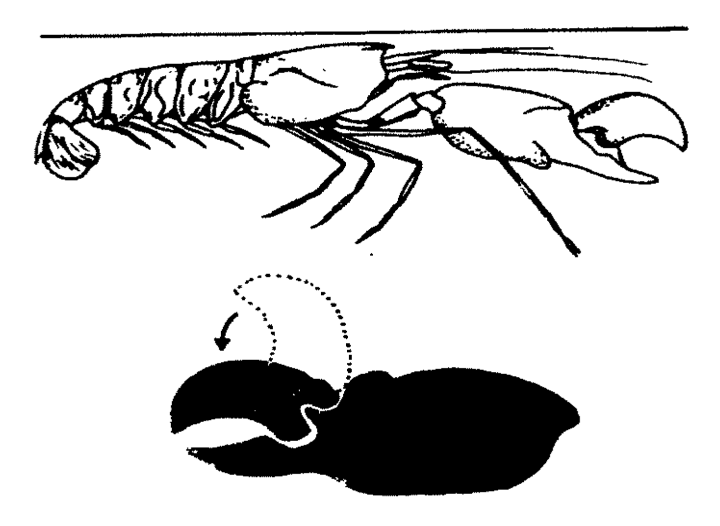
كيف تسمع الأسماك ؟

واذا كانت الأسماك - كما رأينا - تصدر أصواتا ، أو (تتحدث) ، فلا بد أنها تسمع فكيف تسمع ؟ .

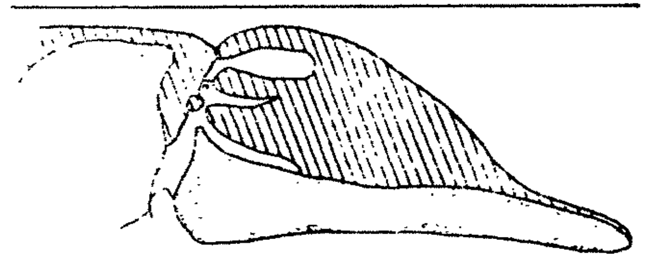
اذا فحصنا الشكل الخارجي للسمكة ، فاننا لانعثر على عضو يشبه الأذن الخارجية ، وقد أكدت الدراسات التشريحية عدم وجود أذن متوسطة أيضا ، ان الجسم كله يقوم مقام الأذن الداخلية . . فلحم الأسماك يعد موصلا جيدا للموجات الصوتية التي تصطدم به ، وهو ينقلها مباشرة الى الأذن الداخلية .

والأذن الداخلية في الأسماك عبارة عن تكوين غشائي تيهي دقيق ، مملوء بسائل خاص ، وينقسم الى ثلاثة كييسات أو جريبات ، بكل منها حصية كلسية دقيقة تسمى (حصية الأذن) أو (حصية التوازن) ، وتقف كل حصية عمودية على شعيرات دقيقة هي في حقيقتها أطراف لخلايا عصبية سمعية ، وحين تتحرك هذه الحصيات بتأثير الاشارات الصوتية المستقبلة تزيح الشعيرات السمعية للأمام وللخلف ، وتترجم هذه الازاحات الى ذبذبات تسري في العصب السمعي الى المخ .

وثمة جهاز استقبال آخر في السمكة وهو مايعرف



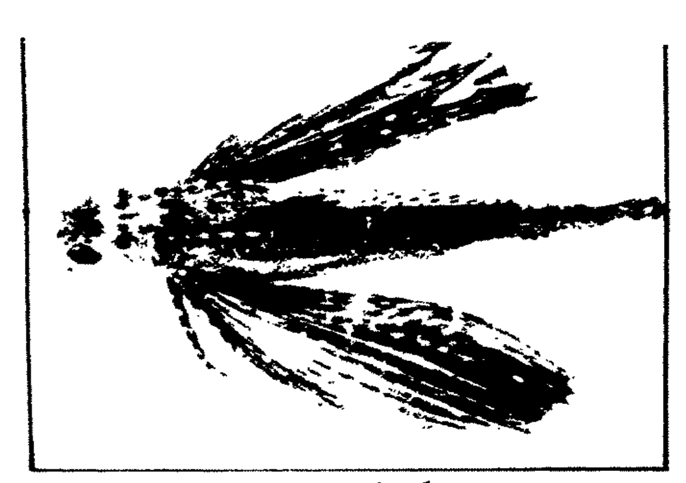
رسم تخطيطي للعضو المسئول عن انتاج الاصوات في الجمبري (العضاص) . . وهو عبارة عن ذراع متحورة على شكل (كلابة) ، وتصدر الأصوات نتيجة لتحرك فكي الكلابة .



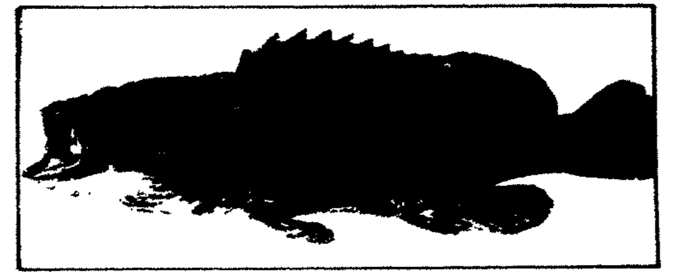
رسم تخطيطي لمقطع في رأس حيوان ثديي بحري ، يوضح الممرات والكييسات الهوائية التي تعمل على تضخيم الصوت .

باسم (الخط الجانبي) وهو عبارة عن صف من الخلايا العصبية يمتد على كل من جانبي السمكة من قرب الذيل الى قرب مؤخرة الرأس ويمكن تمييزه ظاهريا ، وتقتصر الوظيفة السمعية للخط الجانبي على استقبال الأصوات ذات التردد المنخفض .

وكما تقوم المثانة الهوائية باصدار الأصوات ، فانها تعمل في نفس الوقت وفي بعض الأنواع كجهاز استقبال فتتذبذب عندما تصطدم بها الموجات الصوتية التي تخترق الجسم في الماء ، وفي بعض الأنواع المتطورة من الأسماك العظمية توجد توصيلات خاصة لنقل هذه الذبذبات الى الأذن الداخلية . وهذه التوصيلات عبارة عن أربع قطع صغيرة من العظام هي في حقيقتها فقرات عظمية متحورة لتقوم بهذه



سمكة الفرخة الطيارة



من أسماك (الوقار) .

الوظيفة الخاصة ، وقد وجد أنه عند ازالة هذه العظيمات بواسطة عملية جراحية فان قدرة السمكة على (السمع) تقل كثيرا .

احاديث الأسماك

وبالرغم من كل الجهود التي بذلت في التسمع الى أحاديث الأسماك ، الا أن مغزي هذه الأصوات لم يتحدد بعد ، وليس معنى هذا أن الاصوات عديمة الجدوى ، والا فما الداعي لتواجد هذه الطرق المتفاوتة التطور لارسال واستقبال الصوت في الأسماك؟

ولدراسة المغزي البيولوجي للأصوات عند الأسماك ، يجري العلماء تجارب لدراسة استجابات السمكة للاشارات الصوتية ، ويستخدمون شرائط بها تسجيلات مسبقة لأصوات أصدرتها الأسماك في ظروف مختلفة ، وأثناء سلوكيات محددة .

وتؤكد دراسات العلماء في هذا المجال على أن السمكة لاتستطيع تحديد موقع مصدر الصوت الذي تستقبله الا في حالة الأصوات ذات الترددات المنخفضة ، والتي يكون مصدرها قريبا من السمكة المستقبلة .

وقد ثبت أن الأسماك تصدر أصواتا معينة عند كل موقف مثل التنافس من أجل الطعام ، أو الدفاع عن الموطن ، أو عند افتراس ضحية ، أو الصياح عند الهرب أو مناجاة الذكر للأنثى في موسم التكاثر ، ولوحظ أن الأسماك تميل الى الاتجاه صوب المنطقة المليئة بالأصوات الكثيفة .

ومن نتائج الدراسات الحديثة ، نجاح عالمين يابانيين في اجتذاب أسماك (المبروك) المستزرعة في بحيرة صناعية ، وذلك بأن أرسلا في الماء ذبذبات صوت السمكة نفسها ، التي كانا قد سجلاها لها وهي تأكل ، ولوحظت نفس الاستجابة في بعض أنواع الأسماك البحرية .

ومن الاكتشافات المثيرة في هذا المجال ، استجابة أسماك القرش ، بالانجذاب الى مصدر ذبذبات متقطعة على هيئة نبضات منخفضة التردد (٢٠ ـ ٦٠ هرتز) ، وعدم استجابتها لنفس الأصوات اذا كانت مستمرة .

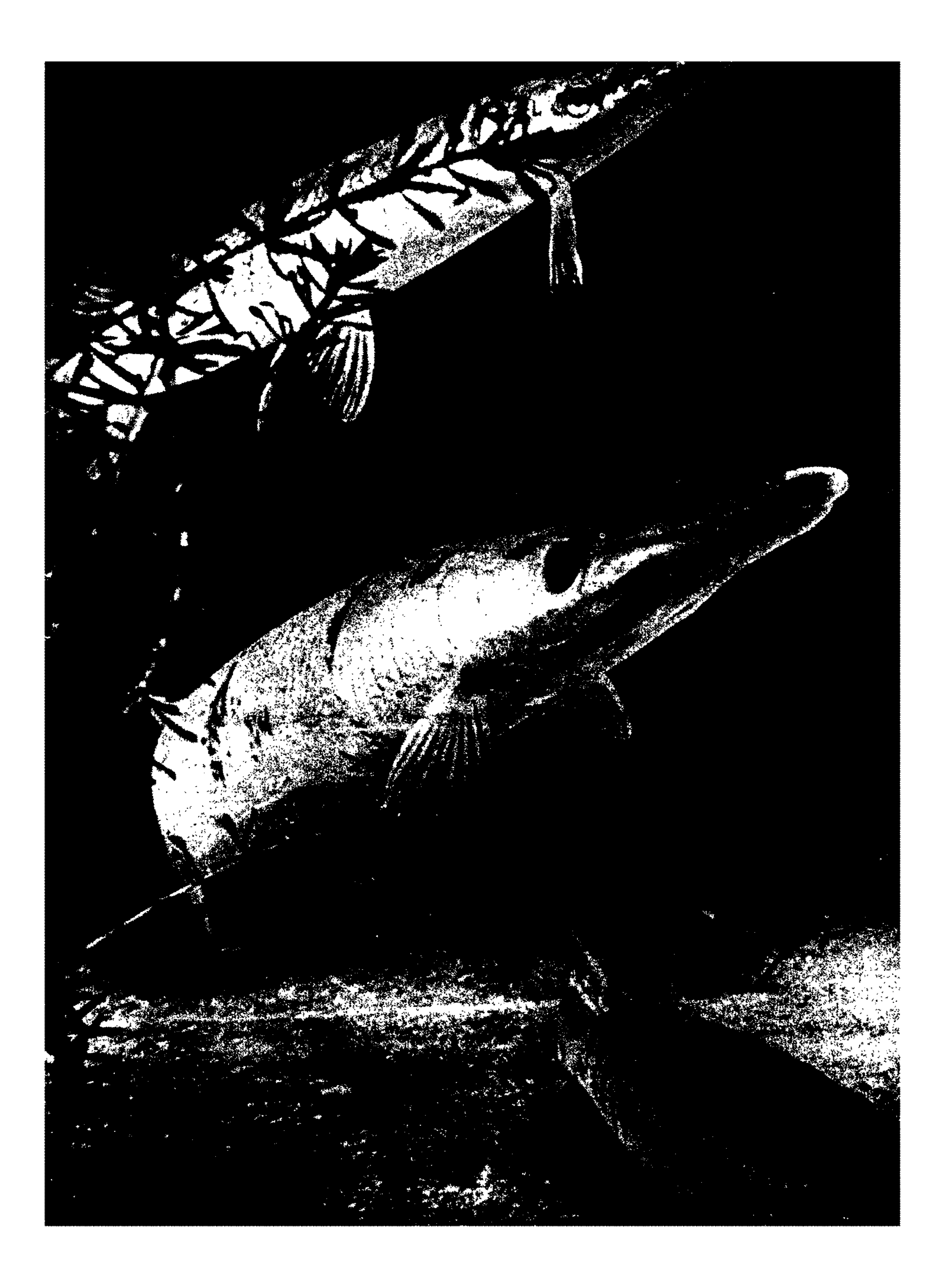
التشويش على اتصالات الأسماك

وقد نجح العلماء في (التشويش) على اتصالات الأسماك ، بالتداخل في خطوط الاتصال ، وتسريب ذبذبات تؤدي الى احداث تغييرات في سلوك ، السمكة فتخفف من حدة عنفها ، اذا كانت ثائرة ، أو تحيل وداعتها الى هياج وثورة !! .

وتنتقل هذه المعلومات والاستنتاجات من حيزها التجريبي المحدود الى التطبيق العلمي في عدة مجالات ، أهمها مجال الصيد والمصايد . فيمكن ، بواسطة أجهزة التقاط الأصوات من الماء ، رصد مناطق تجمعات الاسماك الاقتصادية المهمة بحيث تعطي عمليات الصيد محصولا وافرا ، كما يمكن ، بواسطة اطلاق ذبذبات صوتية خاصة اجتذاب أو طرد أنواع بعينها من الأسماك ، حسب احتياجات وسياسات ادارة المصايد .

فاذا وصلنا الى قمة هرم الحياة في البحر ، حيث تتربع الثدييات البحرية فاننا نتوقع نظما أكثر تعقيدا وتقدما للاتصالات تحت الماء ، ارسالا ، واستقبالا .

والثابت علميا أن الثدييات البحرية كانت تعيش على اليابسة ، ثم هجرتها الى البحر منذ ملايين السنين ، سعيا وراء ظروف أفضل للحياة ، ولابد أنها ـ لكي تنجح هجرتها ـ قد أعدت نفسها للعيش في الوسط الجديد : الماء .



وتتجلى قدرة الخالق العظيم في التحورات التي طرأت على نفس الأجهزة الحيوية لهذه الكائنات ، والتي كانت تعيش بها على الأرض لتناسب الحياة البحرية . (راجع في هذا الموضوع كتابنا : البحر . . أسرار وكنوز ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ المكتبة الثقافية ـ (٣٨٣) ـ ـ ١٩٨٤) تسجيل اصوات الحيتان

ولدراسة أصوات الثدييات البحرية حصل العلماء على مئات التسجيلات الصوتية للحيتان المسننة ، وحيتان البالين (عديمة الأسنان) ، والفقمات وأفيال البحر .

وتمكن العلماء من تقسيم أصوات هذه الكائنات في مجموعتين :

المجموعة الأولى : الصفّارات : وهي عبارة عن أصوات اتصلات يتراوح ترددها بين واحد ، وأكثر من ١٥ كيلو هرتز .

المجموعة الثانية : (التكات) أو (القرقعات) : وهي عبارة عن أصوات متسعة المدى ، وتستخدم ـ مع انعكاساتها ـ في تحديد موقع الحيوان من الأشياء والكائنات البحرية الأخرى ، ويصل ترددها الى ٢٠٠ كيلو هتز .

وفي عام ١٩٦٢ ، أصدر بعض العلماء أطلسا يضم رسومات لمنحنيات الصوت المسجلة للعديد من الثدييات البحرية ، ومن هذا الأطلس ، يتضح أن أصوات الحيتان المسننة أكثر وضوحا من أصوات حيتان البالين .

وقد أثبتت الدراسة التشريحية لأحد الحيتان المسننة ، وجود مايشبه الحجرة ، ولكنها خالية من الأحبال الصوتية ، فكيف اذن تتولد الأصوات ؟ .

قام العلماء بدفع تيار من الهواء ـ في حوت ميت ـ خلال الحلق فوجدوا أن بالحنجرة بروزات وامتدادات رقيقة تتذبذب عندما يمر تيار الهواء ، وتعطي أصواتا مشابهة الى حد كبير للأصوات المسجلة لنفس الحيوان وهو حي تحت الماء . والجدير بالذكر ، أن الأصوات لاتخرج من بروزات الحنجرة مباشرة ، ولكن الهواء الذي يحملها يمر بسلسلة من الممرات والأكياس الهوائية ، دافعا صمامات تتحكم في مداخل ونهايات هذه الأكياس التي تعمل كغرف للرنين .

وتسمع الحيتان الأصوات بحساسية عالية ، وفي مدى واسع من الترددات ، غير أن ميكانيكية السمع ، خصوصا الطريق الموصل الى الأذن الداخلية ، ليست معروفة تماما ، وثمة عدة تصورات في هذا المجال ، منها ، أن ثمة بقايا لقنوات سمعية مندثرة ، وهي آثار لقنوات سمعية كانت تعمل في الأجداد التي عاشت على اليابسة ، ويقول أصحاب هذا الرأي من العلماء ، ان هذه البقايا لاتزال لها بعض القدرات السمعية .

وثمة تصور آخر يعتمد على الصلة الوثيقة بين الفك السفلي للحوت وأذنه الداخلية ، ويؤكد العلماء على قدرة عظام الفك السفلي على توصيل الأصوات للأذن الداخلية ، خصوصاً وأن الفك نفسه مجوف ، ومملوء بمادة زيتية .

لغة الثدييات البحرية

وتستخدم الثدييات البحرية الأصوات في محادثاتها ، وفي موقعها من الأهداف والكائنات الأخرى خصوصا في أعماق المحيط ، حيث يقل الضوء أو ينعدم ، وتحل حاسة السمع محل الرؤية .

وقد نجح العلماء في تسجيل ٣٢ شكلا لذبذبات صوت الصفارة لأربعة من الثدييات ، ولاحظوا أن خمسة أشكال تشيع في اتصالات كل الأنواع ممايشير الى وجود مفردات لغة تعرفها وتستخدمها هذه الكائنات ، ومن أكثر الأصوات وضوحا وتميزا ، اشارات الغزل ، ونداءات الحب في موسم التكاثر ، وقد سجلت أصوات تشبه العواء عالي التردد لذكر نوع من أنواع الدلفين ، هجرته أنثاه في بركة صناعية للتجارب !! .

وقد تعددت التطبيقات العملية لهذه الدراسات الشيقة ، ففي عام ١٩٦٥ ، أمكن تدريب دلفين أسمه (توفي) على أن يتحرك الى مكان محدد ، بمجرد أن تصدر اليه في الماء اشارات صوتية معينة ، وبنفس الطريقة تدرب حاليا بعض الدلافين على البحث عن الغواصين المفقودين . . ويتضمن برنامج التدريب الغوص الى أعماق معينة استجابة لأمر يصدر اليها من جهاز كهربائي صغير يحمله الغواص (المفقود) ، ويصدر اشارات صوتية متفق عليها ، كما تم تدريب بعض الدلافين على التقاط خراطيم الهواء وحبال الانقاذ ، والغوص بها الى الغرقى تحت الماء . □

أرقام

بقلم : محمود المراغي

الأبناء أسعد حظاً

يشهد العالم تقسيمات مختلفة ، أقدمها ذلك التقسيم الذي يقول إن البشرية تنقسم الى ذكور وإناث .

وقد تبع ذلك التقسيم العديد من التقسيمات التي ساعد عليها الاحصاء الحديث على المستوى الدولي ، فأعاد تقسيم العالم على أساس الديانة ، أو العمر ، أو المهن أو التوزيع الجغرافي ، أو غير ذلك . . . وبرز بين هذه التقسيمات ما يشير الى أن البشرية أيضا نوعان : أميٌ وغير أميٌ . . يجيد القراءة والكتابة أو يجهلها .

ولم يكن ذلك التقسيم الأخير مجرد مؤشر على انتشار التعليم الأساسي ، فالكلمة المكتوبة - رغم منافسة وسائل الاتصال المختلفة - أداة رئيسية لنقل المعرفة ، وأداة تواصل مع العلم والعالم في وقت واحد . . بل انها كثيرا ما تحدد الموقع الثقافي والاجتماعي والمادي والمهني للفرد . . فالصعود في السلم الاجتماعي . واحتلال مكانة في المجتمع ، وتناقل الخبرة ، وتسجيلها لتصبح ملكا للبشر ، وتراكمها لتصنع تطور البشرية . . كل ذلك يتم عبر أدوات مختلفة أبرزها : الكلمة المكتوبة .

خريطة الجهل :

ورغم أن الكلمة المكتوبة وسيلة واحدة ضمن وسائل عدة لنقل المعرفة ، فان اطلاق كلمة الجهل على من لم يحصلوا على حظهم من الالمام بالقراءة والكتابة لايعتبر مبالغة كبيرة . . فهم جاهلون بذلك الفن الذي اخترعه الانسان منذ عدة آلاف من السنين ، وهو فن الكتابة ، وهم جاهلون بذلك العالم المتسع الذي يضم الكتاب ، والصحيفة ، والمجلة ، واللافتة ، والملصق ، وأوراق الحكومات ، والأوراق الشخصية ، وكل ما يعتمد على حرف مكتوب .

كم يبلغ عدد هؤلاء في العالم ؟

تقول منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) في احصاء أخير لها اذاعته في أغسطس ١٩٨٦ ، أن عدد الأميين في العالم : تسعمائة مليون أمي . . . أي أن ما يقرب من خمس العالم ما زال يعيش في الظلام .

وبتفصيل أكثر فإن :

(٩٨) بالمائة من هؤلاء الأميين يعيشون في العالم الثالث . . بينما تتوزع بقية النسبة على دول متقدمة بينها : الولايات المتحدة الأمريكية .

بين الأميين تحتل المرأة المقعد الأول ، فتمثل وحدها - في العالم الثالث - (٦٠) بالمائة من العدد الكلي .

وعندما ننتقل من النسب المجردة الى الأحجام الفعلية ، فان الأمر يختلف ، لتقف كبرى القارات (وبسبب عدد سكانها) في المقدمة .

ووفقا لأرقام اليونسكو ، فان عدد الأميين في قارة آسيا (٦٦٦) مليونا . . ، وفي افريقيا (١٦٢) مليونا . . ، وفي أمريكا اللاتينية (٤٤) مليونا .

الآسيويون اذن في المقدمة ، اذا أخذنا بالأرقام والأحجام الفعلية ، والافريقيون في المقدمة اذا أخذنا بالنسب المئوية بالمقارنة بعدد السكان .

على أي حال ، وأيا كان السبق لهذه القارة أو تلك ، فان تلك الخريطة بما تحمله من ازعاج ومؤشر سلبي تحتاج الى تفسير . . لماذا يبقى ما يقرب من المليار من البشر دون قدرة على القراءة والكتابة ، ودون قدرة على مطالعة صحيفة . . ودون قدرة على اتمام معاملة . . في نهاية القرن العشرين ؟

الحرب والفقر :

الأكيد أن هناك العديد من العوامل . .

فالفقر والحاجة للأطفال ـ كقوة انتاجية في سن مبكرة ـ قد يكونان سببين للابتعاد عن المدرسة .

والعادات الاجتماعية ، وتخلف مكان المرأة ، قد تكون ضمن الأسباب .

كذلك فإن بقاء مجتمعات منعزلة في أطراف الصحاري والغابات ، بل بقاء مجتمعات لها لغات لم يتم تسجيلها حتى الآن ، واقتصرت على مرحلة النطق دون الكتابة . . حدوث ذلك يؤثر ـ رغم تراجع أهميته النسبية ـ على انتشار الأمية في العالم الثالث .

العوامل متعددة ، ولكن عندما نحاول قياسها بالأرقام ، فإننا لانجد غير مؤشرات محدودة .

وطبقا لتقرير التنمية في العالم الذي أصدره البنك الدولي عام ١٩٨٥ ، فان نسبة ما وجهته الدول منخفضة الدخل للتعليم في عام ١٩٨٢ تبلغ (٥،٥) بالمائة عن اجمالي انفاق حكومات هذه الدول . . بينما خصصت الدول متوسطة الدخل ضعف هذه النسبة .

وبنظرة تاريخية للوراء نجد أن مخصص التعليم في الدول منخفضة الدخل تتراجع أهميته النسبية . . فخلال عشر سنوات (٧٢ ـ ٨٢) تراجعت مخصصات التعليم الى ثلث الأهمية النسبية . . كانت تحتل (١٥،٢) بالمائة من انفاق الحكومات المركزية لهذه الدول عام ١٩٧٢ ، وأصبحت تحتل (٥،٥) بالمائة فقط كما سبقت الاشارة . . نفس الشيء حدث في مجال الصحة والخدمات الاجتماعية ، أما التفسير فنجده بشكل جزئي في أرقام الدفاع التي كانت تمثل (١٢،٤) بالمائة عام ١٩٧٢ ، فأصبحت تمثل (١٨،٥) بالمائة بعد عشر سنوات من ذلك التاريخ .

اذن فالأهمية النسبية للتعليم ـ وهو الأداة الأولى لمحو الأمية ـ تتراجع . . و . . . مع ذلك فالحقائق لا تكتمل ، لأن هناك أرقاما أخرى تقول انه بالرغم من تراجع الأهمية النسبية ، فان التعليم الأساسي ـ وبالتحديد التعليم في المدرسة الابتدائية ـ يتزايد باطراد .

بالامكانيات المحدودة ، في ظل الاستقلال والرغبة في الخروج من أسر التخلف ، أصبح المقيدون في المدرسة الابتدائية بالدول التي تقع في أدنى السلم وهي الدول منخفضة الدخل : (٨٥) بالمائة ممن هم في عمر التعليم بالمدرسة الابتدائية ، صحيح أن هذه النسبة ترتفع لتتجاوز المائة ، وتصل الى (١٠٢) بالمائة في الدول الصناعية ، وهو ما يشير الى أن الملتحقين بالمدرسة يزيدون عمن هم في العمر المفترض ، ويجذبون لهم أطفالا دون السن . .

ولكن . . أليست نسبة (٨٥) بالمائة من أطفال الفقراء داخل المدرسة الابتدائية نسبة تثير التفاؤل ؟

أظن ذلك . . وإن كانت الأرقام تقول : بان افريقيا ونساء الفقراء أقل حظا باستمرار .

ان النسبة ترتفع في الجزء من العالم الأشد فقرا الى (٨٥) بالمائة ، ممن يجب دخولهم للمدرسة الابتدائية . . لكنها تعود وتنخفض الى (٦٩) بالمائة في افريقيا جنوب الصحراء .

أيضا . . وبينما يصل كل الذكور في ذلك العالم الفقير الى المدرسة ، تتخلف الاناث وتلتحق (٧٧) بالمائة منهن فقط بالمدرسة وعالم القراءة والكتابة .

قد تبدو الأرقام متضاربة ، فكيف يتقدم التعليم الابتدائي ، وتبقى نسبة الأمية عالية ؟

والتفسير واضح ، فالمدرسة الابتدائية لجيل جديد يتقدم ، بينما تسجل أرقام الأمية كل الأجيال وكل البشر ، ولذا فقد انتشر ما نسميه : برامج محو أمية الكبار .

الكبار (سنا) هم الذين يزيدون النسبة ، وان بقيت الأرقام ذات دلالة واضحة تتصل بالتقدم والتخلف ، كما تتصل بالحقيقة التي تقول : « ان الأبناء أسعد حظا » □

رولكس كالجواد العربي الأصيل رفيقة دربك

الأصالة . صفة الجواد العربي ، التي تميّز عن سوّاه من الجياد الأخرى ، كونه وفي لصاحبه حتى في أحلك الظروف والأحوال ، وقوّته وقدرته على تحمّل المشقات والصّعاب لا تضاهى أينما كان. أضف إلى ذلك جمال الشكل والقيمة الأكيدة طوال مدّة حياته.

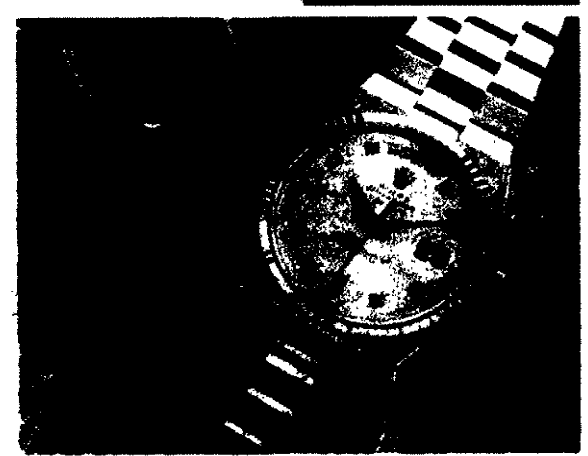
هذه الصّفات ذاتها هي التي تميّز ساعة رولكس عن سوّاها. فهي أصيلة حقّاً لأنها لا زالت تصنّع [illegible] يدويًا، وهي مصنوعة من الذهب الخالص، [illegible] أو الاثنين معًا [illegible] بكافة الاختبارات للتأكد [illegible] دقتها وقدرة تحملها [illegible] على شهادة [illegible] السويسرية [illegible]

أما [illegible] فمجموعة رولكس [illegible] والكبيرة جدًا [illegible] لترضي أصحاب الذوق [illegible]

رولكس كالجواد العربي ، رمز الأصالة الحقة.







ساعة رولكس [illegible] من الذهب الأصفر عيار ١٨ قيراط مرصعة [illegible]

وجها لوجه





أحمد بن يوسف و علاء الدين محسن

■ الفن موهبة يصقلها البحث والدرس .

■ انني أميز بين الأصالة وبين التقنية .

■ أحترم الاتجاه التجريدي وفنانيه ، ولكن يجب ألا ننسى أن الفن ليس تعبيرا عن الذات فقط .

■ أختلف مع الذين يعدون الزخارف الاسلامية فنا تجريديا .

■ الواقعية تثير في نفسي جروحا وأحاسيس صعبة .

□ رسالتي رسالة العدالة وحقوق الانسان والمساواة .

■ المدرسة الاسبانية أعطتني التقنية فقط ، ومـا زلت أرسم موضـوعات مستقاة من الوطن العربي .

● لااريد النظر ١٩٧٥



● حمامة



● تطوان : أحب هذه المدينة حتى .. الكراهية !



● مائية



(زيتية)





● فترة ١٩٨٠

*** بن يسف ، كيف اكتشفت موهبة الرسم فيك ؟**

ـ الفن موهبة تحتاج الى الصقل بالبحث ، لقد أحسست بالفن منذ أن أحسست بأني موجود ، انني لا أعرف متى رسمت أول لوحة ، لكنني أعرف أنني عشت صراعا مريرا ازاء المجتمع فموقف المجتمع العربي الاسلامي من الفنون التشكيلية معروف ، وقد كنت الابن الوحيد لعائلتنا (المحافظة) الذي توجه نحو الميدان الفني ، الا أن هذا الصراع لم يثبط همتي ، بل على العكس جعلني أكثر اصرارا على اختياري الفني ، وبعد دراستي الابتدائية والثانوية التحقت بمدرسة الفنون الجميلة بتطوان ، وبعد أن أمضيت ثلاث سنوات في هذه المدرسة انصرفت لمدة عام للعيش في برية تبعد عشرة كيلو مترات عن تطوان باحثا عن نفسي وعن الطبيعة ، وهنا بلغت معارضة أهلي لاختياري الفني ذروتها ، وكان واضحا لهم أنني لم أختر ميدانا فنيا لا يعرفون كنهه بالضبط فحسب لكنه رغم ذلك مصنف ضمن المحرمات ، بل انني فوق ذلك مجنون ، والا ما معنى أن أعيش عامًا كاملا هائما في البراري ؟ والسلاح الذي كان بيد عائلتي لانقاذي من الجنون « والخطر الفني » الذي يرونه يلف بي كان هو قطع كل شكل من أشكال المساعدة عني .

ومما زاد من احساس عائلتي بهول فجيعتها بي أنها كانت ترى جميع أصدقائي قد توجهوا للدراسات العلمية ، ومما ساعدني على الصمود وسط وضع عائلي متوتر كهذا هو ثقتي بنفسي .

بعد عام البحث عن النفس في سنة ١٩٦٦ قدمت عدة معارض ، كان همي فيها البحث عن مدى تجاوب الجمهور معها لأرى اذا كنت مصيبا في ثقتي بنفسي ، وبصحة اختياري . وكانت نتيجة هذا الامتحان لصالحي . وفي العام التالي بحثت عن منحة من جهة ما ، تكفل لي مصاريف دراستي للفن خارج المغرب ، ولكن دون جذوى ، ولكن سرعان ما أصبح هذا الحلم بين يدي عندما بعت عدة لوحات في معرض لي بتطوان ، جمعت ثمنها وحزمت أمتعتي وتوجهت إلى المدرسة العليا للفنون الجميلة باشبيلية .

تقدمت للامتحان ونجحت ، ثم غادرت هذه المدرسة بعد انتهائي من الدراسة ، وقد حصلت على جميع جوائزها ؛ فقد كنت الأول في الرسم والتصوير والمناظر الطبيعية ، ومنذ ذلك التاريخ لم يمر بهذه المدرسة طالب آخر حصل على هذه الجوائز مجتمعة .

تفوقي هذا ساعدني على حضور في الوسط الفني التشكيلي بخاصة ، وعلى بناء نفسي كفنان محترف . ومباشرة العمل أثناء دراستي .

وأتذكر الآن بصدد دراستي الفنية الأولى بتطوان أن مدرسة الفنون بهذه المدينة كانت مأوى للطلبة الكسالى الذين يفشلون في المدارس والاختصاصات الأخرى ، وعندما تقدمت للالتحاق بها استغرب جميع أساتذتها ، وسألني أحدهم وهو الفنان المغربي المكي مغارة عن سبب توجهي لدراسة الفن في هذه المدرسة فأجبته : بأنني أحس أني أمتلك مقدرة على الرسم ، وأريد أن أدرس تقنية الرسم ، فقال لي : ولكن لا أحد يستطيع العيش من الرسم غير بيكاسو ودالي فاجبته : وسأكون ثالثهما .

إلى هذه الدرجة كانت تضطرم في داخلي رغبات التحدي ، والآن عندما أنظر الى تلك السنوات أجد أن رغبة التحدى القوية التي اشتعلت في نفسي آنذاك كان سببها عدم المعرفة ، واندفاع الشباب ، ولكن لحسن الحظ أصبح هذا التحدى القاعدة التي استندت عليها كل مسيرتي الفنية ، وبعد ذلك ازدادت رغبات التحدى في داخلي ، لكنها هذه المرة تمثل تحديا من نوع آخر لا ينحو نحو المحافظة على نجاحي فحسب بل على تعزيزه..

بعد السنوات الخمس التي قضيتها في المدرسة العليا للفنون الجميلة باشبيلية أمضيت ثلاث سنوات أخرى في دراسة فن الحفر ، وأثناء دراستي قدمت العديد من المعارض ، وحصلت على العديد من الجوائز ، وتوالت المعارض والجوائز حتى اليوم .

بين الأصالة والتقنية

*** رغم توجه التشكيليين المغاربة نحو الاتجاهات المعتمدة على اللعب البصري في الفن التشكيلي المعاصر ، وانبهارهم بها ، استمر بن يسف ملتزما بالواقعية التشخيصية . فبماذا تفسر اختيارك الفني هذا ؟**

ـ أكاد أعتبر هذا السؤال اعاده صيـاغه لسؤال مطروح على نطاق واسع عربيا حول الأصالة في الفن التشكيلي العربي ، وما يمكنني قوله بهذا الصدد ان الأصالة سواء بالنسبة للأفراد ، أو الشعوب لا يمكن



● فنت (زيتية)

أن تكون بأي حال من الأحوال غائبة ، إذ هي في حقيقة الأمر مغيّبة وينبغي البحث عنها ، لذا ففيما يخصني فانني أعتمد على ما أحسه من عناصر الأصالة في ثقافيا واجتماعيا وحتى دينيا ، وأقدمه بلغة تقنية أحاول أن تكون عالمية ، ويمكنك أن تلاحظ هنا أنني أميز بين الأصالة وبين التقنية ، وهما شيئان متمايزان بداهة ، ولكن من الضروري التذكير بهذه البدهية ، لأن الجميع يتناسونها في العالم العربي ، ونحن ـ تشكيليا ـ قد نقلنا من الغرب تقنيته وأصالته معا ، بدل أن نوظف هذه التقنية ـ ان كنا في حاجة لها ـ في خدمة أصالتنا ،وهكذا صار المشاهد يمد بصره على طول المساحة العربية ، فلا يرى غير الرسامين التجريديين .

أخلص من هذا الى القول بان بحثي قد أوصلني الى أن الأصالة توجد في التشخيص ، وأعني هنا التشخيص بالمفهوم الواسع ؛ أي الانطباعي ، والواقعي ، والرمزي ، والسريالي .

انني أحترم الاتجاه التجريدي وفنانيه كل الاحترام ، ولكن يجب أن لا ننسى أن الفن ليس تعبيرا عن الذات التي أنتجته فقط ؛ فاللوحة صلة بين الفنان والجمهور ، ومتى ما توفرت عناصر الفهم ، والتفاهم المتبادل بين هذه الأطراف ، كانت اللوحة في نظري أفضل .

اضافة الى ذلك أعتبر أن اختيار التجريد هو الاختيار السهل ، ويمارس اليوم الكثير من الدجل الفني باسم التجريد ، وقد أصبح هذا الاتجاه مأوى للعديد من الفنانين المزيفين ، والعاجزين ، والباحثين عن شهرة وأضواء سهلة .

التجريد والحضارة الاسلامية

*** ألا ترى أن التجريد ليس منقطعا عن الحضارة الاسلامية التي خلّفت بسبب موقف الاسلام من التشخيصية تراكما لا يستهان به في الفنون الزخرفية التي هي في النهاية فن تجريدي ؟**

ـ انني أختلف مع الذين يعتبرون الزخارف الاسلامية فنا تجريديا ، وأعتبرها رسوما خاضعة



● سيدة

لتقنية علمية محسوبة بدقة ، أي أنه تشخيص ، انني أقيم في جنوب اسبانيا كما تعلم ، وكلما جلت ببصري في أنحاء آثار غرناطة وجدت أن المسلمين قد تركوا تراثا هائلا من الرسوم والنحوت التشخيصية ، بل أكاد أقول من الواقعية المحكومة بتصميم وتفكير ومنطق ، والتجريد عكس ذلك تماما ، فهو يعتمد على التلقائية المطلقة أحيانا .

*** بعض من كتبوا عنك قالوا ان اختيارك للتشخيصية جاء بسبب تأثرك بالمدرسة الاسبانية ، ماذا تقول حول هذاالرأي ؟**

ـ انني أحترم هذا الرأي ، وأقول بكل صراحة ان مثل هذا التأثير يمكن أن يكون موجودا ، فمن خصائص الفنان حساسيته ، وأنا قد درست في أسبانيا ، وفي جوّها الفني وعشت فيها مدة طويلة ، اضافة الى العلاقة التاريخية الاستعمارية بين اسبانيا وشمال المغرب الذي يشمل مدينتي (تطوان) ، وسأكون بليدا حتما اذا لم أتأثر بهذا الاحتكاك العميق مع اسبانيا

ان الحديث عن هذا التأثر لا يخيفني ، ولا أعتبر ذلك ينقص من قيمتي أو قيمة أعمالي ، لأنني لم أفقد هويتي بسببه ، ولم يقتلعني من جذوري ، فأعمالي عندما تعرض اليوم في أي مكان من العالم يعرف مشاهدها بسرعة أنها لفنان مغربي . حتى إن لم يعرف أنها لابن يسف ودون حاجة الى البحث عن توقيع الرسام ، والتحديق فيه لمعرفة هويته ، ولعل السبب في هذا يعود الى أسلوبي الواقعي في عملي الفني ، ولعلك ترى الآن أنني واقعي وصريح حتى في حياتي وحديثي وأنني غير مبالغ ولست مغروراً كما يظن البعض ، وأعتبر صراحتي من جوانب النقص والسلبيات في شخصيتي ، فليس أصعب في هذا الزمن من أن تكون صريحا ، وواقعيا .

الواقعية تثير فيّ جروحا وأحاسيس صعبة كثيرة ، ويهمني الآن أن أقول شيئا فاتني أن أذكره في جوابي على سؤالك السابق ، وهو إنني أعتبر الواقعية الطريق الوحيد الصالح لتبليغ الرسالة .

*** أية رسالة ؟ وما رسالتك أنت ؟**

ـ رسالة الانسان ، والعدالة ، وحقوق الانسان ، والمساواة ، ولفت النظر الى العالم الذي يحيط بنا ، لأنني أعتقد أن جزءاً من وظيفة اللوحة أن تكون وثيقة عن الحياة التي يعيشها الرسام ، ان لوحات القرن الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر تعطى صورة واضحة عن عصرها على مختلف الأصعدة ، اضافة الى قيمتها الفنية .

لقد أنجزت في بداياتي ـ وكنت صغير السن آنذاك ـ لوحات لمشاهد عن المغرب ، وطبيعته ، وقد اندثرت اليوم هذه المشاهد ، لكن لوحاتي لا تزال حية توثق لها ، وتؤرخها ، بل يمكن اعتبارها مرجعا .

*** هل تعتقد أن الفن التجريدي ليست له هذه القدرة ؟**

ـ انه يمتلكها ولكن بشكل أقل ، فقيمة اللوحة التجريدية أقل من اللوحة الواقعية .

*** حسنا ، ما دمت تعترف بتأثير المدرسة الاسبانية عليك ، ماذا أعطتك هذه المدرسة باعتقادك ؟**

ـ أعطتني التقنية فقط ، لأن المدرسة كما قلت سابقا لم تغيرني ، فما زلت رغم أنني أعيش في اسبانيا منذ

عشرين عاما أرسم مواضيع مستقاة من الوطن العربي ـ المغربي ـ التطواني .

* وماذا أعطتك مدينتك (تطوان) ؟

ـ لم تعطني شيئا !

* ألم تعطك الذاكرة ؟

ـ الذاكرة أعطاني اياها أبي وأمي ، لأن تطوان مجرد صدفة في حياتي ، أعني أنني ولدت بتطوان بالصدفة ، اذ كان يمكن أن أولد في أي مدينة مغربية أخرى ، وأنا في النهاية مغربي عربي مسلم ، لكن الثابت في حياتي وذاكرتي هو عائلتي ، والوسط الذي عشت فيه وتأثيرهما العميق فيّ .

* بماذا تفسر اذن حضور تطوان في العديد من أعمالك ؟

ـ لأنني أحبها ، وهذا أمر آخر يختلف عما يمكن أن تكون قد أعطتني اياه هذه المدينة ، ويمكنك أن تقول أنه حب من طرف واحد ، ما دامت هي لم تعطني شيئا بالمقابل أكثر من ذلك . أعتقد أن تطوان هي المدينة الوحيدة في العالم التي لا تعطي شيئا لأبنائها ، بل هي تمتلك على العكس من ذلك « تقنية » عالية لتحطيم هؤلاء الأبناء .

* بالرغم من قولك أنك تحب تطوان ، الا أنني أحس من جوابك بكراهيتك لها ، وأجد في ذلك بعض التناقض ؟

* لأنه ثمة من فرق بين الحب والكراهية ، هناك ما يسمى بحب الكراهية ، وأنا أؤمن بمثل هذا الحب ، وأنا من قوة حبي لهذه المدينة أجد فيها أشياء تؤلمني ، وهو ما يجعلني بحسب وصفك أمقتها .

* لماذا اخترت العيش في اسبانيا ؟

ـ لست أنا من أختار اسبانيا ، هي التي اختارتني للعيش فيها .

* أعيد سؤالي بصيغة أخرى أكثر تواضعا : كيف اخترتما بعضكما ؟

ـ كان هناك تجاوب متبادل ، فعندما أنهيت دراستي هناك ، وبدأت بالعمل كفنان محترف في اسبانيا ، وجدت تفهما ، وتجاوبا ، أضف الى ذلك أنني لم أعش في اسبانيا بل في جنوبها ، في اشبيلية التي أحس فيها وكأنني أعيش أيام المعتمد ، ومرسمي في حي عربي بهذه المدينة ، كما أن عيشي في هذه المدينة التي لا تزال تنبض فيها الروح العربية ، جعلني أكتشف أجدادي وقيمة العرب وعظمتهم ، وأكثر من ذلك اشبيلية جعلتني أحب بلادي وأصالتي ، ولا يخامرني شك في أنني لو كنت أعيش في المانيا مثلا لما حدث كل ذلك ، ولكنت غادرت دون وداع أو عودة .

ـ أعمالك الأكثر انتشارا تصور فيها وجوه نساء عجائز عامرة بأخاديد الزمن ، لماذا لا ترسم نساء جميلات ؟

ـ رسمت مختلف أشكال النساء ، وفي شتى مراحل حياتهن ، ولحسن الحظ زوجتي تتفهم ذلك ، فالمرأة مهمة في حياتي ، وقد رسمتها في مختلف مراحلي ، لأنني لا أستطيع العيش بدونها مثلما لا أستطيع العيش معها ، واللوحات التي أشرت اليها في سؤالك عرفت في الوطن العربي أكثر من غيرها بسبب الصحافة التي لا يمكنها أن تنشر صورا للوحاتي الأخرى عن المرأة .

* هل لك طقوس خاصة في الرسم ؟ نريدك أن تتكلم لنا عن علاقتك باللوحة ؟

ـ حياتي مع اللوحة محكومة بعلاقة صراع ، أحيانا أرسم شهرا كاملا ثم لا ترضيني النتيجة ، وكأنني لست الرسام الذي رسم تلك اللوحات التي أبهرتني قبل أن يعجب بها الآخرون ، إني أعيش تقلبات صعبة في حياتي مع الرسم ، وهو أمر يعطيني راحة نفسية كبيرة ، لأنه يشعرني باستمرار أنني لست آلة تنسخ دون توقف وتنتج دائما لوحات جيدة ، وأتوقع دائما من لوحتي الأخيرة أن تكون أجمل من التي سبقتها لكن هذا لا يتحقق بسهولة ، فالحظ والظروف والمشاكل التي يعيشها الانسان كيفما كانت تؤثر فيه ، فكيف اذن بالفنان ؟ لا تنس أنني أب لثلاثة أولاد ، لدى معهم مشاكل كالتي تحدث لأي أب .

* ماذا يصلح للنشر من نقاط ضعفك ونواقصك ؟

ـ إنها كثيرة ، لكنها لا تصلح للنشر لئلا تؤثر على سعري في سوق الفن التشكيلي .

* ألم تفكر بعد اقامة عشرين عاما في أسبانيا بالحصول على الجنسية الأسبانية ؟

ـ أبدا . وليس هذا ادعاء ، فأنا أتمتع باسبانيا بكامل حريتي ، وبجواز سفري المغربي هذا أولا ، وثانيا لو غيرت جنسيتي لما أصبح لكل أعمالي أية قيمة . □

صيدهم ، وقال : « إن الممول المتهرب من دفع الضرائب كبير الشبه بالسحلية التي تجيد الهرب والاختفاء ، فهي لاتكاد تظهر حتى تختفي . »

وخرج المحصلون في أكبر حملة من نوعها لاصطياد السحالي ، ومرت أربعة أيام ، وعندما عادوا إلى مكاتبهم كان كل حصيلتهم من السحالي التي تمكنوا من اصطيادها سبعا فقط ! وجن سوبيرين ، فقد كانت السحالي صغيرة هزيلة ، وقد كان يتوقع أن يأتيه موظفوه بسحالي سمينة منتفخة تمثل الممولين الأثرياء المتهربين .

قال وهو يستقبلهم في مكتبه ، وكانوا أكثر من مائة محصل : « على أية حال ، لقد عدتم بشيء ، وهو افضل من لا شيء ، وإذا كنتم قد نجحتم في صيد السحالي ، وهو أمر أصعب بكثير من صيد الممولين ، فلا شك أنكم قادرون على تأدية واجبكم ، لقد قررت أن أمنحكم فرصة أخرى ، فاذا فشلتم ، فستكون رحلتكم القادمة مع صيد التماسيح ، وهي مهمة قد لاتعودون منها أبدا » .

للنساء فقط !

اكتشف الاكاديميون في الصين لغة جديدة غريبةفي وادي يانجتسي . ويقول أحد علماء اللغات ان هذه اللغة المكتوبة كانت « للنساء فقط » ! كيف حدث هذا ؟ ومن الذي كتبها ؟

تقول مجموعة من النساء اللواتي نجحن في قراءة هذه المخطوطات أن صاحبتها فتاة ، كانت تعيش منذ عشرة قرون ، وأن اسمها هيواكسيونج ، وأنها كانت إحدى محظيات الامبراطور كينزون ، وكانت تعيش حياة تعسة مليئة بالألم والشقاء وراء جدران قصره الكبير .



وقد أرادت أن تنقل لبنات جنسها صورة للمشاعر التي كانت في صدرها ، خلال هذه الفترة من حياتها ، لكن بلغة جديدة لايفهمها أهل الصين ، واستطاعت في النهاية أن تبتكر هذه اللغة التي راحت تصف فيها حياة الوحدة والعذاب التي كانت تعيشها في البلاط الامبراطوري .

وعندما سألوهن : « كيف أمكنكن الاهتداء إلى تفسير هذه الرموز ؟ قلن : « إن سر المرأة لايمكن أن يخفى على امرأة مثلها »

المهم أن الفتاة المسكينة كانت تحذر في هذه الرسائل التي كتبتها بخط يدها كل امرأة من الاقتراب من قصر الامبراطور ، أو الظهور في مكان عام ينتشر فيه رجاله .

ومازال العلماء الرجال يحاولون فك رموز هذه اللغة السرية الجديدة التي اختارت لها صاحبتها هذا العنوان « للنساء فقط » .

وحوش ما قبل التاريخ !

أحدث اكتشاف بيض متحجر اهتماما علميا كبيرا ، بالغموض الذى يحيط بانقراض الوحوش التى كانت تعيش على الارض قبل التاريخ . فقد ثبت أن هذا البيض الذى عثر عليه بعض المشتغلين بالاثار لأنثى ، الديناصور ، ذلك الوحش الهائل الذى عرفوه من خلال الهياكل العظيمة المتحجرة في المناطق الباردة ، والذى يؤكد العلماء انه انقرض منذ اكثر من سبعين مليون سنة .

وقد تم العثور على بيض الديناصور المتحجر وسط جبال فيرجانا بآسيا الوسطى ، ولكن الغموض الذى

يكتنف انقراض هذا الوحش مازال يحير المشتغلين بعلم الاحياء . . فهناك من يعتقد أن الديناصور لم يستطع أن يتكيف مع التغيرات التى طرأت على القشرة الارضية والاجواء المحيطة بها ، بينما يرى فريق آخر بأن الجفاف الذى أصاب المستنقعات والبحار الضحلة ، قضى على نوع معين من الاعشاب التى كانت تنمو ويتغذى بها الديناصور .

وثمة نظرية ظهرت أخيرا تقول ان الاشعاعات التى نجمت عن انفجار كوكب في الفضاء هي التى قضت على هذا الوحش بسبب عجزه عن الاختباء نتيجة لضخامته ، بينما استطاعت الوحوش الأصغر حجما وكذلك الحيوانات التى كانت تعيش في تلك الفترة من عمر الارض أن تبحث لنفسها عن مخبأ يقيها خطر هذه الاشعاعات الحارقة .

ولكن يبدو أن هناك رأيا جديدا قد يصبح بدوره موضوعا للدراسة من جانب العلماء ، يؤكد أن الديناصور مات وانقرض نتيجة لامتصاص الاعشاب والنباتات البرية التى كان يتغذى عليها ، لكميات كبيرة من اليورانيوم الموجود فى باطن الارض الجبلية .

وصاحب هذا الرأى الجديد هو العالم السوفيتى سيرجى نيروشيف وقد ضمنه كتابه الجديد الذى صدر اخيرا بعنوان « اليورانيوم والحياة فى تاريخ الارض » .

ذكريات في المزاد

كانت الأغنية التي أهداها لأمه هي التي وضعته فوق أول درجات السلم إلى الشهرة والمجد ، فقد كان شابا صغيرا عندما افترق عنها ليذهب إلى الجامعة ، وهناك في مدينة روما ـ العاصمة الأيطالية ـ افتقد الشاب الصغير أمه ، واشتد به الحنين إليها ، فجلس يغني لها أغنيته المشهورة التي كان مطلعها « أمي حبيبتي تعيش بعيدا عني ! » .

إنه مغني الاوبرا الايطالي بنامينو جيلي الذي رحل منذ سنوات بعيدة ، لكنه فجأة عاد إلى الأذهان من جديد عندما قرأ الايطاليون في الصحف ان البيانو الذي كان يعزف عليه جيلي سوف يباع بالمزاد العلني ، في إحدى قاعات الموسيقا في روما التي شهدت مولد مغني الاوبرا الكبير .



وقد تم بيع البيانو بالفعل بمبلغ يساوي خمسين ألف جنيه استرليني ، لكن المشرفين على المزاد حاروا في أمر هذا المبلغ الكبير ، فهم لايعرفون أحدا من ذويه يمكنه أن يتقدم لتسلمه . وفجأة تقدمت سيدة عجوز جاوزت الستين وقالت : « أنا رينا جيلي ، ابنته ، ثم أخرجت من حقيبة يدها صورة لها معه ، وأوراقا تثبت صحة نسبها إليه . وتسلمت المبلغ ، وقالت وهي تضعه في كيس نقودها وهي تبكي : « كنت أفضل لو أنكم أعدتم لي البيانو ، فهو الشيء الوحيد الذي يحمل ذكرى أبي ، لكنني أجد نفسي مضطرة لان أقبل المبلغ بدلا منه ، لأنني أعيش على الكفاف ، وقد تقدم بي العمر كما ترون .

ويكى الحاضرون معها ، ثم تقدم أحدهم وجلس يعزف على البيانو الأغنية التي أهداها جيلي لأمه ، ولكن بعد أن حرص على أن يغير كلماتها : « أبي حبيبي الذي أعيش بعيداً عنه وحيداً ، مع ذكراه . » □



بقلم الدكتور عصام سيسالم

طمحت نفسه الى الملك بعد أن تحرر من اسار العبودية ، وأضفى الخيال على اسمه هالة من البطولة والمجد ، وظل اسمه اسطورة من الأساطير ، تناقلها سكان الثغور المطلة على الحوض الغربي للبحر المتوسط لعدة قرون !

يحيط الغموض بأصل مجاهد ، والأرجح أنه اسباني الأصل عامري الولاء ، نشأ في رحاب الاسلام في قرطبة الزاهرة تحت رعاية الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر الذي اعتنى بتربيته وتعليمه . وبرع في علوم القرآن والحديث واللغة العربية كما برع بالفروسية ، وجمع بين رفقة العلم ومجد الفروسية . وكان مجاهد العامري قبل نشوب الفتنة في بلاد الاندلس كبير فتيان الحاجب عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر الملقب بشنجول ، وقد تخلى مجاهد كبقية كبار قادة الجيش الاندلسي عن « شنجول » عند نشوب الفتنة في قرطبة بقيادة محمد بن هشام بن عبد الجبار الأموي لسوء تصرفات شنجول وحماقته . وظل في قرطبة يتابع الأحداث الدامية في عاصمة الخلافة ، ويتحين الفرص لتحقيق طموحه الى المجد والسؤدد . ولاحت الفرصة المواتية بعد مقتل الخليفة الأموي محمد بن هشام بن عبد الجبار المهدي على يد الموالي العامرية ، وعودة الخليفة هشام المؤيد الى سدة الخلافة في « ذي الحجة » ٤٠٠ هـ / ٢٤ يوليو ١٠١٠ . وفي نفس اليوم الذي قتل فيه الخليفة المهدي غادر مجاهد العامري قرطبة على رأس جماعة من اتباعه الى شرق الاندلس لتحقيق طموحاته في ارساء صرح مملكة له ولأعقابه .

نواة المملكة

وبعد جهود مضنية نجح مجاهد في الاستيلاء على ثغر دانية وما حولها في شرق الاندلس ، وكون نواة

مملكة في هذا الاقليم الاستراتيجي المطل على الحوض الغربي للبحر المتوسط والمحاذي لجزائر شرق الاندلس « البليار » التي كان يحكمها آنذاك القائد البحري مقاتل الصقلبي. وقد جذبت شهرة مجاهد العلمية اعداداً كبيرة من العلماء الأندلسيين الى دانية ، خاصة من العاصمة قرطبة التي تعلم مجاهد في معاهدها العلمية مع أعرق فتيان قرطبة أصالة ومكانة ، وليس أدل على ذلك من رسالة ابي عامر عبد الملك بن شهيد ـ وهو من أعرق الأسر القرطبية ومن الأدباء البلغاء ـ التي يقول فيها مخاطبا مجاهد العامري : « كنا تربي صحبة ، وحليفي صبوة ، قد تخلينا عن الانساب وانتسبنا الى الآداب » كما جذبت فروسية مجاهد فرسان الاندلس الذين يتوافدون على دانية زرافات ووحدانا ، فكان مجاهد يختار منهم من اشتهر بالشجاعة والفروسية ويضمهم الى جيشه الذي أصبح بفضل براعته العسكرية من أقوى الجيوش في بلاد الاندلس وأكثرها عددا وعدة .

كما دفعته همته الى انشاء اسطول بحري في دار الصناعة في دانية عاصمة مملكته ، ويعود الفضل في ذلك الى عراقة سكان ساحل الاندلس الشرقي في البحرية ، وتوفر غابات الصنوبر الجيد الصالح لصناعة السفن في المناطق المحيطة بدانية ، خاصة في الجبال المحيطة بحصن قلصة ، وما كانت تدره الزراعة والتجارة عليه من ثروات وافرة .

وأصبح مرسى « السمان » المنيع في دانية الحصينة قاعدة كبرى لاساطيل مجاهد العامري الذي كان يتطلع الى تأسيس مملكة مترامية الأطراف تشمل شرق الاندلس وجزر الحوض الغربي للبحر المتوسط . ومن أجل اضفاء الشرعية على حكمه اعلن بيعته للخليفة هشام المؤيد الذي أقره على ولايته ، وقام مجاهد بصك عملة في « الوطة » على الطريق الساحلي بعد دانية وسرقسطة ، تحمل اسمه واسم الخليفة هشام المؤيد ، وبعد اختفاء هذا الخليفة للمرة الثانية قام مجاهد العامري بمبايعة أمير أموي من الوافدين الى مملكته هربا من الفتنة يدعى عبد الله المعيطي ولقبه بالمنتصر بالله . وبعد خمسة أشهر من مبايعة المعيطي خليفة في مملكته أبحر مجاهد العامري على رأس اسطوله وبصحبته الخليفة المعيطي الى جزر البليار ، وتمكن من الاستيلاء عليها في ذي القعدة ٤٠٥هـ / مايو ١٠١٥م . واتخذ مجاهد من هذه الجزر الاستراتيجية في شرق الاندلس قواعد بحرية لاساطيله . ومنذ ذلك الحين ازدادت غاراته البحرية عنفا على سردانية وقرشعة وثغور ساحل ايطاليا الغربي ، وجنوب بلاد الفرنجة ، وامارة قطلونية الاسبانية ، وأصبح اسمه يثير الرعب في الثغور المطلة على الحوض الغربي للبحر المتوسط ، وتطلعت نفسه الطموحة الى تكوين مملكة كبرى تشمل جزر وسواحل الحوض الغربي للبحر المتوسط ، في وقت اختلفت فيه موازين القوى بعد انهيار الامارة الاسلامية في جبل القلال ، وسقوط قاعدتها الكبرى فرخشنيط في يد حلف صليبي (٣٦٥هـ /٩٧٥م) فقد أدى انهيار هذا السد المنيع الذي استمر شامخا قرابة المائة عام في أعماق بلاد الفرنجة وايطاليا وسويسرة حتى نهر الراين ، الى تعاظم القوة البحرية بنيرة وجنوه ، مما مكنها منذ ٣٩١هـ / ١٠٠٠م من تزعم حملات بحرية صليبية ، كان هدفها الاستيلاء على جزر شرق الاندلس « البليار » ومهاجمة السواحل الاسلامية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط .

وكان لظهور أساطيل مجاهد العامري ومجابهتها لاساطيل نيرة وجنوة والبروفانس وقطلونية أكبر الأثر على تراجع تلك الأساطيل الى قواعدها ، وتوقفها عن الاغارة على الثغور الاسلامية المطلة على الحوض الغربي للبحر المتوسط ، وكانت الخطوة الرئيسية التي أقدم عليها مجاهد العامري دون تبصر لتحقيق تطلعاته الى المملكة الكبرى التي يطمح اليها ، اعداده لحملة بحرية كبرى الى جزيرة سردانية ، لفتحها والاستقرار فيها ، واتخاذها قاعدة لمملكته ، ويشير أبو طالب عبد الجبار ، المعروف بالمتنبي الاندلسي ، في ارجوزته الشهيرة عن ملوك الطوائف في هذه الحملة وكان الاسطول الذي قاده مجاهد العامري لفتح سردانية من أكبر الاساطيل البحرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط آنذاك ، وكان على متن سفنه خيرة فرسان الأندلس والغزاة المتطوعة والبحارة الأشداء من شرق الأندلس وجزر البليار الذين تمرسوا في البحر وعبروا مسالكه وخاضوا حروبه . وكان يقود سفينته « أبو

خروب » القائد البحري الكبير ، وتحققت الخطوة الأولى من طموحات مجاهد بفتح جزيرة سردانية ، بعد معارك طاحنة ومقاومة ضارية ، تحت قيادة القائد السرداني الشجاع « مالوت » الذي قتل دفاعا عن وطنه على مقربة من (كلياري) عاصمة الجزيرة في معركة من أعنف المعارك ، التي خاضها السردانيون ، واستكان أهل جزيرة سردانية ، وأعلنوا طاعتهم لمجاهد العامري الذي قام بتنظيم شئون الجزيرة ، واتخذ عاصمة له في مكان احدى المدن القديمة المندثرة ، بعد أن قام بتجديدها وتحصينها على يد الأسرى من السردانيين ، وبعد أن اطمأن مجاهد العامري على استقرار دعائم حكمه في جزيرة سردانية ، أبحر على رأس اسطوله العتيد الى ساحل ايطاليا الغربي ، وتمكن من فتح ثغر لوني بسهولة ، واتخذ من هذا الثغر الاستراتيجي في شمال غرب ايطاليا قاعدة للعمليات الحربية في ايطاليا ، وعندما علم من عيونه وارصاده بتوجه أسطول نيرة الى اقليم قلورية « كلابريه » في جنوب ايطاليا للاغارة على ثغر « ريو » التابع للكلبيين امراء صقلية الاسلامية ، قام مجاهد على رأس اسطوله بعبور نهر الارنو ومباغتة نيره بهجوم ليلي ،وبينما كان جنوده يتسللون عبر دروب احياء نيرة الغربية ، تنبهت احدى النساء الى الخطر الداهم ، واسرعت الى قصر حاكم المدينة ، وأبلغته بالنبأ ، ودوي النفير في شتى أنحاء المدينة ، وتتابعت الامدادات من المدن المجاورة ، مما اضطر مجاهد الى الانسحاب من نيرة للمقاومة الضارية التي أبداها السكان من جهة ، وللحرائق الهائلة التي شبت في المدينة من جهة ثانية ، وعمت أنحاء ايطاليا موجة عارمة من الحماس ، استغلها البابا (بندكت) الثامن في تكوين حلف صليبي لمواجهة قوات مجاهد العامري ، ولبت الجمهوريات البحرية الايطالية على رأسها نيرة وجنوة نداء البابا ، وحاصرت القوات المتحالفة ثغرلوني ، مما اضطر مجاهدي العامري الى الانسحاب على رأس أسطوله الى سردانية .

الحشد الكبير

ولم يكتف البابا بهذا النجاح وقام باصدار مرسوم بابوي الى الجمهوريات البحرية الايطالية والفرنجية والجرمان بحشد القوى المسيحية لطرد قوات مجاهد العامري من جزيرة سردانية وفي الوقت الذي كانت تحتشد فيه الاساطيل المسيحية المتحالفة لمهاجمة القوات الاسلامية في جزيرة سردانية ، كان عملاء البابا يحثون اهل سردانية على الثورة ومقاومة الغزاة ويعدونهم بالقوت العاجل . واستجاب السردانيون وانقضوا على الحاميات الاسلامية في المناطق الجبلية ـ ولم يتمكن مجاهد من التصدي لهذه الثورة المفاجئة ، وزاد من صعوبة موقفه وقوع تمرد غامض في صفوف قواته كما يقول الحميدي الميورقي « واختلف عليه اهواء الجند . . . » .

وبينما كان مجاهد العامري يحاول جاهدا قمع مقاومة اهل سردانية ومعالجة التمرد الذي وقع بين صفوف قواته وصلت اليه أنباء الحشود البحرية الهائلة التي كانت في طريقها الى جزيرة سردانية من ايطاليا وبلاد الفرنجة ويقول ابن الاثير بهذا الصدد : « فسار اليه الفرنج والروم . . . » ويذكر ابن الخطيب « بان ملوك الارض الكبيرة تداعوا على مجاهد وبلغه من أمرهم ما لايطيقه »فوقع في حيرة من أمره ، وقرر بعد تردد مغادرة سردانية على أمل أن يعود اليها ثانية .

(بعد تفرق من يشغب عليه) وبعد تغير الأوضاع في الجزيرة وزوال الوباء الذي تفشى في المدينة التي اختطها . وكان ابحار اسطول مجاهد من سردانية في ظروف غير مواتية في شهر ابريل الذي تهب فيه على شواطىء الجزيرة الرياح الشمالية الغربية الصيفية المعاكسة لتحريك الاسطول المتجه غربا الى جزر البليار . وفي الوقت الذي كان فيه « ابو خروب ، قائد الاسطول يحاول جاهدا الانسحاب عبر مضيق بونبفاشيو الضيق في طريقه الى ميورقة فوجىء بالاساطيل المسيحية المتحالفة تقطع عليه الطريق ، « وجاءت امداد الروم وقد عزم على الخروج . . » كما يقول الحميدي الميورقي ويؤكد نفس الرواية ابن حيان حيث يقول : « فاعجله العدو عن القفول واللحاق بدار ملكه في ميورقة وقطع به . . . » .

ولم يجد مجاهد العامري مخرجا سوى اللجوء الى ثغر احدى الجزر الصغيرة في مضيق بونبغاشيو والتحصن فيه حتى تهدأ العاصفة ، وأمر « أبو خروب » قائد البحريين باللجوء الى ذلك المرسى ، ولكن « أبو

خروب » القائد البحري المجرب نصحه بعدم اللجوء الى ذلك المرسى المكشوف وأصر مجاهد على رأيه مما أدى الى تحطيم معظم سفن الاسطول وأسر وقتل من فيها .

وقد أطلق المسلمون على تلك الجزيرة المشئومة اسم « جزيرة الشهداء » .

وهكذا تعاونت الطبيعة القاسية والقوات المسيحية المتحالفة على تدمير اسطول مجاهد . ويصف أبو الفتوح الجرجاني اثر الفاجعة على نفس مجاهد بقوله « وكلما سقط مركب في أيدي الروم جعل مجاهد يبكي من القهر . . وكان أبو خروب رئيس البحريين يردد قائلا : قد كنت حذرته من الدخول الى هنا فلم يقبل . . » ولم يبق من ذلك الاسطول العتيد بعد تلك الفاجعة المروعة سوى خمسة مراكب واربعة قوارب ،

أما بقية قطع الاسطول فقد دمرت وقتل من فيها أو أسر ، وكان من بين الأسرى زوجات مجاهد وبناته وأمه واحدى خالاته واحد أخوته وبعض أخواته وولده على وكان وحيدا آنذاك . وعاد مجاهد الى ميورقة يجر أذيال الهزيمة ووصل الى شواطئها في ذي الحجة ١٤٠٦ هـ / ابريل ١٠١٦م بعد ثمانية أيام من انسحابه من المعركة البحرية الدامية . وعندما اقترب من ساحل جزيرة ميورقة علم من بعض أنصاره بان الخليفة عبد الله المعيطي قد استبد بالحكم وأعلن عزل مجاهد وقرر قتله اذا ما عاد سالما من حملته على سردانية . واستعمل مجاهد العامري الحيلة « وبادر المعيطي عند وصوله الى الساحل وهو ذاهل عنه وهجم عليه وأقامه من مجلسه وقبض عليه وعلى من شايعه من أنصاره وتسلم منه سلطاته وعاقبه على سوء ما كافأه به . » وخلعه ونفاه في سفينته الى ثغر بجاية في المغرب الأوسط حيث عاش هناك بقية عمره مغمورا يتقوت من تعليم صبيان كتامه البربرية الى أن توفي في ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ م .

وقد تمكن مجاهد العامري بعد عودته الى ميورقة من « افتكاك من أسر له من بناته ونسائه وأخواته في مدة قريبة الا والدته جود النصرانية فقد اختارت أهل ملتها وتبعتها اختها فأعرض عنهما . . » أما ابنه علي الذي كان في السابعة من عمره حين أكره فقد أعياه فداؤه بالرغم من أنه عرض على الوسطاء عشرة آلاف دينار مقابل اطلاق سراحه ، وكان قد أهدي الى الامبراطور هنري الثاني اعترافا بفضل الامبراطورية الرومانية المقدسة وعرفانا بجميل الامبراطور الالماني لما قدمه لهم من عون عسكري ومالي في مجابهة مجاهد العامري في البر الايطالي وجزيرة سردانية .

العامري في أعين الشعراء

. وقد استطاع مجاهد العامري بما عرف عنه من صبر وجلد بناء اسطول جديد انطلق عبر البحر المتوسط في غارات متلاحقة على جزر سردانية وقرشعة وثغور ساحل ايطاليا الغربي وجنوب بلاد الفرنجة ، وكان يقود هذه الاساطيل قادة البحر في ثغور دانية وجزر البليار وعلى رأسهم الاغلب عامل جزر البليار .

وتنسب المدونة البينرية هذه الغارات البحرية الواسعة النطاق الى مجاهد العامري الذي أصبح اسمه اسطورة لدى سكان الثغور المطلة على الحوض الغربي للبحر المتوسط . وقضى مجاهد بقية عمره في حروب متواصلة في البر والبحر واشُغِلَ في الصراعات الدامية بين ملوك الطوائف ، وتمكن في احدى حملاته من الاستيلاء على قرطبة ، ولكنه أخفق في تثبيت دعائم حكمه هناك ، وعاد الى دانية ليثير حربا أخرى على جيرانه من ملوك الطوائف . لقد كان مزيجا فريدا يجمع شتى التناقضات . ويصف ابن بسام الشنتريني شخصية مجاهد العامري نقلا عن ابن حيان قائلا :

أكثر مجاهد التخليط في أمره ، فطورا ناسكا متعبدا متبرئا من الباطل يعكف على دفاتر يقرؤها ، وتارة خليعا فاتكا لايساتر بلهو ولا لذة ولا يستفيق من شراب وبطالة ولا يأنس بشيء من الجد والحقيقة وله ولغيره من ملوك الطوائف في هذا الباب أخبار مأثورة » .

لقد عاش مجاهد العامري حياة حافلة وكانت جزر البليار ودانية من المراكز العلمية الهامة في غرب العالم الاسلامي ، وكان بلاطه يضم نخبة من العلماء والادباء والفقهاء والشعراء من شرق العالم الاسلامي

ومغربه وكان من بينهم الشاعر المشرقي الفتح بن أفلح الذي مدح مجاهد في قصيدة هذا مطلعها :

غـرائب ممـا أغـرب الـدهـر أطلعت
عليـك هـلال العلم من أفق المغـرب

ومنهم أبو الفتوح ثابت الجرجاني العالم اللغوي والفيلسوف الذي صحبه في حملة سردانية وكان من كبار رجال بلاطه وفي دانية شرح الجرجاني كتاب الجمل لأبي القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي وقد سأله مجاهد عن شخص رآه معه فأجابه الجرجاني على الفور :

رفيقـان شتى ألَّف الـدهـر بيننـا
وقـد يـلتقـي الشـتى فـيأتـلفـان

كما كان من رجال بلاطه « ابو العلاء صاعد الربعي البغدادي » العالم اللغوي الأديب صاحب كتاب « العصوص » ألفه للمنصور محمد بن أبي عامر يعارض كتاب الأمالي لأبي على القالي وقد مدح أبو العلاء البغدادي مجاهدا بقصيدة يشكره فيها على عطائه منها :

اتـتـني الخـريـطة والمـركـب
كـما اقـتـرن الـسـعـد والـكـوكـب
مجـاهـد رضـت اباء الـشـمـوس
فـأصـحبـت مـا لم يـكـن يـصـحـب
فـقـالـوا من الـواجـب المسـتقـل
عـقـائـل يـعـيـا بهـا الحـسـب
فـقـلـت فـتى اصـفـري الـنـجـاد
يـروع بـه الـشـرق والمـغـرب

كما ضم بلاط مجاهد العامري ابن سيده اللغوي المشهور وعبد الله بن يوسف بن عبد البر النمري الوزير الكاتب العالم وأبو حفص بن برد الشاعر الأديب الذي مدح مجاهداً في رسالته المشهورة « برسالة السيف والقلم » يقول فيها مخاطبا مجاهدا :

يـا أيهـا المـلك الـسـامـي بهـمـتـه
الى سـماء عـلا قـد أعـيت الهـمـما
لـولا طلابي غـربت المدح فيـك لمـا
وصفت قبـل عـلاك السيف والقلما
وانمـا كـان تـعـريضـا كـشفـت بـه
من الـبـلاغـة وجـهـا كـان ملـثـما

كما وفد الى بلاطه ابو بكر محمد بن قاسم الشاعر الاندلسي المعروف باشكهباط ومدحه بقصيدة مطلعها :

وكـم ذا لقيت الجـهـد قبـل مجـاهـد
وكم أبصـرت عيني وكـم سمعت اذني

وكان أحد أعلام مجالسه وندمائه الشاعر الاندلسي ابن سقانا الاشبوني ، ومن غرر قصائده القصيدة التالية يصف فيها أحد مجالس مجاهد حيث يقول :

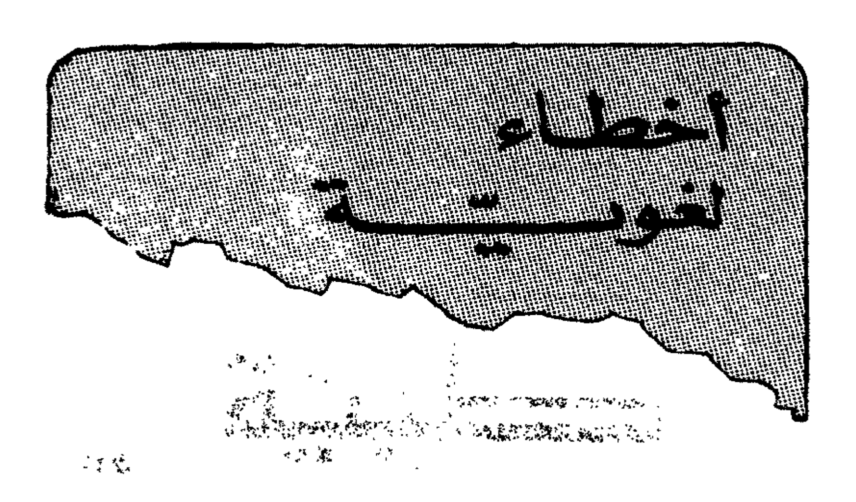
ولمـا سـقـتـنـا بـابـريـقـهـا
لـثـمـنـا يـديهـا وخـلـخـالهـا
وَتـبْـنَـا وبـاتـت عـلى سـاقـهـا
تـصـفـق لـلشـرب جـربـا لهـا
كـأن نـجـوم الـدجـى روضـة
تجـر بهـا الـسـحـب أذيـالهـا
كـأن الـثـريـا بهـا رايـة
يـقـود المـوفـق أبـطـالهـا

وكان المعتضد بن عباد أمير اشبيلية وملحقاتها زوجا لاحدى بنات مجاهد العامري . كتب اليه يخاطبه في البيتين التاليين بلسان شاعره المشهور « ابن زيدون » :

خِـلِي،أبـا الجيش هـل يُقضى الـلقـاءَ غداً
فيشتفي منـك طـرف أنت نـاظـره
شط المـزار بـنـا والـدار « دانـيـة »
يـا حبذا الفـأل لـو صحت زواجـره

لقد كان مجاهد العامري فريدا في عصره في كل ناحية ، في شكله وشجاعته وفروسيته وفي علمه وأدبه في تدينه واستهتاره أحيانا أخرى ، في ميزاته وسلبياته .

حقا لقد جمع شتى التناقضات في شخص واحد ، فكان عظيما رغم سلبياته ، عالما وأديبا رغم هفواته قائدا باسلا رغم نزواته ، لقد كان بحق صورة صادقة عن العصر الذي عاش فيه ، ودخل التاريخ من أوسع أبوابه وأضفى الخيال على اسمه هالة من البطولة والمجد وتناقل سكان الثغور المسيحية المطلة على الحوض الغربي للبحر المتوسط أخبار حملاته جيلا بعد جيل وأصبح اسمه اسطورة من الاساطير لعدة قرون . □



بقلم : الدكتور محمد صادق زلزلة

إن كثيرا من المصطلحات العلمية ، والطبية العربية ، المعربة والعربية أصلا ، لا تزال تنطق ، أو تلفظ ، بصورة خاطئة ، وكأن ذلك النطق ، وهذا التلفظ ، أصبح هو اللفظ الصحيح ، وأصبح ما عداه ثقيلا على الأسماع ، يثير الدهشة ، ويسبب العجب .

وفيما يلي بعض هذه الكلمات والمصطلحات العربية والمعربة الخاطئة .

بتقدم العلوم الطبية ، والتقنية ، الحديثة ، ظهرت للوجود مصطلحات ، ومسميات ، كثيرة اقتضتها الضرورة لتسمية ما يستجد في تلك العلوم من أمراض ، وعقاقير ، ومسببات مرضية ، وفحوص تقنية ، ونحو ذلك . وهذا مما أدى الى دخول كثير من تلك المصطلحات الحديثة الى الأكاديمية الطبية العربية ، بألفاظها الغربية كما وضعها علماء الغرب المكتشفون والباحثون . وهذا جاء بسبب تقاعس العلماء واللغويين العرب عن الاسراع في تعريب تلك المصطلحات ، قبل أن تدخل اللغة العربية ـ بلفظها الغريب ـ وتفرض وجودها فيه ، ذلك أن لغة الضاد لا تعجز عن ايجاد ما يقابل تلك المصطلحات من كلمات تعطي معناها ، أو تكون تضميناً أمينا لها ، وليس هذا كل مافي الأمر ، بل ان أمر اهمال المصطلحات والمسميات الطبية ، والعلمية العربية ، وعدم الاهتمام بنطقها نطقا سليما ، بات أمرا اعتياديا ، حتى أن النطق ببعض الكلمات العربية العريقة يأتي خاطئا من غير أن ينتبه اليها أحد حتى من الكتاب ، والمؤلفين ، والمتحدثين ، والأطباء ، ومن غير أن يكلف أحد نفسه عناء تصحيح تلفظ تلك الكلمات ، أو البحث عن أصولها ومعناها السوي .

الّلثة :

تلفظ على الغالب بفتح اللام المشددة ، وفتح الثاء المشددة . وهذا خطأ . أما الصواب فهو : الِّلثَة ، بكسر اللام المشددة ، وفتح الثاء . من الِّلثْي ،

ويعنى بها : الريق . وأصل اللّثة : اللّثيَةُ ، فخفف لفظها . واللّثة هي مغرز الأسنان . وفيها العُمُور ، وهو ما تصعد بين الأسنان من اللثة .

العَقّار :

تنطق كلمة العِقار ـ بالكسر ـ أو العَقار ـ بالفتح ـ بمعنى الدواء . وهذا وهم ، فالعَقار ، بالفتح مخففا ، هو ما يملكه المرء من منزل ، وبستان ، وأرض ، وضيعة ، ونحو ذلك . أما العُقار ـ بالضم ـ فهي : الخمرة ، سميت كذلك لأنها عقرت العقل ، وعاقرت الدن ، أي لازمته . وفي الحديث الشريف : « لا يدخل الجنة معاقر خمر » . وهو الذي يدمن شربها . أما الصواب فهو : العَقّار بوزن عطّار وجبّار . وهو ما يتداوى به من دواء . وجمعه : العقاقير ، وهي أصول الأدوية .

النزيف :

كثيرا ما يقال : النّزيف من الأنف ، والنزيف من الجرح . وهذا خطأ يقع فيه كثير من الأطباء ، والكتاب ، والمتكلمين . والصواب : النّزْف . فيقال : النّزْف الدموي من الأنف ، والنزف من الجرح مثلا . أما النزيف فهو الشخص الذي نزف دمه ، أو أصيب بالنّزْف . فيقال : شخص نزيف على وزن جريح وصريع .

الجُلْطة :

كثيرا ما تلفظ هذه الكلمة بفتح الجيم المعجمة . ويراد بها : الجُلطة الدموية في الشرايين والأوردة . وهذا خطأ . لأن الجَلطة ـ بالفتح ـ لها معان أخرى غير هذا المعنى . فيقال : جلط الرجل رأسه اذا حلقه . وجلط الرجل جَلْطة اذا كذب ، أو خرج بكلامه عما يراد به . أما الصواب فهو : الجُلطة ، بضم الجيم المعجمة . فيقال : الجُلطة التاجيةُ في القلب مثلا .

الكُلية ، والكُليتان ، والكُليتين ، والكلى :

تلفظ كلها بكسر الكاف خطأ ، والصواب أن تلفظ بالضم . فيقال : كُلية ، وكُليتان ، وكُليتين وكُلى . والعربية لا تعرف هذه الكلمات بالكسر وانما تعرفها بالضم وحسب .

الصَّرْع :

تلفظ بفتح الراء المهملة خطأ . والصواب : الصَّرْع ، بسكون الراء . وأصل الصَّرْع : الطرح على الأرض . يقال : يصرعه صَرعا وصِرعا ، فهو مصروع ، وصريع . والجمع صرعى . والصَّرْع : علة معروفة .

السُّعرة ، والسُّعرة الحرارية ، والسُّعر :

يطلق هذا الاسم على الوحدة المستعملة لقياس الطاقة الحرارية في الجسم . وهو تعبير خاطىء . لأن معنى السُّعْرة ـ بالضم ـ لون يضرب الى السواد فُوَيق الأدمة . ومعنى السَّعر ـ بالفتح ـ السعال الحاد ، وتصغيرها : السُّعَيرة . أما الصواب فهو : السُّعر ، بضم السين المهملة المشددة . وجمعه : سُعْرات . يقال : سعر النار سعرا ، أي : أوقدها وهيَّجها . وقوله تعالى ـ عز من قائل ـ « واذا الجحيم سُعِّرَتْ » ، أي أوقدت وأُجِّجت . كذلك قوله تعالى : وكفى بجهنم سعيرا . والسَّعير : النار . والسُّعْر : حرها .

المُبْتَسَر :

تطلق عبارة الطفل المبتسر على الوليد الذي يولد ناقص الخَلقْ ، أو قبل اتمام أيامه . وقد أخذ ذلك من البَسرْ ، وهو الاعجال . يقال : بَسَرَ الرجل حاجته ، يَبْسُرُها بَسْرا ، وبسارا ، وابتسرها ، وتبسرها : أي طلبها في غير أوانها ، أو في غير موضعها . فأخذت كلمة « المبتسر » فأطلقت على الوليد الذي يولد قبل تمام أيامه داخل الرحم ، وكأنه مستعجل في الخروج الى الدنيا ولا ندري كيف عثر الباحث على هذه الكلمة فاستعارها لهذا المعنى ، ولم يعثر على كلمة : الخديج وهي نص مؤكد لهذه الحالة ، وليست استعارة لها . تقول العرب : خدجت الناقة تخدِج وتخدُج خِداجا : ألقت ولدها قبل أوانه لغير تمام

الأيام ، وان كان تام الخَلْق . فهي : مُخْدِجٌ وخادِج . ويقال للولد : خَدُوج ، وخِدج ، ومُخْدَج ، ومخدوج ، وخديج ـ والخُداج : الاسم من ذلك وبعد هذا كله فلِم تستعمل عبارة الطفل المبتسر .

السُّخْد :

تستعملها بعض الجهات العلمية والأكاديمية على أنها تقابل كلمة Placenta ، وهي العضو اللاصق في جدار الرحم ومنه يتغذى الجنين ، أو الحميل ، بواسطة الحبل السُّري . وهذا وهم كذلك . يقول « ابن منظور » في « لسان العرب » : السُّخْدُ : هو الماء الذي يكون على رأس الولد . والسخد ماء أصفر ثخين ينزل مع الولد . وقيل هو ماء يخرج مع المَشيمة ، قيل : هو للانسان خاصة ، وقيل هو للانسان والماشية . ومنه قيل : رجل مُسخد . والرجل المسخد : هو الرجل المورّم المُصْفَرُّ ، الثقيل من المرض . فيقال : أصبح فلان مُسَخَّداً ، اذا أصبح وهو مصفر الوجه مورم . والسُّخدُ : الرهل والصفرة في الوجه . كما ذكر « الفيروزابادي » في « القاموس المحيط » معنى السخد بما يشبه هذا المعنى .

أما الصواب ، فهو أن توضع في هذا المقام كلمة المشيمة . يقال : المشيمة للمرأة هي التي فيها الولد . والجمع : مشايم ، ومشيم .

الرَّخَد ، والكُسَاح :

تستعملها بعض الجهات العلمية الأكاديمية بمعنى Rickets ، وهو مرض يصيب عظام الطفل الصغير فيسبب ضعفها ولينها ، ومن ثم تقوسها وتشوهها ، استعمال هذه الكلمة بهذا المعنى وهمٌ كذلك . ذلك أن الرِّخْوَد من الرجال ـ وهو المصاب بالرَّخَد ـ هو الرجل اللين العظام ، الكثير اللحم . فيقال : رجل رِخْوَدُّ الشباب ناعمه ، وامرأة رَخْودة ناعمة ، يقول الشاعر :

عرفت من هند أطلالا بذي البيد
قفرا وجاراتها البيض الرخاويد

ولعل الدافع لوضع كلمة الرخد مقابل كلمة Rickets هي عبارة لين العظام المذكورة آنفا . ولكن لين العظام هنا لا يعني لين مادة العظام بمعناه الحقيقي ، وانما لين الأعطاف ونعومة الخلقة ثم ان كلمة Rickets مشتقة من الكلمة اللاتينية Rhachitis بمعنى : الشكوى الشوكية نسبة الى القناة الشوكية في العمود الفقري ، وليست من الكلمة العربية « الرَّخَد » كما قد يتبادر الى الاذهان .

أما الصواب ، فهو : الكساح ، وهي الكلمة التي ينبغي أن توضع في هذا المقام . والكُساح الزّمانة (أي المرض) في اليدين والرجْلين ، وأكثر ما تستعمل في الرِّجلين . فيقال : كَسِحَ الرجل كَسَحاً : اذا ثقلت احدى رجليه فراح يجرها جرا في المشي . والأكسح : المُقعد .

الفَيْرس ، والفايروس ، والفيروس :

في سنة ١٨٩٢ ميلادية ، قام العالم « إيوانُوسكي Iwanoski » بوصف حالة خَمَج (التهاب) انتقل بواسطة عامل غير مرئي استطاع المرور خلال مصفاة جرثومية ، ولم يستطع العالم المذكور آنذاك تحديد ماهية هذا العامل ، أو معرفة هيئته وتركيبه وكيانه ، فأطلق عليه اسم Virus . ومعنى هذه الكلمة باللاتينية : السُّم . وفي أوائل الأربعينيات اكتشف المجهر الألكتروني ، واستطاع العلماء بواسطته أن يروا هذه العوامل رأي العين ، وأن يحددوا أشكالها ، وهيئاتها . ثم أخذوا يطلقون عليها أسماء مختلفة ، ولكن اسم « الفايرس » ـ أي السُّم ـ بقي لاصقا بها منذ أن سماها به العالم « ايوانوسكي » قبل حوالي مائة عام . وقد أخذ الكتّاب العرب ، والمؤلفون ، والمتحدثون في الاذاعة والتلفزة وغيرهما هذه الكلمة فاستعملوها كما هي : الفايرس ، وفي بعض الأحيان : الفايروس ، والفيروس ، ونحو ذلك .

وكأن لغة الضاد تعجز عن الاتيان بمسمى لكلمة أجنبية تعني : السُّم . والصواب أن يذكر اسمها في العربية ، وهو : الحُمَةُ . ذلك أن معنى كلتا الكلمتين : الفايرس والسُّم هو : الحُمَة . وهي ترجمة أمينة دقيقة لكلمة Virus كما أشار الى ذلك علماء الطب العرب .

البيولوجيا ، والبسيكولوجيا ، والفسيولوجيا :

كلمات لاتينية يستعملها بعض الأطباء ، وضعاف الكتاب ، كما هي ، مع اضافة ألف ليِّنة في آخر الكلمة ، من غير أن يكلف بعضهم نفسه عناء البحث عن معناها في العربية . وكأن لغة الضاد تعجز عن ترجمة هذه الكلمات ، أو ايجاد معنى لها .

ان كل كلمة من هذه الكلمات ، تتركب من كلمتين ، الثانية منها : Logy ، أو « لوجيا » كما تُلفظ بالعربية من قبل البعض ، ومعناها : علْمٌ .

والـ Bio ومعناها : الحياة . فيكون معنى المصطلح : علم الحياة . والثانية تتكون من كلمة Logy بمعنى علم ، و Psycho ، ومعناها :

النفساني أو ما يتعلق بالنفس ، وهي مشتقة من كلمة Psyche اللاتينية التي تعني : النَّفس . فيكون تمام المعنى : علم النفس . وكذلك الكلمة الثالثة فانها تعني : علم وظائف الأعضاء . ومن الغريب أن « مترجم » كلمة Psychology يصر على وضع الحرف P ، الذي يكتب في أول الكلمة اللاتينية ولا يلفظ ، فيكتبها : بسيكولوجيا . . فتأمل !

البُلعوم :

تلفظ بفتح الباء خطأ ، والصواب : البُلعوم ـ بالضم ـ وهو مجرى الطعام من الفم الى المعدة . ويقال له أيضا : البُلْعُمُ ، والمَبْلع ، والبلعوم . أما البلعوم ـ بالفتح ـ فهو خطأ شائع .

الصِّمام :

تلفظ بفتح الصاد المهملة وتشديد الميم . وهذا خطأ . والصواب : الصِّمام ، بكسر الصاد المهملة وتشديدها . يقال : أصْمَمْتُ القارورة : أي سددتها ، وأصْمَمْتها : أي جعلت لها صماما ، وجمع الصِّمام أصمة . وكذلك يقال صمامة ، وجمعها : صمامات .

الحَنْجرة :

تلفظ بضم الحاء المهملة خطأ . وأحيانا بضم الجيم المعجمة . فيقال : الحُنْجرة ، والحُنْجُرة . والصواب : الحَنْجَرة ، بفتح الحاء المهملة .

والجمع : حناجر . ومنه قوله تعالى : وبلغت القلوب الحناجر . أي صعدت من مواضعها ، من الخوف ، الى بارئها .

المتوفى :

بمعنى الميت . تلفظ بكسر الفاء المشددة خطأ . والصواب : المتوفَّى ـ مبني للمجهول ـ ذلك أن المتوفي (بكسر الفاء المشددة) هو الله سبحانه وتعالى ، لقوله ـ عز من قائل ـ « الله يتوفى الأنفس حين موتها » . أما الميت فهو المتوفَّى ، أي الذي حلت به الوفاة ، والذي توفاه الله ـ سبحانه ـ بأجله الموعود .

يقول أحد اللغويين : مررتُ في طريق فرأيت جنازة تشيع . وسمعت رجلا يسأل : « من المتوفي ؟ . . » ـ بكسر الفاء المشددة ـ فقلت له :

« الله تعالى » . فضربت حتى كدت أموت وتدل هذه الطرفة على أن الخطأ ، في لفظ هذه الكلمة قديم عند العامة من الناس . ولكن مابالك بالمثقفين ، والمتعلمين ، والمتأدبين ، في عصرنا هذا .

رموش العين :

لا توجد في الفصيحة كلمة رَمش ، أو رَمْشٌ أو رموش . وانما هي جميعها كلمات عامية كان الفضل في نشرها وتعميمها يعود لبعض ضعاف الكتاب والمترجين ، حتى رسخت هذه الكلمات في الأذهان وكأنها من الفصيحة . والصواب : أهداب العين .

وكذلك عبارة في رَمْشَةِ عين . فانها عبارة عامية كذلك . والصواب : في طَرْفَة عين . والطَّرْفَةُ ـ على وزن الطَّلْعَة ـ هي حركة الطَّرْف . والطَّرْف : العين .

فَرَمَ ، وفَرَمْتُ ، والفَرْمُ ، والفِرامُ :

كثيرا ما يستعمل الأطباء كلمة « فرم » - من الفَرم - بمعنى تقطيع الشيء الى قطع صغيرة غاية في الصغر . فيقال ، فَرَم اللحم فرما ، واللحم المفروم - أي المقطع قطعا صغيرة متماثلة . . وهكذا . وهذا خطأ كبير . ذلك أن الفَرم ، والفِرامَ ، له معنى بعيد كل البعد عن ذلك ، ليس هنا مجال شرحه أو بحثه .

ومن شاء الاطلاع على ذلك فليراجع لسان العرب لابن منظور (الجزء الثاني عشر ، صفحة ٤٥١ في طبعته التي تضم خمسة عشر مجلدا ، أو الجزء الثاني ، صفحة ١٠٨٩ في طبعته التي تضم أربعة مجلدات كبار) . كما تستعمل كلمة « ثرم » - وهي عامية - للمعنى نفسه ، أي تقطيع الشيءِ الى قطع صغيرة - وهو خطأ كذلك . اذ أن معنى الثرم : انكسار السن من أصلها . واستعمال هذه الكلمة بمعنى تقطيع الشيء الى قطع صغيرة ، عاميا ، أخف وطأة من استعمال كلمة « فَرَم » التي نأمل أن يطَّلع عليها القارىء الفاضل في المظانّ المذكورة .

شُفِيَ من مرضه :

تلفظ كلمة شَفَى بالفتح ، وهذا خطأ . والصواب أن يقال : شُفِيَ من مرضه . لأن الانسان لا يشفى من عنده ، وانما يشفيه الله تعالى ويبلُّهُ من مرضه - فهو الذي شفاه فَشُفِيَ . فالله تعالى هو الرزاق في حالة الصحة ، والمشافي في حالة المرض ، لقوله تعالى - عز من قائل : « هو الذي يطعمني ويسقين . واذا مرضت فهو يشفين » . □

الاصطياف

هل عرفه العرب ؟

بالرغم من ان الاصطياف ظاهرة حضارية ، الا أن العرب عرفوا الاصطياف منذ عصور سحيقة ، وفقا لدواعيه ، وبحسب مواطنهم الجغرافية ، ومستوياتهم الحضارية من جهة أخرى .

فكان حسان بن أسعد أبو كرب الحميري أعظم تابعة اليمن يصطاف في ظفار ويشتو في مأرب ، وكانت رصافة الشام مصطاف النعمان بن ثابت بن الأيهم من ملوك الغساسنة ، وقد جدد الخليفة هشام بن عبدالملك ذلك المصطاف ، وظل يتردد عليه .

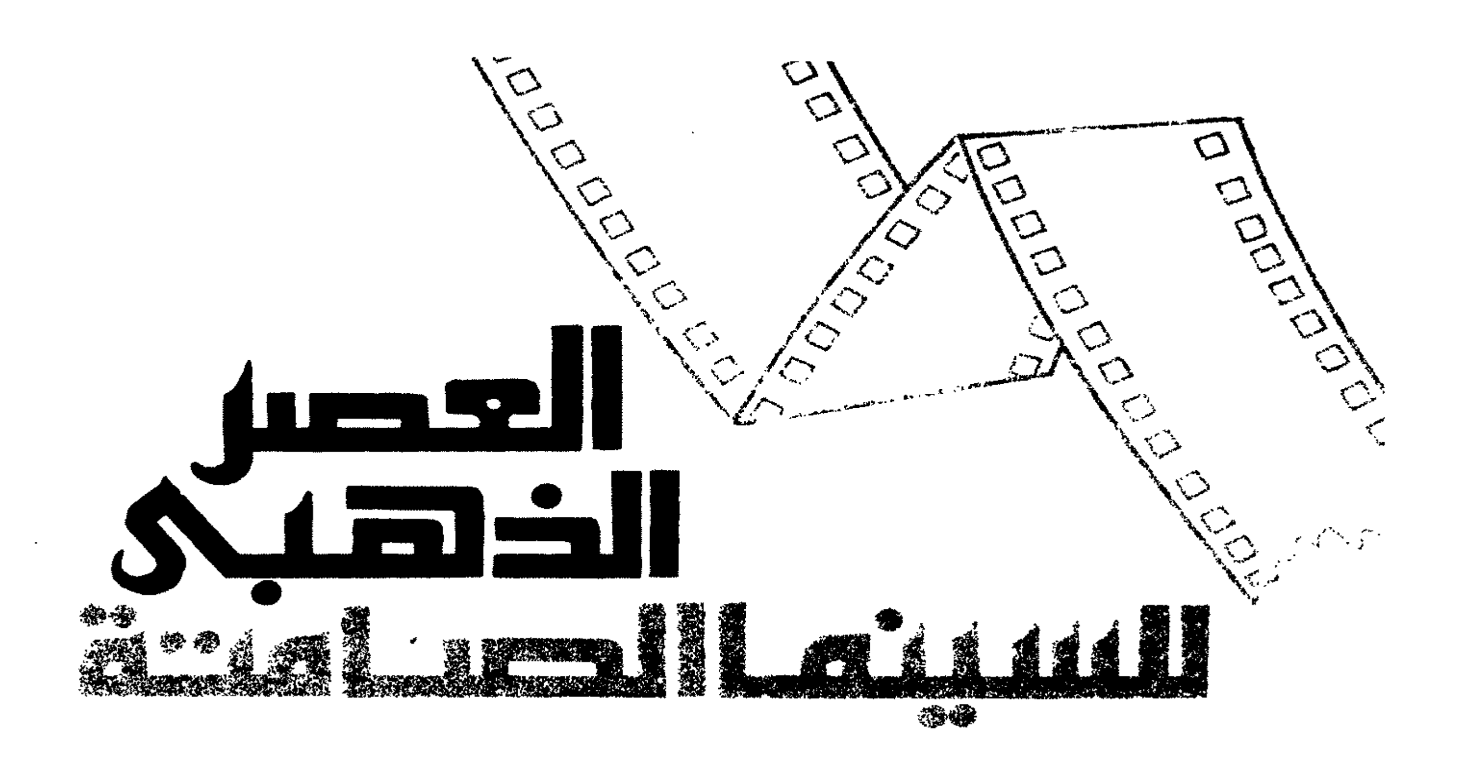
وكانت الطائف من أجمل المصايف العربية ، واشتهرت بطيب هوائها ، وروعة مناظرها ، وكثرة ثمارها في فصل الصيف ، وقد ذكر البكرى أن بني عامر بن صعصعة كانوا يصطافون فيها ، وقد عبر الاصمعى عن انطباعه بزيارة الطائف بقوله : دخلت الطائف فكأني أبشر ، وقلبى ينضح بالسرور ، ولم أجد سببا لذلك الا لانفساح جوها وطيب نسيمها .

وكان الاصطياف في الطائف من مظاهر الترف ، يفخر به السراة ، وفي ذلك يقول محمد ابن عبدالله المنيرى في زينب اخت الحجاج بن يوسف تشتو بمكه نعمة ومصيفها بالطائف .

كما كانت الشاش من البلدان التي اشتهرت برقة جوها صيفا ، وشدة برودتها في الشتاء ، فقد قال فيها أبو ربيع البلخى :

الشاش في الصيف جنة ومن أذى الحرجُنة
لكنه يعتريني بها لدى البرد جِنّة

كما كانت همدان يستحب الاقامة بها صيفا ولا تحتمل في الشتاء ، يقول ياقوت الحموى انه كان يصطاف في الجبال ليسلم من سمائم العراق ، ويشتو في العراق ليسلم من زمهرير الجبال وثلوجها ، كما كانت بساتين الشام وجبالها مصايف خاصة للأعيان من السراة ، يقضون فيها أمتع أيام العمر .



العصر الذهبي للسينما الصامتة

بقلم : عبدالقادر التلمساني

في الثلاثينيات من هذا القرن نطقت السينما ، وكان هذا إيذانا بنهاية حقبة سينمائية كاملة وبداية حقبة أخرى .

لكن هذه النقلة النوعية في الفن السينمائي لم تأت من فراغ ، فعلى مدى عقد من الزمن تكونت الملامح الأساسية للسينما كفن ، وتبلورت المدارس الرئيسية في العالم ، وعاشت السينما الصامتة عصرها الذهبي ، وفي هذا المقال رصد للانجازات الرئيسية في حقل السينما في ذلك العصر .

كان الاتجاه المسيطر على الانتاج السينمائي الفرنسي بعد الحرب العالمية الأولى هو تملق أذواق الجماهير ، بتقديم أفلام روائية ذات طابع تقليدي ، وجملة من الحوادث مثل فيلم « الفرسان الثلاثة » (١٩٢١) ، وفيلم « المعركة » ومع ذلك فمنذ عام ١٩١٩ بدأ تيار جديد يظهر في السينما الفرنسية ، كرد فعل لهذا الاتجاه السائد ، بقيادة (لويس ديلوك) ، وهو روائي ورجل مسرح جاء الى السينما ، و (كانودو) وهو روائي أيضا ، وأول من كتب بحثا في السينما عام ١٩١١ ، وقد جمعا حولهما بعض المخرجين من أمثال السيدة (جيرمين ديلاك) و (مارسيل ليربيه) و (آبيل جانس) ، وذلك بقصد تأكيد القيمة الفنية للسينما وتطويرها وتحسينها ، وبدأ (ديلوك) و (ليون موسيناك) كتابة النقد السينمائي في عديد من الجرائد والمجلات ، كما أنشأ (ديلوك) عام ١٩٢٠ أول نادى سينما ، وكون (كانود) عام ١٩٢١ « نادى أصدقاء الفن السابع » وذلك بقصد تربية ذوق فنى للجماهير ، انها الفترة التي اكتشف فيها المثقفون السينما ، وقد كتب الأديب (جول رومان) في تلك الفترة كتابا هو « دونوجو » استعمل

فيه وقوع حدثين مختلفين في نفس اللحظة ، وهي طريقة سينمائية خاصة تأثر بها الأدب .

لغة السينما

وقد أنتجت تلك المدرسة ـ التي كان ديلوك منظرها ورائدها الأول ـ أفلاما فنية عديدة نخص بالذكر منها « نفوس المجانين » ١٩١٨ ، و « العيد الأسباني » ١٩١٩ ، و « مدام بوديه المبتسمة » ١٩٢٣ ، وهي من اخراج (جيرمين ديلاك) ، وأفلام « حمى » ١٩٢١ ، و « امرأة من لا مكان » ١٩٢٢ من اخراج (ديلوك) ، وتمتاز بأسلوبها البديع الموجز . وأفلام « الرجل الكريم » ١٩٢٠ ، و « الدورادو » ١٩٢٢ ، و « المتوحشة » ١٩٢٣ من اخراج (مارسيل ليربييه) وتمتاز بديكوراتها الباردة الشبيهة بديكورات المدرسة التعبيرية الألمانية ، وأفلام « انى أتهم » ١٩١٩ عن قصة (ايميل زولا) ، و « العجلة » ١٩٢٣ ، و « نابليون » ١٩٢٧ وهي من اخراج (آبيل جانس) وتمتاز بالمبالغة المفرطة في التعبير الفني الخالص .

واذا كانت بعض الأبحاث الفنية « التقنية » « والجمالية » التي تضمنتها هذه الأفلام تبدو لنا اليوم شكلية بحتة ، بل وعقيمة الى حد كبير ، فانها مع ذلك تدل على مجهود واضح لخلق لغة خاصة بالفن السينمائي ، وقد أعطت للسينما الفرنسية في ذلك الحين طابعا فيه الكثير من الجدة والأصالة ، رغم ضيق حدودها من الناحية المادية .

وقد تأثرت المدرسة الفرنسية في بعض جوانبها بتيار فني آخر جاء من ألمانيا ، كان يستخدم أسلوبا جديدا في التعبير السينمائي ، وهذا التيار الذي سمى بالمدرسة التعبيرية الألمانية ، يتميز بتشويه معين للعالم الخارجي ، ويقدم من هذا العالم الرؤية الذاتية للمخرج الفنان ، وأكثر الأفلام تمثيلا لتلك المدرسة هو فيلم « عيادة الدكتور كاليجارى » ١٩٢٠ وقد أخضع مخرج الفيلم (روبيرت واين) الممثلين والملابس لديكورات ذات أسلوب فني أعدت خصيصا لكي تتلاءم مع سيناريو يعالج موضوعا مرضيا شاذا يرويه مجنون .

وسوف يعاود الألمان تناول هذا اللون من الموضوعات بعد ذلك مرات عديدة ، وقد اتخذ



شارلى شابلن

(فريتز لانج) ـ هو الآخر ـ الأسلوب التعبيري ، وأخرج فيلم « الأنوار الثلاثة » (١٩٢١) ، ولم يعد الديكور يتكون فقط من لوحات مرسومة ـ كما هو الحال في فيلم كاليجارى ـ ولكنه مع ذلك ظل محتفظا بطابعه التعبيري العميق ، وفي عام ١٩٢٢ بدأ (فريتز لانج) في اخراج ثلاثيته الشهيرة المعروفة « بالنيبانجين » وهي أفلام مستوحاة من الأساطير التي تعبر عن الروح الجرمانية ، وتسيطر عليها ديكورات

هرقلية ضخمة ، ويبدو فيها بوضوح وامتياز الحس التشكيلي .

ومن كبار الممثلين للمدرسة التعبيرية الألمانية المخرج (ميرناو) الذي قدم عام ١٩٢١ فيلم « نوسفيراتو مصاص الدماء » . ومن أروع أفلامه كذلك فيلم « آخر الرجال » ١٩٢٤ الذي لمع فيه الممثل الكبير (اميل جانينجز) . . وقد استخدم في هذا الفيلم كل امكانيات الكاميرا في الحركة . . كما طور سيناريست الفيلم (كارل ماير) مضمون مدرسة مسرح الحجرة الى أقصى مداها ، و (ماير) هو مبدع نظريتها التي تتميز بوحدة المكان وبساطة الموضوع ، والتمثيل والوسط الذي تدور فيه الحوادث ، وقد وجهت نظرية « مسرح الحجرة » جزءا من السينما الألمانية نحو الواقعية ، ولنذكر فيلم « ليلة عيد الميلاد » للمخرج (لوبى بيك) وفيلم « شارع بلا مرح » للمخرج (بابست) .

ولقد كان للأزمة الاقتصادية التي حدثت عام ١٩٢٤ آثار بالغة الخطورة على السينما الألمانية ، فقد أقفلت ستوديوهاتها ، وذهب خير نجومها وفنييها من أمثال (بولانيجرى) و (اميل جانينجز) ، و (ايرنست لوبيتش) ، و (كارل ماير) و (ميرناو) وغيرهم للعمل في هوليوود .

أوروبيون في السينما الأمريكية

لكي تحتفظ أمريكا بتفوقها الذي هدده أفول نجم (جريفيث) و (ماك سينيت) وموت (توماس اينس) وهم مخرجوها الثلاثة الكبار ـ راحت تدعو الفنانين الأجانب للعمل لديها ، ومن بين هؤلاء الأجانب كان النمساوي (اريك فون سترويم) وهو واحد من أقوى الشخصيات السينمائية التي ظهرت في العالم ، عمل مساعدا (لجريفيث) ثم أخرج عام ١٩٢٢ فيلما كبيرا يتسم بالجرأة الشديدة ، والواقعية الصارخة ، والصراحة العارية من الحياء ، هو فيلم « جنون النساء » . . ثم أخرج عام ١٩٢٣ فيلم « الجشعون » وهو أشد عنفا في واقعيته من سابقه ، بل هو يصل أحيانا الى حد الافراط في تصوير الواقع . وقد اختصر المنتجون فيلم جريفيث « التعصب » فأصبح مثله عسير الفهم وفشل تجاريا ، وقد رفض



سلفادور دالي

(ستروبم) الاعتراف بالفيلم بعد اختصاره ، وأصبح المخرج ـ بسبب سخريته الاجتماعية العنيفة التي تعبر عنها أفلامه ـ من المشكوك في ولائهم لأمريكا ، لذلك فبعد أن أخرج فيلما آخر قويا هو « لحن الزفاف » ١٩٢٧ اضطر أن يترك الاخراج ويكتفى بالتمثيل .

وقدم مخرج نمساوي آخر هو (جوزيف فون ستيرنبيرج) بفيلم « ليالي شيكاغو » ١٩٢٧ نموذجا جديدا من الأفلام الأمريكية هو فيلم العصابات « الجانجستر » وسوف يجد هذا النوع من الأفلام نجاحا كبيرا فيما بعد .

وقد استطاع الفنانون السويديون الذين جذبتهم أمريكا أن يفلتوا بصعوبة شديدة من سيطرة الأفلام التجارية التي تنتجها هوليوود بالعشرات ، فأخرج (سجوستروم) عام ١٩٢٤ فيلم « الرجل الذي يستقبل الصفعات » وهو من أفضل الأفلام في هذه الفترة .

وهكذا نجد أن أمريكا تدين للأوروبيين بغالبية أفلامها القيمة في ذلك الحين ، ومع ذلك فهناك ميدانان لأمريكا فيهما كل الفضل :

أولا الفيلم التسجيلي ـ فقد أعطى (روبرت فلاهرتي) بفيلمه « نانوك الأسكيمو » ١٩٢١ لهذا

النوع من الأفلام معنى جديدا ، وذلك بأن تناول موضوع الفيلم بأسلوب اجتماعي وانساني له مسحة من الروح الروائية الشاعرية ، والميدان الثاني الذي تفوقت فيه أمريكا هو ميدان الفيلم الكوميدي ، ويعود الفضل الأكبر في ذلك الى العبقري (شارلي شابلن) الذي استمرت موهبته في النمو والازدهار في أفلامه فترة طويلة ، مزج فيها السخرية الاجتماعية بالضحك الخالص ، ومن روائع أفلامه في تلك الفترة فيلم « الصبي » ١٩٢٠ ، وفيلم « الحاج » ١٩٢٣ . ولكن (شابلن) لم يلبث أن أصبح مثل (ايريك فون ستروهيم) مريباً في نظر المنظمات الدينية المتعصبة (البيوريتانية) في أمريكا . . غير أن نجاحه الشعبي الرائع واقبال الجماهير على أفلامه قد ضمن له الاستمرار في العمل والانتاج .

علم النحو السينمائي

في منتصف العشرينيات ظهرت في فرنسا حركة فنية جديدة استوحت النظريات الجمالية للدادية والسريالية . وقد ساند هذه الحركة جمهور نوادي السينما وصالات العرض المتخصصة من المثقفين ، وراحت تبحث عن وسائل تعبير سينمائية مختلفة ومتنوعة ، والأعمال المهمة التي أنتجتها هذه المدرسة كلها تقريبا من الأفلام القصيرة المليئة بالصور العجيبة المذهلة ، وهي تشبه في الغالب تلك الصور التي يمكن أن نراها في أحلام اليقظة ، وأهم هذه الأعمال :

« الباليه الميكانيكي » للفنان التكعيبي فرنان ليجيه (١٩٢٤) و « المحارة والقسيس » (١٩٢٨) من اخراج (جيرمين ديلاك) عن سيناريو للشاعر (أنطونان أرتو) ، و « نجمة البحر » (١٩٢٨) للمصور (مان راي) و « الكلب الأندلسي » وهو الفيلم النموذجي للسينما السيريالية أخرجه (لوي بونويل) عن سيناريو (لسلفادور دالي) ولا شك أن كثيرا من هذه الأفلام التجريبية قد تجاوز كل حد ـ من الناحية الفنية ـ وان لم يتجاوز دائرة محدودة من المتفرجين ، ومع ذلك فقد أثرت هذه الحركة في أولئك الذين سوف يعطون للسينما الفرنسية وجها جديدا .

ومن بين الذين جاءوا حديثا الى السينما في تلك الفترة المؤلف المخرج (رينيه كلير) . وهو أول من نجح في أن يخاطب بأفلامه الصفوة المختارة والجمهور الكبير من المتفرجين . . ذلك الجمهور الذي لا تستطيع السينما أن تعيش بدونه ، فقد تجاوز (رينيه كلير) أبحاث الطبيعة ، وربطها بتقاليد المدرسة الكوميدية الفرنسية فيما قبل الحرب العالمية الأولى ، في أفلامه « باريس النائمة » (١٩٢٣) و « استراحة (١٩٢٤) » وقد اعتبر النقاد هذا الفيلم نموذجا لعلم النحو السينمائي ، ثم في فيلم « الرحلة الخيالية » (١٩٢٦) وفيلم « قبعة القش الايطالية » (١٩٢٧) عن مسرحية الكاتب المسرحي الفرنسي (يوجين لابيش) ـ ويعتبر هذا الفيلم نموذجا للروح الخفيفة وللرقة في التعبير الفني .

وأخرج (جاك فيدير) ، بعد فيلم « أتلانتيد » (١٩٢١) وفيلم « وجوه الأطفال » (١٩٢٤) ، فيلمه المثير الرائع « كرانكيبيل » (١٩٢٣) عن قصة الروائي الفرنسي الكبير (أناتول فرانس) ثم ترجم بالصورة قصة اميل زولا « تيريز راكان »(١٩٢٨) .

وأخرج (جان رينوار) ابن الفنان التأثيري الكبير (أوجيست رينوار) فيلما جميلا هو « ابنة الماء » (١٩٢٤) ثم قصة (اميل زولا) الشهيرة « نانا » (١٩٢٦) ثم « بائعة الكبريت الصغيرة » (١٩٢٨) للكاتب الداغركي الشهير (هانزكريستيان أندرسون) وقدم أحد السينمائيين الهواة في ذلك الحين وهو (مارسيل كارنيه) فيلما أثار الانتباه اليه هو « الدوراد والأحد » (١٩٢٠) وأخرج (جان جريميون) أولى أفلامه عام ١٩٢٧ وهو « في الهواء الطلق » كما أخرج (ابيشتين) فيلما تسجيليا ذا طابع روائي عن مقاطعة بريتانيا عام ١٩٢٩ . وقد أفسحت الأفلام التسجيلية الخالصة المجال لظهور أفلام قصيرة ذات قيمة فنية ، مثل فيلم « الكونغو » اخراج (مارك اليجريه) ، وأفلام(جان بانليفيه) (المولود عام ١٩٠٢) مثل « الاخطبوط » و « حصان البحر » وغيرها ، حيث امتزج الشعر بالأهمية العلمية للفيلم .

ومن الضروري أن نفرد مكانا على حدة لفيلم عظيم أخرجه في فرنسا المخرج الدانمركي (دريار) وهو فيلم « عذاب جان دارك » (١٩٢٨) حيث جعلت الممثلة (فالكونيتي) من دور (جان دارك) مثالاً لروعة التعبير والأداء .

ان هذا الفيلم دراسة عميقة وأصيلة للقيمة التعبيرية للوجوه الانسانية ، وقد صورت كلها تقريبا في لقطات كبيرة ودون أي مكياج ، على أن كل هذه الأفلام تعتبر استثناء في الانتاج الفرنسي الذي ظل في مجموعه ضئيل القيمة وتافها ، والذي ظل مستواه في هبوط عاما بعد عام حتى مجيء الفيلم الناطق .

أما المخرجون الألمان الذين بقوا في المانيا ولم يهاجروا الى أوروبا وأمريكا فقدموا بضعة أفلام نالت نجاحا كبيرا ، وكان لبعضها قيمة فنية مثل فيلم « منوعات » (١٩٢٥) للمخرج (ديبون) و « الشارع الخالي من المرح » (١٩٢٥) اخراج (بابست) وبطولة (جريتا جاربو) ، وفيلم « متروبوليس » (١٩٢٦) وقد استخدم فيه مخرجه (فريتزلانج) من جديد الديكورات الضخمة ، ويعتبر هذا الفيلم نهاية السينما الالمانية الصامتة .

السيطرة التجارية الأمريكية :

أما في أمريكا فاستمرت هوليوود في تأكيد سيطرتها التجارية بانتاج أفلام ناجحة ، ولكنها أنتجت أيضا بضعة أفلام ذات قيمة فنية حقيقية .

وقد أكد المخرج (كينج فيدور)-الذي يعمل في الميدان السينمائي منذ عام ١٩١٨ - أكد براعته الفنية في فيلم من أفلام الحرب هو « الاستعراض الكبير » (١٩٢٥) ، وفي فيلم طبيعي هو « الجماهير » (١٩٢٨) ، وأخرج المجري (بول نيجوس) فيلما حساسا وجذابا هو « الوحدة » (١٩٢٨) ، كما استعاد السويدي (ستيلار) موهبته القديمة في فيلم « الريح » (١٩٢٧) ، وقدم (جون فورد) أول أفلامه عام ١٩٢٤ « الحصان الحديدي » ، وهو قصة قاطرة بأسلوب أفلام الغرب (الويستيرن) . وأكد (روبيرت فلاهيرتي) ميله للفيلم التسجيلي بفيلم « موانا » (١٩٢٦) ثم بفيلم « تابو » (١٩٢٨) .

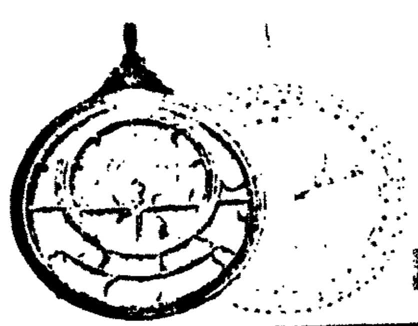
واستمر شارلي شابلن بمفرده تقريبا في الحفاظ على الفن الكوميدي الأمريكي في أعمال مدروسة بدقة مثل : « البحث عن الذهب » (١٩٢٥) و « السيرك » (١٩٢٨) ، ومن ناحية أخرى ظهر في أمريكا فنانون كبار للرسوم المتحركة مثل (بات سوليفان) خالق شخصية القط فيليكس (١٩٢٨) ووالت ديزني الذي راح يقدم سلسلة أفلامه عن ميكي ماوس عام ١٩٢٧ .

المدرسة السوفيتية :

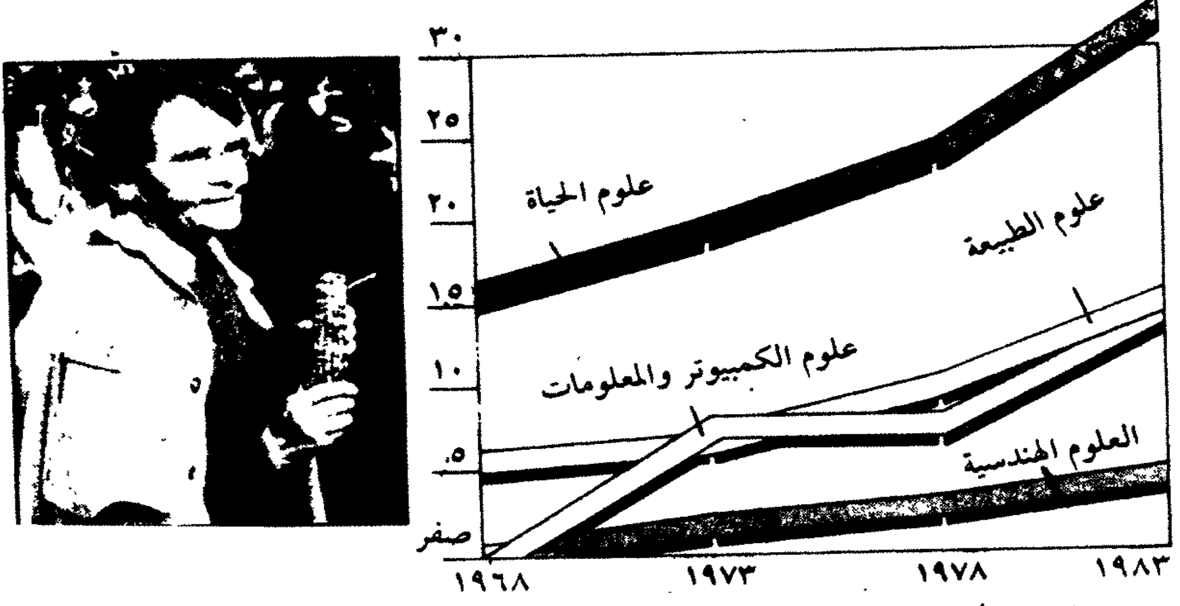
أهم أحداث هذه الفترة ظهور السينما السوفيتية ، خاصة ابتداء من عام ١٩٢٥ ، فمنذ ثورة ١٩١٧ حتى عام ١٩٢٢ كان الانتاج السينمائي الروسي ضئيل القيمة ، ولكن بمساعدة الحكومة تكونت مدرسة سينمائية جديدة سوف تخرج شخصيات فنية قوية ، ويعتبر (دزيجافيرتوف) أول من عبر عن نظرية (أورجينال) وهي نظرية « السينما الحقيقية » أو « السينما - العين » ، وكان يصور بموجبها الحقيقة البسيطة العارية ويلتقطها من الحياة ، كما كان يفعل (لوميير) فيما مضى ، ولكن مع استخدام فن المونتاج وترتيب اللقطات واستخراج المعاني من ذلك ، وقد استوحى (أيزنشتين) نظرية (فيرتوف) ، وظهرت براعته الفنية في فيلمه الأول « الاضراب » (١٩٢٤) ، ثم أكدها في فيلمه الثاني « المدرسة بوتمكين » (١٩٢٥) وقد نال هذا الفيلم الرائع اعجابا عظيما في شتى أنحاء العالم ، كنموذج فريد لبراعة المونتاج وقوة التعبير في التكوين السينمائي .

كما أكد (أيزنشتين) موهبته في فيلم « أكتوبر » (١٩٢٨) وفيلم الخط العام (١٩٢٩) . وبينما برع (أيزنشتين) في اخراج الجماهير على الشاشة ، نجد أن (بودوفكين) اهتم بابراز الشخصية الخاصة لكل فرد ، باعتباره نموذجا للملايين ، كما هو الحال في فيلم « الأم » (١٩٢٦) المأخوذ عن قصة (جوركي) الشهيرة ، وفيلم « نهاية سان بيتر سبورج » (١٩٢٧) وفيلم « عاصفة على آسيا » (١٩٢٨) . وظهر المخرج (الأوكراني دو فجينكو) بمزاج مختلف تماما عن زميليه ، فبنى على تيمات خالدة أناشيد غنائية عظيمة ، مثل فيلم « الترسانة » (١٩٢٩) وعلى الخصوص فيلم « الأرض » (١٩٣٠) .

وسوف يصبح لهذه الأفلام دوي كبير وتأثير حقيقي في العالم كله لشخصيتها الاجتماعية البارزة ، ولاستعمالها الذكي لطرائق التعبير المرئية الخالصة ، وقد شاركت هذه الأفلام في بلوغ الفن السينمائي مرتبة الكمال ، في اللحظة التي أوشك فيها هذا الفن أن ينقلب رأسا على عقب من جراء ثورة تكنيكية جديدة هي ثورة الفيلم الناطق . □



الجديد في العلم والطب



حصة النساء الأمريكيات من مجموع شهادات الدكتوراه التي تمنحها الجامعات الأمريكية ، خلال ١٥ عاما (١٩٦٨ - ١٩٨٣) ، وذلك في مجالات علمية أربعة ، اعتبرت حتى الآن مجالات أكثر صعوبة

بين الذكور و الاناث من العلماء

■ كادت دراسة العلوم ان تكون وقفا على الرجال في الماضي القريب . . ولكن تلك الظاهرة تعرضت لتغير جذري منذ السبعينيات في شتى الدول المتقدمة الراقية . . بما فيها الولايات المتحدة الامريكية . . فقد بلغ من اقبال النساء على طلب العلوم أن تضاعفت نسبة حملة شهادات الدكتوراه منهن سواء في علوم الحياة او علوم الطبيعة . . أو علوم الكمبيوتر والمعلومات . . فقد ارتفعت تلك النسبة في تلك المجالات الثلاثة وفي غضون ١٥ سنة (١٩٦٨ - ١٩٨٣) على النحو التالي (انظر الرسم)

علوم الحياة / كانت النسبة ١٥٪ . . واصبحت ٣٢٪

علوم الكمبيوتر والمعلومات / كانت النسبة صفرا ثم اصبحت ١٣٪

علوم الطبيعة / كانت النسبة ٥٪ ثم اصبحت ١٥٪

حتى العلوم الهندسية وهي علوم رجال بحكم طبيعتها ، ارتفعت نسبة حملة الدكتوراه فيها من النساء من صفر الى ٤٪ تقريبا . .

على أن طغيان الذكور في الماضي يستأثر باهتمام العلماء بل العالمات في الوقت الحاضر من نواح لا تخطر ببال . . فالعالمة (شيرلي مالكولم) وهي احدى المسؤولات في مؤسسة التقدم العلمي الامريكية تتساءل عن اثار ذلك الطغيان في حصيلة العلوم الموضوعية بالذات . .

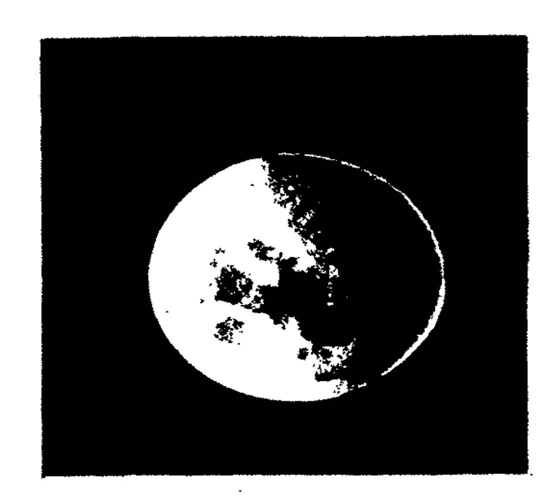
فالآثار قائمة لاشك فيها وقد أثبت وجودها كثير من العلماء منذ مطلع الستينيات ، ونخص بالذكر منهم توماس كوهن في كتابه بنية التوارث العلمية (١٩٦٢) وقد بين فيه ان معتقدات العلماء لها اثر كبير في الحقائق الموضوعية التي تتمخض عنها المشاهدات الموضوعية ، وتجارب المختبرات . . وقل مثل ذلك في الفوارق الجنسية . . الفوارق بين العلماء والعالمات . . فهي الاخرى ذات اثر بالغ في الحقائق العلمية . . كما اثبتت ذلك العالمة ايفلين فوكس كلر في كتابها الجديد الذي صدر في اواخر سنة ١٩٨٥ . بعنوان : « نظرات حول العلم والجنس » .

وتذهب العالمة كلر في كتابها هذا الى ان الحقائق العلمية ومنها قوانين الطبيعة نفسها لم تصور لنا شفافية موضوعية ١٠٠٪ فقد شابها طابع شخصي . . هو طابع العلماء الذكور الذين اكتشفوها ولطالما انحرف العالم في تفسير تلك الحقائق - ان لم نقل في رؤيتها بالذات - تبعا لكونه ذكرا . . وتجلى ذلك الانحراف اكثر ما تجلى في دراسة القردة . . وقد ركز العلماء الذكور على دور الذكور من القرود وكأنه الدور القيادي بالفعل فالذكر هو الذي يحارب . . ويختار اناثه . . وينجب حين يقرر الانجاب . . هكذا صوروا حياة القردة أو تصوروها . . .

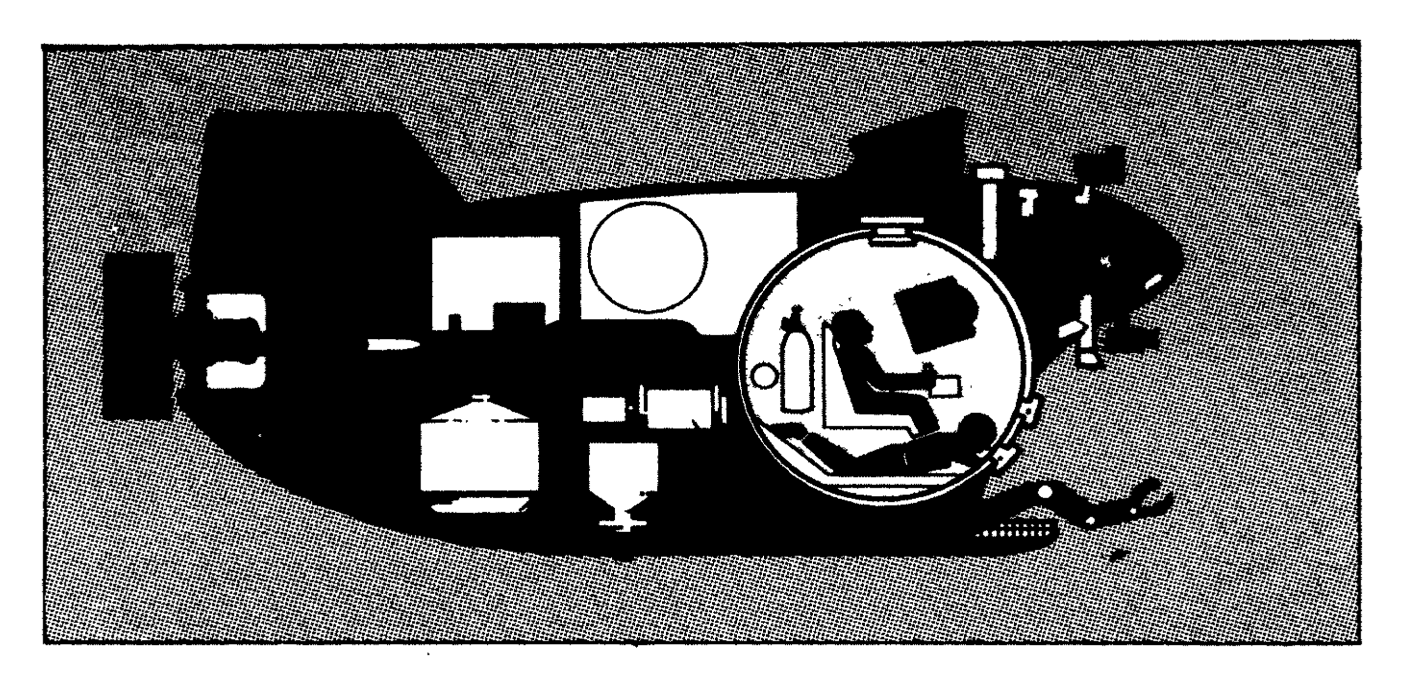
وما اسرع ما انقلبت الصورة رأسا على عقب وذلك على يد العالمات الباحثات اللواتي درسن حياة القردة دراسة ميدانية واسعة . . ونخص بالذكر منهن العالمة سارة هاردى من جامعة كاليفورنيا وقد أثبتت أن دور الانثى من القردة هو الدور القيادي . . فيما يختص بالتزاوج والانجاب على أقل تقدير .

القمر . . وكيف انبثق من الكرة الأرضية

كان العلماء الفلكيون وما زالوا على خلاف حول مولد القمر . . وكثرت النظريات التي تعلل ظهوره كتابع للكرة الأرضية . . وجاء الفلكي ريتشارد دوريسن dwrisen بآخر تلك النظريات التي تقول بأن القمر انبثق عن الكرة الأرضية في الماضي السحيق حين كانت الأرض كتلة من مادة ذائبة سائلة غير ثابتة . . ولكنها كانت دوارة . . بحيث انسلخت أو انسكبت كمية من تلك المادة الى خارجها . . وراحت تدور هي الأخرى ولكن في فلك حول الكرة الأم . . وفقدت الكتلة المنسلخة الكثير من بنيتها ثم استقرت على مضي الزمن فكان القمر . .







الغاطسة الأولى في العالم

■ هـذه هي الغاطسـة المأهـولة التي تعمـل على تـطورها (وزارة العلم والتكنولوجيا في اليابان ، اسمها (شنكاي ٦٠٠٠) ، وتستـطيع الغـوص إلى عمق ٢١٠٠٠ قدم ، أي أعمق من أي غاطسة أخرى في العالم ، سيكتمـل بناؤ هـا سنة ١٩٨٩ ، وسوف تكون تكاليفها قد بلغت (٧١) مليون دولار ، أما الأغراض التي طورت هذه الغاطسة من أجلها فهي :

١ ـ جمع المعلومات عن الثروات المعدنية في البحار والمحيطات .

٢ ـ دراسة الزلازل ، والشقوق الأرضية الناتجة عنها .

٣ ـ دراسة الكائنات البحرية .

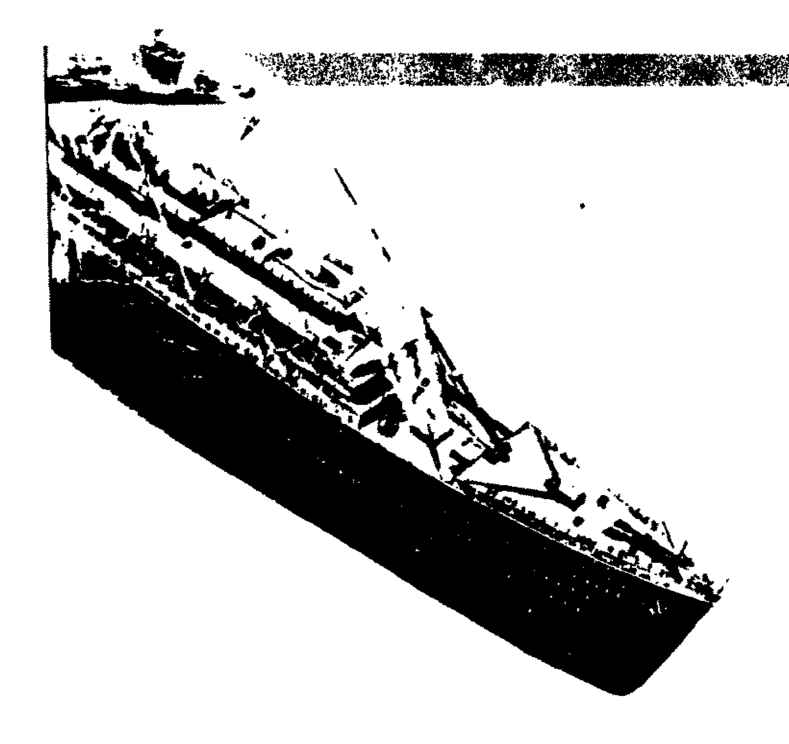
وحجرة القيادة في (شنكاي) مصنوعة من خليط معدني خاص ، قوامه التيتانيوم الذي يتميز بمقاومته للضغوط الهائلة التي يتعرض المرء لها في الأعماق ، والغاطسة ذات محرك كهربائي ، يعمل بالبطارية ،

ويستطيع السير بالغاطسة في باطن البحار لمدة تسع سـاعات . وهي مجهـزة بآلات تلتقط الصور الملونة بأنواعها ، بما في ذلك صور الفيديو المتحركة ، وآلات تسجيل ، وأذرع ضخمة ، تعمل تلقائيا ، كأذرع الانسان الآلي .

مياه البحر الأسود للتدفئة ، والتبريد

● دشن العلماء السوفييت في يالطا (جزيرة القرم) أول جهاز حراري يستثمر طاقة البحر ، وهو بقوة ٢ مليون ميغاواط ، ويستخدم الطاقة الحرارية للبحر الأسود بواسطة مضختين تبلغ طاقة ضخ الواحدة منهما ٥٠٠ متر مكعب في الساعة ، وتوجهان مياه البحر عبر الأنابيب حيث يكمن لها غاز « الفريون » ، فتبدأ بالغليان ، وعند ذلك يصار إلى ضغط أبخرة غاز الفريون بما يرفع حرارته إلى ما بين ١٠٠ ـ ١١٠ درجات ، لاستخدام الحرارة المنتجة لسد احتياجات تمديدات التدفئة في فندق « دروجبا » خلال الشتاء ، بينما يمد تمديدات التبريد بالهواء المكيف المبرد في فصل الصيف . وفي ضوء نجاح هذه التجربة سيعمم هذا الجهاز لتدفئة وتبريد فنادق أخرى في جزيرة القرم ، المنطقة السياحية الأولى في الاتحاد السوفيتي .

مكتشفون ومخترعون



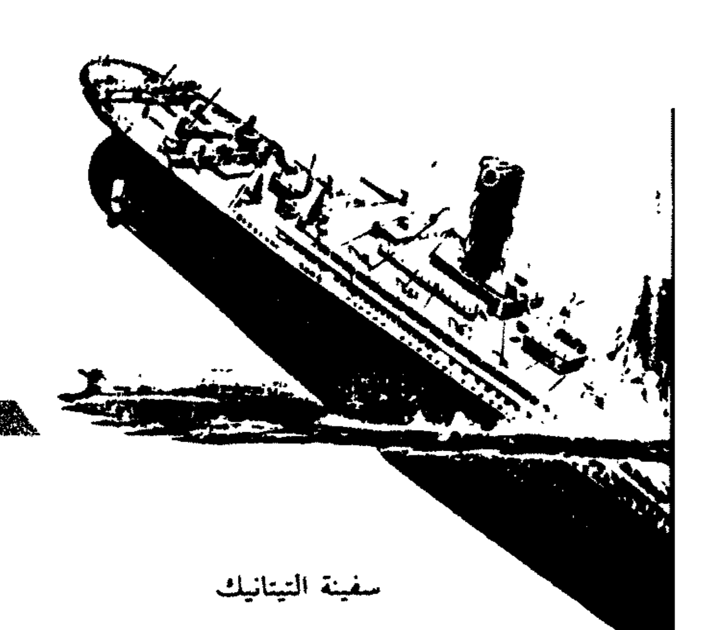
تعتبر سفينة التيتانيك وشقيقاتها في طليعة السفن الحديثة ، سفن القرن العشرين . . ويعتبر السير شارلز بارسونز ، مخترع الطوربين البخاري صاحب أكبر فضل في تطوير تلك السفن حتى بلغت المستوى الرفيع الذي بلغته في الوقت الحاضر ، ومهما يكن من أمر فإن بارسونز هذا لم يكن مخترع السفينة الحديثة الوحيد ، فقد في أسهم اختراعها عدد كبير من العلماء كل في مجال اختصاصه ، لذا وجب التنويه بجهود هؤلاء أثناء سردنا قصة السفينة الحديثة ككل ، والتركيز في النهاية على جهود السير شارلز بارسونز باعتبارها الجهود الحاسمة في تطوير السفينة الحديثة ، كما أشرنا .

عرف الانسان السفن منذ فجر التاريخ ، ولكنه عرفها شراعية خشبية حتى أواخر القرن الماضي ، وتجدر الاشارة إلى سفن القلبر **Clipper** التي نجح الأمريكيون في صنعها في أواسط القرن التاسع عشر ، والتي اقتفى أثرهم في صنعها الانجليز والألمان وسواهم . وقد كانت تلك السفن الشراعية الخشبية متوسطة الحجم (٢٠٠ قدم طولا و ٧٠٠ طن وزنا بالمتوسط) وتميزت بكثرة أشرعتها وقد بلغ عددها نحو عشرين شراعا وبلغت مساحتها الاجمالية ($1\frac{1}{2}$) فدان في بعض الأحيان . وتميزت كذلك بسرعتها التي بلغت (٢٠) عقدة بالمتوسط (أي ٢٣ ميلا في الساعة)

وكانت القفزة الأولى في تطوير السفينة الحديثة ابتكار المحرك البخاري في تسيير السفينة واعتماد قوة البخار في ذلك بدلا من قوة الريح . . ولكن المحرك - أي محرك - يولد القوة للسفينة دون أن يضمن لها الاندفاع . . والسير في البحار . . فهي اذن بحاجة إلى معدات الدفع أو الدوسرة التي بدونها لا تسير السفينة أبدا .

وظهرت السفن التي تعتمد على البخار - أي البواخر - أول ما ظهرت في فرنسا ثم في أمريكا . . وذلك في أواخر القرن الثامن عشر (١٧٨٣ - ١٨٠٢) ، وكانت معدات الدفع في تلك السفن دواليب التجديف الضخمة التي ركبوها على جانبي السفينة . .

وكانت القفزة الثانية في استبدال الخشب بالحديد والفولاذ في صنع هيكل السفينة . وقد ظهرت السفينة الأولى التي جمعت بين المحرك البخاري والهيكل الحديدي سنة ١٨٢٩ . . ومع أن مزايا الحديد عن الخشب جلية واضحة وتشمل فيها تشمل المتانة والضخامة فان الاعتقاد الشائع بأن الحديد أثقل من الماء بحيث لا يمكن لسفينة مصنوعة من الحديد أن



سفينة التيتانيك

السير شارلز بارسونز (١٨٥٤ - ١٩٣١)
اختراع وتطوير السفينة الحديثة

تعوم على سطح البحر حال دون الاقبال على صنع السفن الحديدية ، هذا بالرغم من أن الاعتقاد المذكور اعتقاد خاطىء ولا يأخذ بعين الاعتبار قوانين أرخميدس المعروفة .

ثم جاءت القفزة الثالثة في مروحة الدفع اللولبية التي حلت محل دواليب التجديف السابق الاشارة اليها . . وكانت المروحة الجديدة تركب في أسفل السفينة بحيث تغمرها مياه البحر فلا ترى ولا تتعرض لمثل المخاطر التي تعرضت لها الدواليب ، وقد صنعت على مبدأ لولب أرخميدس لرفع الماء وأثبتت من الفاعلية والكفاءة ما وضع حدا لدواليب التجديف ، وذلك خلافا للمحرك البخاري والهيكل الحديدي فهذان الابتكاران لم يلغيا السفن الشراعية الخشبية اذ ظلت تصنع وتستعمل حتى يومنا هذا .

ثم كانت القفزة الرابعة . . قفزة الطوربين البخاري الذي اخترعه شارلز بارسونز كما أسلفنا وكانت هذه القفزة هي الأكثر حسما في تطوير السفينة . . وقد ضمنت لها مضاعفة قوتها أضعافا ، وبالتالي مضاعفة سرعتها وحمولتها . .

كان شارلز مهندسا إنكليزيا التحق سنة ١٨٨٤ بشركة دورهام التي صنعت الدينامو الكهربائي وما أسرع ما أدخل المهندس الموهوب تحسينات أساسية على ذلك الدينامو ثم مالبث أن اخترع الطوربين البخاري في نفس السنة التي ذكرنا ١٨٨٤ إلا انه قصر استعمال ذلك الطوربين الأول من أجل إضاءة السفن لا من أجل تسييرها .

وأقدم بارسونز على استعمال طوربينه كمحرك للسفينة سنة ١٨٩٥ وقد جهز به إحدى السفن على سبيل التجربة وسمى تلك السفينة الصغيرة نسبيا (٢٤ طنا) طوربينا ، ولم يتردد في تأسيس شركة صناعية لانتاج طوربينه البخاري على نطاق واسع .

ومن طريف ما يذكر هنا أن الاميرالية البريطانية التي رفضت عروض طوربينات بارسونز الأولى مالبثت أن سارعت سنة ١٩٠٥ إلى استبدال محركات سفن الأسطول كلها بطوربينات بارسونز البخارية ، وقد جاء ذلك في أعقاب العرض العام الذي أقامه بارسونز بمناسبة اليوبيل الفضي للملكة فكتوريا والذي سجل طوربينه فيه سرعة خارقة بلغت ٣٤,٥ عقدة . . أي بزيادة سبع عقد على سرعة أسرع المدمرات البريطانية اطلاقا .

وحذت شركة كونارد حذو الاميرالية البريطانية فعمدت الى بناء سفنها الجديدة الضخمة التي تليق بمحرك بارسونز الطوربيني البخاري . . وقد شملت تلك السفن سفينة التيتانيك السفينة التي لا تغرق . . والتي غرقت لدى اصطدامها بجبل جليدي سنة ١٩١٢ .

ومهما يكن فإن التيتانيك هذه تعتبر مفخرة السفن الحديثة سفن القرن العشرين ، وقد جاوز وزنها ٤٥٠٠٠ طن وحمولتها آلاف الأطنان وآلاف الركاب وجعلوا سرعتها ٢٢,٥ عقدة فقط وذلك حرصا على الابقاء على مزاياها الأخرى . . وما كان ذلك ممكنا لولا محركات الطوربين البخاري . . محركات شارلز بارسونز التي جهزت بها السفينة .



عودة الى الثوم

تحدثنا من قبل عن الثوم وفوائده ، ونعود الى الحديث عنه اليوم

١ ـ مستحضرات الثوم الموجودة حاليا

تجدر الاشارة أولا الى كبسولات زيت الثوم وهى تستعمل على نطاق واسع في بريطانيا . . حتى قدروا ما يبتلعه الانجليز من هذه الكبسولات بحوالى ٣٠٠ مليون كبسولة سنويا ، ولا يخفى ما في هذه الكبسولات من فوائد . . ذلك أن أكثر منافع الثوم إنما توجد في زيته الطيار . . أضف الى ذلك أن تناوله ضمن كبسولات يخفف من رائحة الثوم القوية والمنفرة بالنسبة الى الكثيرين . . وفي طليعتهم الانجليز . . الذين ما كانوا ليلجئوا الى تعبئته على هذا النحو لولا حرصهم الشديد على الحصول على فوائد الثوم مع تجنب رائحته ما أمكن . .

ويصدق هذا أيضا على مستحضر الثوم الياباني المجرد من الرائحة على الطريقة الامريكية . . ويبدو ان اليابان قد صنعت هذا المستحضر خصيصا للأمريكيين . . وقد نزل الاسواق في الولايات المتحدة سنة ١٩٨٢ وبلغت مبيعاته فيها نحو ٢٠ مليون دولار سنويا .

وتظل عشبة الثوم هي الأصل على كل حال . . وقد ضاعفت أمريكا محصولها من الثوم (٣) اضعاف ، فيما بين سنة ١٩٨٠ ـ ١٩٨٢ ، وبلغت محاصيل الثوم العالمية ٢٠٠٠ مليون كيلو سنويا ، أي ما يقدر بحوالى نصف فص من الثوم يوميا لكل فرد من سكان العالم ، البالغ مجموعهم حوالى ٤٨٠٠ مليون نسمة .

٢ ـ مادة الثوم الفعالة

على أن عقار الثوم مازال فيه تطوير . . في أمريكا وفي غيرها . . وهو يختلف عن المستحضرات الموجودة في الأسواق حاليا بان هذه تغلف الثوم أو زيته لتفادي رائحته ، بخلاف العقار الذي يستهدف تقديم المادة الفعالة في الثوم دون غيرها . . .

وتعرف هذه المادة باسم الين (alliin) وهي من الأحماض الأمينية الغنية بالكبريت . . والغريب أن هذه المادة بلا رائحة وبلا طعم . . أصلا ولكنها لا تلبث ان تتحول الى مادة اليسين allicin لدى دق فصوص الثوم وهرسها فتكتسب رائحة الثوم المميزة ونكهته . . وتجود بمنافعه ، ومعنى هذا ان رائحة الثوم وفائدته مرتبطتان ارتباطا وثيقا ، وكأن رائحة الثوم المنفرة هي الثمن الذي لا مفر من دفعه للحصول على منافعه ، ويعني هذا ايضا ان هرسه او طحنه نيئا هو خير وسيلة لتناوله بقدر ما هو خير وسيلة لتحويل مادة الأليين فيه الى مادة الأليسين . . وجعل الفوائد الكامنة في الأولى منافع مؤثرة وفعالة في الثانية . . . .

على أن هذه المنافع لاتزداد بازدياد كمية الثوم التي يتناولها المرء . . كما يظن الكثيرون . . بل انها تقل أو تنقلب الى ضدها اذا أفرطنا في تناول الثوم . . وتقدر بعض الشركات الصناعية المعنية جرعة الثوم المناسبة بنحو ٢,٥ ملغرام من المادة الفعالة ، ولطالما حذرنا أطباء الاعشاب من تناول أكثر من أربعة فصوص من الثوم في اليوم (٢٤ ساعة) ، وهم يؤكدون ان زيادة هذه الجرعة قد تعرض المرء لاضطرابات في الجهاز الهضمي ، فقد تصاب المعدة أو الامعاء بالقرحات.



بقلم : صلاح الدين هاشم

في اكتوبر ١٩٨٥ احتفلت الأوساط العلمية في العالم كله بالذكرى المئوية لمولد العالم الدنماركي الكبير (نيلز بور) ، ولم يكن بور واحدا من كبار علماء الفيزياء ، وعملاقا من عمالقة النظرية الذرية فحسب ، بل كان شخصية انسانية فذة ، كسب احترام الغرب والشرق على حد سواء ، ووصل في وطنه الدنمارك منزلة البطل القومي .

ولد (نيلز هندريك دافيد بور) في السابع من اكتوبر عام ١٨٨٥ ، بمدينة كوبنهاجن في أسرة مرموقة ، فقد كان والده (كريستيان بور) استاذا للفسيولوجيا بجامعة كوبنهاجن ، كما أن جده وخالته كسبا سمعةَ عريضة في ميدان التعليم بالدنمارك ، ونشأ (نيلز) مع أخيه وأخته في محيط مثقف يفيض بالحيوية ، مما مهد الفرصة لنبوغه أن ينتعش ويبلغ أقصى الحدود ، فقد استمع الاطفال منذ سني حياتهم الأولى للمناقشات العلمية ، في جو من العقلانية المشوب بحسن النية ، وتولد لديهم احترام عميق نحو الفكر والمعرفة .

وكانت العلاقة بين (نيلز) وشقيقه (هارالد) شيئا غير عادي ، حتى تركت أثرا كبيرا على منهج (نيلز) في العمل ، فقد تعلم الاثنان منذ أيام الصبا كيف يعبران عن أفكارهما بالدخول في مناقشات حارة ، ونشأت بينهما علاقة (ديالكتيكية) في اسلوب التفكير ، بحيث أسهم كل منهما في تطوير وتنمية فكر الآخر ، وكان من أثر ذلك أن تكونت لدى (نيلز) المهارة في منافسة أفكاره مع الغير ، واستشعر بالتالي ضرورة الدخول في الجدل من أجل التوضيح والاستيضاح .

كذلك تركت العلاقة مع شقيقه أثرها في مجال آخر ، فقد اجتذب (هارالد) شقيقه الى كرة القدم التي كان (هارالد) من أبطالها ، ومعشوق الجماهير

ببلاده التي مثلها في الألعاب الأولمبية ، أما مجال دراسته فكان الرياضيات ، فساعد أخوه (نيلز) منذ البداية في هذا الميدان الذي كان ضروريا لدراسة الفيزياء ، وعلى مدى طفولتهما وصباهما كان (هارالد) ألمع الطفلين ، فقد انتهى من الماجستير قبل (نيلز) وارتحل الى جامعة جوتنجن لاكمال دراسته ، وكانت آنذاك مركزدراسة الرياضيات العليا في العالم ، وعاد (هارالد) منها ليصبح فيما بعد مديرا لمعهد الرياضيات بكوبنهاجن . ورغم ذلك فقد تميز نيلز منذ البداية بعمق الفكر ، وبمنهجه العلمي الصارم ، ومثابرته واصراره على توضيح أصعب المشاكل العلمية .

أحداث فيزيائية

منذ أيام دراسته الأولى اتضح ميل (نيلز) الى الفيزياء ، التي لم تلبث أن غلبت عليه تماما في سني



بور مع اينشتين بروكسل ١٩٣٠

دراسته الجامعية ، وكان (نيلز) محظوظا أن بدأ حياته في لحظة تميزت بأحداث كبرى في تاريخ الفيزياء ، فقد صاغ (أينشتين) آنذاك نظريته في النسبية الخاصة ، وحدث ذلك بعد أعوام من صياغة (بلانك) لنظرية (الكوانتا) وخلال ذلك كله كانت المدرسة البريطانية للفيزياء بقيادة (ج . ج . تومسون) و (ارنست رذرفورد) توالي بحوثها في كشف أسرار الذرة ، وكان (بور) يتابع البحوث من الجانبين، فاختار كموضوع للماجستير البحث في الخصائص الفيزيائية للمعادن ، وقابليتها لتوصيل الكهرباء والحرارة والمغناطيسية

وبعد حصوله على الماجستير أخذ يحضر الدكتوراة ، فقرر الاستمرار في دراسة المعادن ، واختار موضوعا لأطروحته « النظرية الالكترونية للمعادن » التي نال عليها درجة الدكتوراه بجدارة عام ١٩١١ ، غير أن (بور) منذ تلك اللحظة بدأ يستشعر العوائق التي تمثلها الفيزياء الكلاسيكية في وصف سلوك الالكترون، والحاجة الماسة الى منهج جديد لوصف العمليات الذرية ، ولقد كان عمله في هذه الاطروحه بمثابة ارهاص لأعماله التالية في نظرية الكوانتا ، كما حفزه في ذات الوقت للاهتمام بالفلسفة والابستمولوجيا (نظرية المعرفة) ، وهو اهتمام دعمه بقراءاته في ميداني الفلسفة واللاهوت الى محاضرات استاذ الفلسفة الدنماركي المشهور (هرالد هفرنج) كذلك أخذ يحس من البداية بقصور اللغة في وصف الظواهر والحاجة الى صياغة مفاهيم شاملة ، ساقته بالتالي الى اسهامه الأكبر في مجالي الفلسفة والأبستمولوجيا ، عندما وضع نظريته في التكاملية .

وبعد فراغه من العمل في اطروحة الدكتوراة ، قرر (بور) الذهاب الى كمبردج للعمل بمعمل كافندش المشهور مع (ج . ج . تومسون) مكتشف الألكترون ، فوصل الى تلك المدينة الجامعية العريقة في خريف عام ١٩١١ ، ولكن يبدو أنه لم يوفق كثيرا في عمله مع (تومسون) الذي كان فقد آنذاك الاهتمام بالموضوع الذي يشغل بال (بور) ، أضف الى هذا أنه لم يكن يتحدث الانجليزية بطلاقة في ذلك الوقت ، على أية حال فقد اجتذبه نشاط (تومسون) الجديد الى البحث في مجال الذرة ، وهو الأمر الذي غلب على نشاط (بور) حتى أصبح من كبار العلماء في

مجال الفيزياء النووية ، وقام في هذا الميدان بمنجزات كبرى .

ذلك أنه عندما بدأ (بور) عمله في فيزياء الذرة ، لم يكن تركيب الذرة قد عرف بعد ، ولما ودع هذه الحياة كانت الطاقة النووية قد أصبحت العامل الأول في مستقبل البشرية ، وذلك عندما جرى استعمالها لانتاج القوة الكهربائية ، وفي علاج الأمراض المستعصية ، بل وأيضا في المجالين العسكري والسياسي ، كأخطر سلاح مدمر تفتق عنه ذهن الانسان .

النواة والنظام الشمسي

في بداية عام ١٩١٢ قدم آرنست رذرفورد من مانشستر لالقاء كلمة بمعمل كافندش بكمبردج ، وكان (رذفورد) قد نجح في مايو عام ١٩١١ ، في الكشف عن نواة الذرة ، وساقه هذا الى تصور الذرة على هيئة نظام شمسي يتكون من نواة في المركز أشبه بالشمس ، وتحيط بها الالكترونات أشبه بالكواكب ، وكان كشفا مدهشا في تاريخ العلم ، لأن أحدا لم يتصور أن أصغر أجزاء المادة سيكسر أضخم أجزائها ، وقد ترك (رذرفورد) أثرا كبيرا على (بور) فقرر مغادرة كمبردج في ابريل ١٩١٢ للعمل مع (رذفورد) بمانشستر ، ولقد وضح لرذرفورد منذ اللحظة الاولى أن الشاب الدنماركي الذي لايحسن الحديث بالانجليزية يحمل فوق كتفيه عقلا ممتازا ، حتى صرح لأحد مستمعيه ذات مرة « ان هذا الشاب الدنماركي يتمتع بذكاء قل أن إلتقيته » .

ونشأت بين العلامة الكبير الذي كان يقف على رأس الفيزيائيين التجريبيين في العالم آنذاك وبين الشاب الدنماركي عاطفة عميقة ، نمت على مدى ربع قرن من الزمان ، في جو من الصداقة والتعاون ، وكانت خير مثال للعلاقة بين الأب وابنه الروحي ، ولقد وجد (بور) منذ البداية بمانشستر جوا ملائما وروحا طيبة ، وكان من عادة البرفوسور (رذفورد) أن يجمع مساعديه لتناول الشاي مرة في الأسبوع ، يمهد لهم فيه الجو لمناقشة الموضوعات التي تهمهم ، والتي تنتهي بطبيعة الحال بالتركيز على المنجزات التي تمت في ميدان الفيزياء ، ومما لاشك فيه أن وجود (بور) في هذا المحيط الذي خلقه (رذر فورد)



نيلز بور وزوجه مارجريت في سن الشيخوخة

بمانشستر (وطبقه بالتالي عقب انتقاله الى كمبردج مديرا لمعهد كافندش) قد ترك أثره على (بور) فتأسى خطاه في معهده بكوبنهاجن .

وبعد عمل متواصل بمانشستر خلال ربيع وصيف عام ١٩١٢ ، تبين للشاب الدنماركي الذي لم يكن قد تجاوز السادسة والعشرين من عمره ، أن كشف (رذفورد) لنواة الذرة ، وان ظل بالضرورة حجر الأساس في أي نموذج جديد للذرة ، الا ان الفيزياء الكلاسيكية لم تعد تكفي لتطوير البحث في جوف الذرة ، وانه يجب في هذه الحال تطبيق « كوانتم » العمل الذي تفتق عنه ذهن (بلانك) ففي عام ١٩١٣ نشر (بور) أفكاره هذه في ثلاث مقالات متتابعة « بالمجلة الفلسفية » البريطانية ، وضح فيها محاولته الغريبة للمصالحة بين الفيزياء الكلاسيكية وتصوره لكوانتم العمل ، هذه المقالات الثلاث لم تلبث أن وضعت الأساس لشهرة (بور) المبكرة ، فبدأ الكلام في الدوائر العلمية عن « نموذج بور »

للذرة ، وبطبيعة الحال فان الفكرة قوبلت في البداية بمعارضة شديدة ، شأنها شأن جميع الافكار العلمية عند ميلادها ، رغم اعتراف الجميع آنذاك بمسيس الحاجة الى منهج جديد لوصف تركيب الذرة ، حقا ان ذرة (بور) قد تجاوزها العلم الآن ، ولكنها لاتزال الى اليوم أصدق صورة في أذهان الناس لما يجب أن تكون عليه بُنْيَةُ الذرة .

الثلاثية الفيزيائية :

هذه المقالات الثلاث التي عرفت باسم الثلاثة ، قال بصددها (فكتور فايسكويف) انه لا يوجد بحث في تاريخ الفيزياء نتج عنه مثل ذلك القدر من الاكتشافات التي أدت ـ على مدى فترة امتدت الى عام ١٩٢٢ ـ الى بحوث عميقة على يد (بور) مست موضوعات معقدة ، مثل تركيب أطياف العناصر المختلفة ، وعملية امتصاص الضوء أو اطلاقه ، والعلة في وجود نظام دوري للعناصر ، والتتابع المدهش للعناصر الاثنين والتسعين وكان في هذه الفترة أيضا أن تحولت المواد الكيماوية على يده من كيفيات الى كميات ، اي الى أشياء يتحكم فيها عدد الالكترونات الموجود في كل ذرة ، ورغم كل هذه الأعمال والكشوفات ، فقد حذر (بور) الباحثين المعاصرين له من أن ينساقوا تلقائيا وراء تفسيراته ، وأن الأمر لايزال في حاجة الى متابعة البحث في هذا الميدان .

وفي صيف عام ١٩١٢ قام (بور) بزيارة سريعة الى وطنه ، ليعقد قرانه بالفتاة التي أحبها وهي (مارغريت نورلند) ، وكانت فتاة جميلة متزنة ، لم تلبث أن أصبحت خير عون له في المستقبل ، ورزق منها بستة أولاد ، ثم عاد الى مانشستر ، حيث عرض عليه (رذرفورد) وظيفة محاضر بالجامعة ، شغلها الى عام ١٩١٦ ، وفي ذلك العام والحرب العالمية لايزال يتأجج أوارها ، رجع (بور) نهائيا الى الدنمارك ، ليشغل وظيفة استاذ الفيزياء بجامعة كوبنهاجن .

وفي نفس ذلك العام انضم اليه بصفة مساعد فيزيائي شاب هولندي الجنسية يدعى (هندريك كرامرز) وظل يعمل معه بكوبنهاجن حتى عام ١٩٢٦ ، فصار ساعده الأيمن ، كذلك أصبح (أوسكار كلاين) في عام ١٩١٨ تلميذه ومعاونه الثاني ، وفي عام ١٩١٧ دخل في مباحثات بالدنمارك من أجل بناء مختبر يكون الأساس لمعهد جديد للنظرية الفيزيائية ، ولكن احتاج الأمر الى أربعة أعوام ليفتح المعهد أبوابه ، ولم يلبث أن أصبح واحدا من أكبر مراكز الدراسات الفيزيائية في العالم ، واشتهر باسم « معهد بور » ، فأمّه عدد من العلماء النابهين ، بصفة طلبة وزملاء وضيوف ، وأدت المناقشات والبحوث التي انبعثت بين جدرانه الى تطوير الفيزياء النظرية بخطوات هائلة وسريعة وكان اعترافا بما قدم للعلم أن منح جائزة نوبل للفيزياء عام ١٩٢٢ .

أسس الميكانيكا الكوانتية :

وبعام ١٩٢٢ تبدأ الفترة الثانية من نشاطه العلمي التي تميزت بمحاولة متشعبة الجوانب ، شارك فيها عدد من نوابغ العلماء ، بخاصة من بين الألمان ، في وضع أسس الميكانيكا الكوانتية ، ولقد كانت هذه فترة في تاريخ الفيزياء لم يشهد مثيل لها من حيث الابتكار والانتاج .

ولقد ظل (بور) على مدار العشرينيات يشغل بنشاط دوره كمدير للمعهد الذي كان ينمو شيئا فشيئا ، حتى أصبح أشبه بموضع لتصفية البحوث الفيزيائية في العالم أجمع ، وهنا لمعت عبقرية (بور) ومقدرته في التعاون مع مختلف العلماء من مختلف الأقطار ، ممن كانوا في العادة يصغرونه سنا ، ولكن اندفعوا وراء النظريات الجديدة في مجال الفيزياء النظرية فأتوا الأعاجيب ، ذلك أن (بور) استطاع أن يجمع حوله بكوبنهاجن كوكبة من الشباب اللامع في مجال الفيزياء آنذاك ، فالى جانب (كرامرز) و (كلاين) ، جاء ليعمل معه اثنان من العباقرة في تاريخ الفيزياء النظرية ، هما (وولفجاج ياولي)(فرنر هيزنبرج) من المانيا ، كما قدم اليه (جورج جاموف) وليف لاندو من روسيا الخ ، وهكذا استطاع بمعاونة هؤلاء الشبان اللامعين من تقعيد أسس الميكانيكا الكوانتية ، ولم يكن غريبا أن مبدأ « **اللايقين** » الذي تفتق عنه ذهن هيزنبرج ، قد انبعث ، وجرت مناقشته بمعهد (بور) بكوبنهاجن .

وفي هذه الأعوام كان (بور) يضع الأسس لنظريته التكاملية التي جهد فيها ليجمع بين الفيزياء التقليدية والميكانيكا الكوانتية في نظرية شمولية ،

واحتاج الأمر الى أعوام عديدة من العمل المضني والمعاناة النفسانية ، التي انعكست في جداله المستمر مع واضعي أسس الميكانيكا الكوانتية ، وهم ، (هيزنبرج) و (شرودنجر) و(ديراك) وقد كشف (بور) النقاب عن نظريته لأول مرة في سبتمبر ١٩٢٧ ، وذلك بمؤتمر ذكرى فولتا الذي عقد بمدينة كومو بشمالي ايطاليا ، في عرضه لنظريته تحدث بور عن المسائل الابستولوجية للميكانيكا الكوانتية ، ثم شرح حججه في التكاملية ، ولكن معظم الحضور لم يستطيعوا متابعته .

غير أن أفكاره هذه لم تلبث أن وضعت سريعا على محك الاختبار في المناقشات مع (اينشتين) التي حدثت بمؤتمر سولفاي الخامس الذي عقد بعد أسابيع قليلة من اجتماع كومو ببلجيكا ، وكان الاختلاف بين وجهتي نظر الاثنين جوهريا ، وامتد لأعوام طويلة ، وشمل أشياء عديدة ، مثل السببية ومعنى الحقيقة ، ولكنه كان دائما مشوبا بالاحترام والتقدير المتبادل ، وفي الواقع فان (بور) احتاج لسنين عديدة ليبسط بوضوح القواعد العامة لنظريته ويطبقها في ميادين الفسيولوجيا والبسيكولوجيا وغيرها من فروع العلم .

انشطار اليورانيوم وبداية الحرب :

لعلّ من أغرب اتفاقات التاريخ أن تحدث عملية انشطار اليورانيوم على يد (أوتوهان) و (فريتس استراسمان) وتفسير تلك الظاهرة بواسطة (ليزا مايتنر) و (أوتوفريش) في بداية العام نفسه الذي اندلعت فيه الحرب العالمية الثانية ، كذلك حدث في ابريل من عام ١٩٣٩ نفسه أن أثبتت مجموعة (فردريك جوليو - كورى) بباريس انطلاق نيوترونات فائضة أثناء حدوث الانشطار ، وبهذا انفتح الباب لامكانية حدوث تفاعل متتابع ، وبالتالي صنع قنبلة ذرية ، وفي أول سبتمبر من ذلك العام - وهواليوم الذي اقتحم فيه الألمان حدود بولندا ، وبدأت بذلك الحرب العالمية الثانية - ظهر مقال « بالمجلة الفيزيائية » يحمل توقيع (نيلز بور) و جون ويلر) معا ، يعرضان فيه التعليل العملي لعملية الانشطار ، ويوكدان أن ذرة اليورانيوم - ٢٣٥ هي التي انشطرت ، وليست ذرة اليورانيوم - ٢٣٨ ، لذا فان الانشطار أكثر احتمالا للحدوث في النيوترونات البطيئة دون النيوترونات السريعة ..

وفي العامين التاليين كان العلماء في الأقطار المشتبكة في الحرب ، وأيضا بأميركا ، ينظمون صفوفهم للبحث في امكانيات صنع القنبلة الذرية ، ففي بريطانيا أثبت (فريش)و (بيرايلز) بجامعة برمنجهام أن كمية ضئيلة من اليورانيوم - ٢٣٥ من شأنها أن تسبب التفاعل الضروري السريع من أجل القنبلة ، بل واقترحا طريقة صناعية لفصله عن بقية كتلة اليورانيوم ، وبعد استسلام فرنسا للألمان هرب اثنان من العلماء الفرنسيين من مجموعة (جوليو - كوري) الى بريطانيا ، وهناك اقترحا أن العنصر ٩٤ (أي البلوتونيوم) بامكانه أيضا أن يحدث انفجارا عاليا بواسطة كتلة حاسمة صغيرة ، وفي تلك الأثناء كان العلماء الألمان يفكرون أيضا في استغلال الانشطار من أجل صنع قنبلة ذرية ، ولكن مشروعهم لم يتقدم كثيرا حتى وضعت الحرب أوزارها .

وأعقب ذلك غزو الألمان للدنمارك ، فوجد (بور) نفسه محصورا في وطنه الذي يحتله العدو ، وكان عقب المقال الذي دبجه بالاشتراك مع (ويلر) يعتقد أنه من الممكن احداث انفجار ذري بواسطة اليورانيوم - ٢٣٥ ، وان كان من رأيه أن الوسائل التقنية لم تتوفر لفصل كيمة كافية من اليورانيوم - ٢٣٥ ، وفي أكتوبر ١٩٤١ زاره (فرنز هيزنبرج) واقترح عليه عمل اتفاق بين العلماء من الطرفين المتقاتلين للوقوف في وجه انتاج سلاح خطير من هذا النوع ، وبعض المصادر ينفي هذا ، وان لم يتشكك في حدوث الزيارة .

وفي بدايةعام ١٩٤٣ تسلم (بور) رسالة سرية من الفيزيائي البريطاني (جيمس تشادويك) يدعوه الى المجيء الى انجلترا للمشاركة في البحث العلمي ، غير أن (بور) كان يؤثر البقاء مع بني وطنه في ظروف الحرب ، ولكنه لما علم في سبتمبر من ذلك العام أن السلطات النازية تدبر لالقاء القبض عليه ، هربته المخابرات البريطانية الى السويد ، من حيث بلغ انجلترا في صحبة ابنه (آجا) ، (وكان فيزيائيا بدوره يعمل في مساعدة أبيه) .

ولدى وصوله الى انجلترا قوبل بالترحاب ، وأطلعوه على كل شيء ، وأنه من المتوقع الآن أن يستطيع الأمريكيون انتاج سلاح ذري خلال عام أو

اثنين ، وقد وصل (بور) في لحظة مهمة ، هي التي أعلن فيها البريطانيون تعاونهم التام في مجال الذرة مع الأمريكيين ، وكان هذا في مصلحة البريطانيين ، لأنه لم توجد لديهم الامكانيات المادية والمالية لتحقيق مشروع من هذا القبيل ، ولقد تردد الأمريكيون بعض الشيء في قبول الشراكة البريطانية ، غير أن (ونستون تشرشل) استطاع بمجهود كبير في أغسطس ١٩٤٣ من اقناع (روزفلت) بتوقيع اتفاقية (كويبك) التي مكنت العلماء البريطانيين من القدوم الى لوس آلاموس التي كان يجري فيها صنع القنبلة الذرية .

وكان (بور) ضمن مجموعة العلماء البريطانيين التي انتقلت الى الولايات المتحدة لتعمل في مشروع القنبلة ، وذلك بعد أن وعد بالاستمرار ضمن الوفد البريطاني ، فوصل هو وابنه (آجا) الى الولايات المتحدة في أوائل ديسمبر ١٩٤٣ ، وارتحلا الى لوس آلاموس للمعاونة في عملية صنع القنبلة ، وهناك التقى (بور) بعدد كبير من تلامذته السابقين ، وقد شارك مشاركة فعالة في كل المسائل المتعلقة بصنع القنبلة ، وتأكد له أنهم بسبيل تحقيقها .

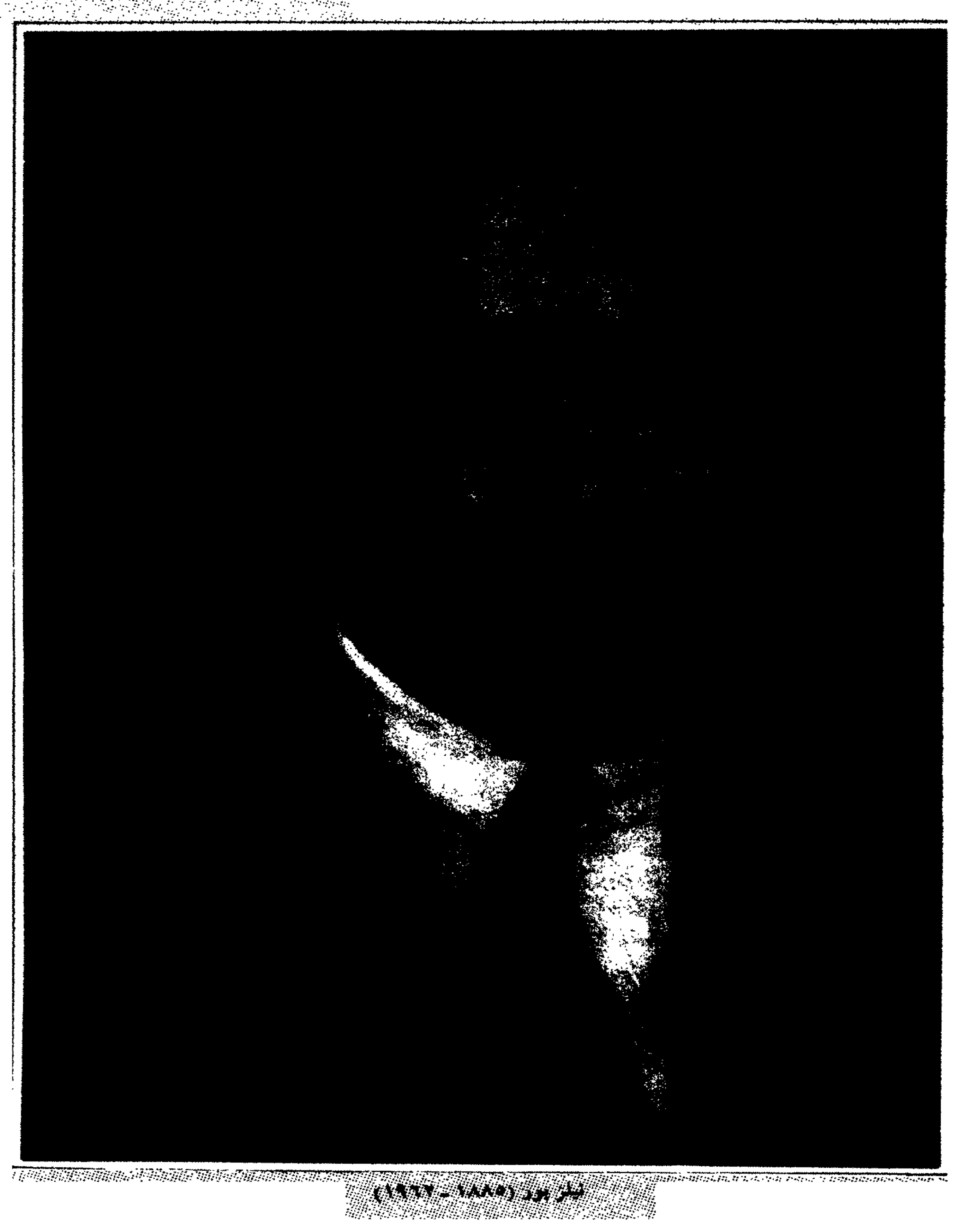
بين أمريكا والسوفييت :

غير أنه منذ تلك اللحظة بدأ يفكر في العواقب المترتبة على صنع السلاح الذري بالنسبة لمستقبل العلاقات الدولية ، فقد وضح له أن مشروع (مانهاتان) ليس سوى البداية في سلسلة من الامكانيات الرهيبة التي سيكشف عنها المستقبل ، خصوصا وأن بعض العلماء بلوس آلاموس كان يفكر منذ ذلك الوقت في صنع القنبلة الهيدروجينية ، وواقع الأمر أن بور لم تشغله آنذاك مسألة استعمال القنبلة في الحرب العالمية الثانية ، بل كان يمد ببصره الى سني ما بعد الحرب ، واحتمالات التنافس في صنع الأسلحة الذرية ، فأخذ منذ تلك اللحظة يفكر في المشكلة المتعلقة بالسيطرة عليها ، وأهمية تبادل المعلومات بين الأطراف المتنافسة ، وجميع هذه تطورات جديدة في العلاقات الدولية ، من العسير تصورها قبل الحرب العالمية الثانية .

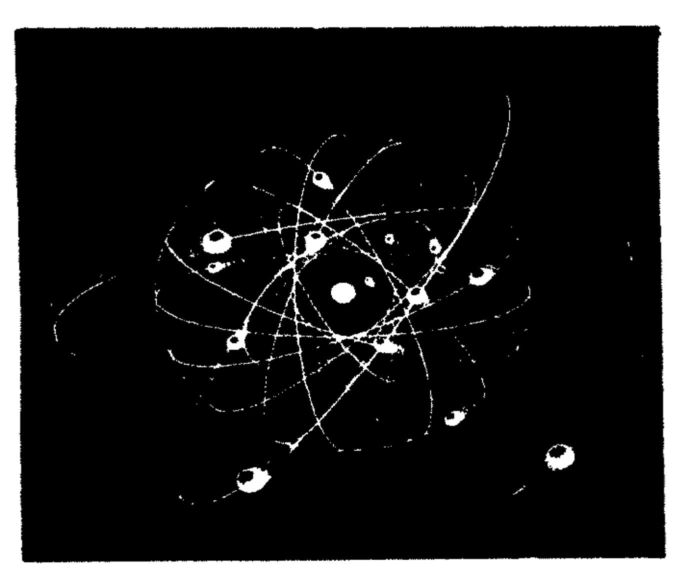
ولم يمض وقت طويل حتى تبلورت أفكاره في اقتراح محدد ، ذلك أن (بور) كان مقتنعا بأنه عندما تضع الحرب العالمية أوزارها ستتزايد حدة التوتر بين الغرب والاتحاد السوفييتي ، وأنه من الممكن احلال الثقة والتعاون اذا ما أطلعت أمريكا الاتحاد السوفيتي على سر القنبلة الذرية قبل استعمالها ، حتى لا يعرفونها بوسائلهم الخاصة ، فتفقد الثقة بين الطرفين ، وتتعقد العلاقات بينهما ، ولمعرفته الجيدة بخبرة العلماء السوفيت ، فقد كان على يقين من أنه لن يمضي وقت طويل حتى يصنع الروس قنبلتهم الخاصة بهم ، وكان مما قوى هذا اليقين في نفسه أنه تسلم في ابريل ١٩٤٤ خطابا من صديقه العالم السوفييتي المشهور (بيوتر كابيتسا) كان كتبه اليه قبل ستة أشهر من ذلك ، يدعوه الى الالتجاء الى الاتحاد السوفيتي ، وقد دعم هذا من اعتقاد (بور) أن السوفييت كانوا على علم بالمشروع الامريكي ، على أية حال فقد أرسل اليه بخطاب يشكره فيه على اهتمامه ، وأطلع السلطات البريطانية على المكاتبات المتبادلة بينهما .

ولقد أصبحت العواقب السياسية للقنبلة الذرية شغله الشاغل ، فأمضى الكثير من وقته يدون المذكرات السياسية ، ويزور المسؤولين والمقربين من أهل العقد والحل ، واستطاع (بور) أن يقنع عددا من الشخصيات المهمة بوجهة نظره ، مثل (لورد هاليفاكس) السفير البريطاني بواشنطن ، و (سير جون أندرسون) الذي ربطته به صداقة عميقة ، و (لورد تشوريل) المستشار العلمي لتشرشل ، و (الفيلد مارشال سماتس) وقد شرح له (هاليفاكس) أنه نظرا لأن أمريكا هي التي لها نصيب الأسد في المشروع ، فان أية مبادرة يجب أن تأتي من الرئيس (روزفلت) ، وكان من حظ (بور) أن ربطته رابطة الصداقة (بفلكس فرانكفورتر) أحد قضاة المحكمة العليا بالولايات المتحدة الذي كان صديقا شخصيا (لروزفلت) ، وكان (فرانكفورتر) على علم بمشروع القنبلة ، فنقل وجهة نظر (بور) الى الرئيس الأمريكي الذي رد بأن المسألة فعلا تشغل باله كثيرا ، وأنه سيبحثها مع (تشرشل) .

وفي مارس ١٩٤٩ دون (أندرسون) مذكرة طويلة لتشرشل عرض فيها الوضع ، فبين أنه وقد أضحى من المؤكد أن أميريكا ستحوز قصب السبق في صنع القنبلة الذرية ، الا أنه من خطل الرأي الافتراض بأن الاتحاد السوفيتي لن يلج هذا الميدان ، بعد انتصاره



نيلز بور (١٨٨٥ - ١٩٦٢)


نموذج الذرة الذي تفتق عنه ذهن بور

على ألمانيا ، وأضاف أن سر القنبلة والصعوبات المحيطة بصنعها ستزول بالتدريج ، بحيث يستطيع عدد من الدول الاضطلاع بذلك ، وسيسوق هذا الى احدى حالتين ، اما سباق ضار في التسلح ، أوضرب من السيطرة الدولية على الأسلحة الدرية ، فان كان الحل الثاني ، فمن الأفضل اذن اطلاع السوفييت في المستقبل القريب بأن أميركا بسبيل صنع ذلك السلاح الرهيب ، مع تقديم الدعوة لهم للمشاركة في تحضير مشروع لخلق سيطرة من هذا الضرب ، ذلك أنه اذ لم يطلع السوفييت على هذا فسيبلغ علمهم عاجلا أو آجلا سر القنبلة الذرية ، فتقل قابليتهم للتعاون ، غير أن (تشرشل) ظل مصرا على رأيه في أن يظل مشروع صنع القنبلة محاطا بالاسرار ما أمكن ذلك .

لقاء فاشل مع (تشيرشل):

وبعد ضغط من (سماتس) (وتشرويل) و (سير هنري ديل) رئيس الجمعية الملكية ، وافق (تشرشل) على مقابلة (بور) لنصف ساعة في ١٦ مايو ١٩٤٤ ، وكان اجتماعا فاشلا بمعنى الكلمة ، لأن (تشرشل) كان مشغولا للغاية ، بحيث لم يمس النقطة المهمة في الحديث ، كما تكون لديه منذ اللحظة الأولى شعور من النفور نحو (بور) بشعره المشوش وصوته غير المسموع .

غير أنه تحقق خلال ذلك الصيف ان أقتنع تشرشل بضرورة الحديث مع روزفلت حول مستقبل القنبلة عند أول مقابلة بينهما ، وهي تلك التي جرت في سبتمبر ١٩٤٤ ، وقبل حدوث هذه المقابلة كان القاضي (فرانكفورتر) قد أرسل مذكرة مع سبع صفحات كتبها (بور) الى روزفلت حول موضوع القنبلة ومستقبل الطاقة الذرية ، وتخوفه من حدوث سباق التسلح النووي بين الاتحاد السوفيتي والغرب ، وفي ٢٦ أغسطس زار بور روزفلت وتحادث معه لمدة ساعة ونصف

في هذه المحادثةمع الرئيس الاميركي كرر (بور) اعتقاده بأنه توجد الآن فرصة جيدة لقيام علاقات دولية أفضل ، وأنه ينبغي اغتنامها الآن وليس بعد ، ثم وضح الأسباب التي جعلته يرى من اللازم مفاتحة الاتحاد السوفيتي الآن ، ودحض الحجج المضادة ، وأضاف بأنه من الضروري الافتراض بأن السوفييت يعلمون بأن ثمة مجهودات كبرى تجري بالولايات المتحدة لصنع القنبلة ، وأنهم يدرسون المسألة الآن ، وسيتمكنون من صنع القنبلة بمجرد الانتهاء من الحرب مع ألمانيا ، ومن المؤكد أنهم سيضعون أيديهم على أعمال العلماء الألمان في هذا الميدان ، فاذا التزمت الولايات المتحدة وبريطانيا الصمت قبل استعمال القنبلة فستثيران ارتياب السوفييت ، وتخلقان مخاطر أكبر عن طريق التنافس في صنع الأسلحة الذرية ، بل وستفقدان ثقة السوفييت حول أي تقارب في المستقبل بين الطرفين ، ثم أكد ضرورة الأخذ بزمام المبادرة باعطاء السوفييت معلومات مفصلة عن القنبلة ، وأنه من الممكن الشروع في هذا فورا ، بتسهيل الاتصال بين العلماء من الجانبين .

وكانت المقابلة - على نقيض ما حدث مع تشرشل - ودية للغاية ، وفهم روزفلت تماما الحجج التي أدلى بها بور ، وقد رفعت المقابلة من الحالة المعنوية لبور ، بل راودته الفكرة بأن يكون هو العالم الذي سيكلف بالذهاب الى الاتحاد السوفيتي ، ليشرح لهم الموضوع ، غير أن آماله سرعان ما انهارت ، ففي اجتماع تشرشل بروزفلت في سبتمبر ١٩٤٤ بكويبك للمرة الثانية ، ثم بمنزل روزفلت بالولايات المتحدة ، تحادث الزعيمان حول القنبلة الذرية ، وخرجا بنتائج تناقضت تماما مع نتائج مقابلة بور مع روزفلت ، وفي

١٨ سبتمبر وقع الاثنان على مذكرة ، وردت بها فقرة تشير الى لزوم اجراء تحقيق حول نشاطات بور ، واتخاذ الاجراءات لعدم تسرب أية معلومات من جانبه خصوصاً الى السوفييت ، وفي حديث خاص مع مستشاره العلمي ، أعرب تشرشل عن رأيه في أنه يجب التحفظ على بور ، أو التوضيح له أنه بسبيل ارتكاب جرائم أخلاقية .

غير أن أصدقاء بور مثل تشرويل واندرسون وهالفاكس انبروا للدفاع عنه ، وبينوا لرئيس وزراء بريطانيا أنه أخطأ في حق بور ، ثم شرحوا له بالتفصيل الجوانب العلمية لصنع القنبلة الذرية ، وأنها لم تعد ذلك السر الذي يعتقل الناس من أجله ، وواقع الامر أن تشرشل كان غيورا جدا على سر القنبلة الذرية ، وأهمية حفظها في يد الأميريكان والبريطانيين وحدهم ، كذلك أقنع (بوش) مستشار الرئيس الاميريكي للشئون العلمية ، روزفلت باخلاص بور وأنه لا خطر من تصرفاته .

وبعد أن فشل بور مع الزعماء السياسيين حوَّل نشاطه الى جهات أخرى ، وكان قد تسلم خطابا في ديسمبر ١٩٤٤ ، من (أينشتين) يعرب فيه الأخير عن تخوفه من حدوث سباق للتسلح بعد انتهاء الحرب ، وأن الزعماء السياسيين يفتقرون الى الدربة لمعالجة المسائل النووية ، واقترح عليه أن يجتمعا معا للقيام بمحاولة للضغط على القادة السياسيين لتعميم الاستفادة من الطاقة الذرية في أعمال السلم ، وايقاف سباق التسلح الذي قد يحدث في هذا الميدان ، عند ذلك ذهب بور لزيارة (أينشتين) ووضح له ما قام به في هذا الصدد ، وكيف كان مصير محاولاته الفشل التام ، وكان بور قد اقتنع تمام الاقتناع بأن الوقت قد ضاع عبثا ، وأن تأجيل أية محادثة مع السوفييت قبل تجربة القنبلة سيبدو وكأنه محاولة لارهابهم ، وأنهم لن يقبلوا ذلك ، كما أكد له مرة أخرى أن السوفييت لا بد وأن يكتشفوا سر القنبلة وكيفية صناعتها ، ولو من خلال نشاط العلماء بألمانيا التي كانت في طريقها الى الهزيمة .

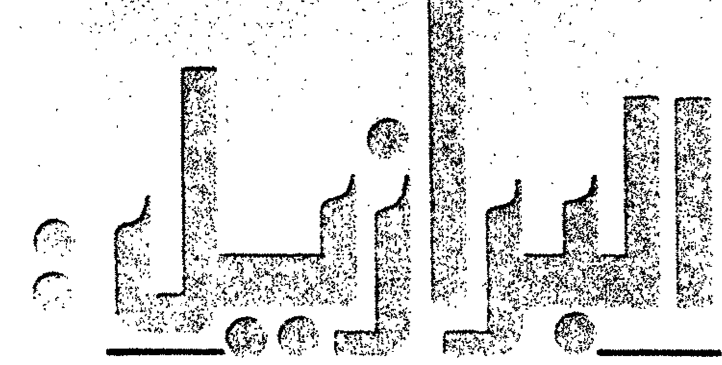
سلاح مدمر للغاية :

في تلك الأثناء توفي روزفلت ، وفي مايو ١٩٤٥ عقد وزير الدفاع الأميريكي (هنري ستمسون) اجتماعا لبحث مسألة اطلاع السوفييت ، ومستقبل السيطرة الدولية على الأسلحة الذرية ، غير أن غالبية المجتمعين أعربوا عن ارتيابهم من السوفييت ، وبذا تقرر عدم كشف السر لهم الى ما بعد استعمال القنبلة الذرية ضد اليابان . وبعد ايام من نجاح القنبلة الذرية (بالاموجودرو) صرح الرئيس ترومان لستالين بتاريخ ٢٤ يوليو ببوتسدام أن الولايات المتحدة تمتلك الأن سلاحا جديدا ذا قوة مدمرة للغاية ، ويبدو أن السوفييت كانوا على علم بمشروع (مانهاتان) من جواسيسهم ، وأنهم شرعوا في الاستعداد لصنع قنبلتهم ، وكان من نتيجة صمت حلفائهم لهذه المدة الطويلة أن زاد في شكوكهم ، ومهد السبيل للحرب الباردة فيما بعد ، كما توقع بور من قبل .

عند ذلك تحول بور الى مخاطبة الرأي العام الدولي ، ففي أغسطس ١٩٤٥ بعد خمسة أيام من تدمير هيروشيما نشر بور أفكاره تلك في مقال بصحيفة « التايمز » اللندنية بعنوان « العلم والحضارة » وكانت الحرب الكورية قد اندلعت عندما أرسل « خطابه المفتوح » المشهور الى الأمم المتحدة في عام ١٩٥٠ ، لذا فان ذلك الخطاب أيضا لم يجد صدى الا في الدول الاسكندنافية وحدها ، وكل هذا المجهود الشخصي من طرفه ان دل على شيء فانما يدل على أن (نيلز بور) قد سبق زمانه بكثير .

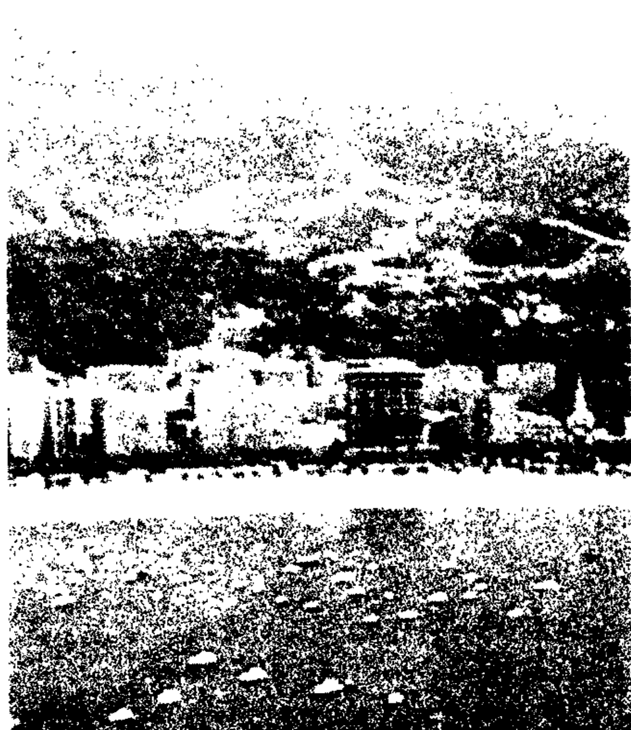
لقد أصبح بور بعد الحرب العالمية الثانيةالمتحدث الأول باسم الفيزيائيين العالميين ، بيد أن الفيزياء نفسها تعرضت خلال ذلك لتغيير جذري ، فقد أصبحت من مهمة الحكومات والشركات الكبرى ، ولم تعد تقبع في أروقة الجامعات والمعاهد العلمية ، ذلك أن تكاليف البحث العلمي أخذت أبعادا هائلة لم يعد بالوسع الاضطلاع بها دون عون الحكومات أو القطاعات الخاصة ، لذا فان معهد بور لم يعد ذلك المركز الاساسي للبحث العلمي كماكان عليه الحال قبل الحرب ، فقد انتقل هذا الشرف الى أمريكا والاتحاد السوفيتي والمركز الأوروبي للبحوث العلمية بجنيف .

أما العلامة الكبير فقد فارق الحياة عصر يوم الثامن عشر من نوفمبر عام ١٩٦٢ ، تاركا وراءه سمعة علمية خالدة ، وذكرى عاطرة على مر الأيام . □



مارد القرن الحادي والعشرين

استطلاع : حسين احمد أمين

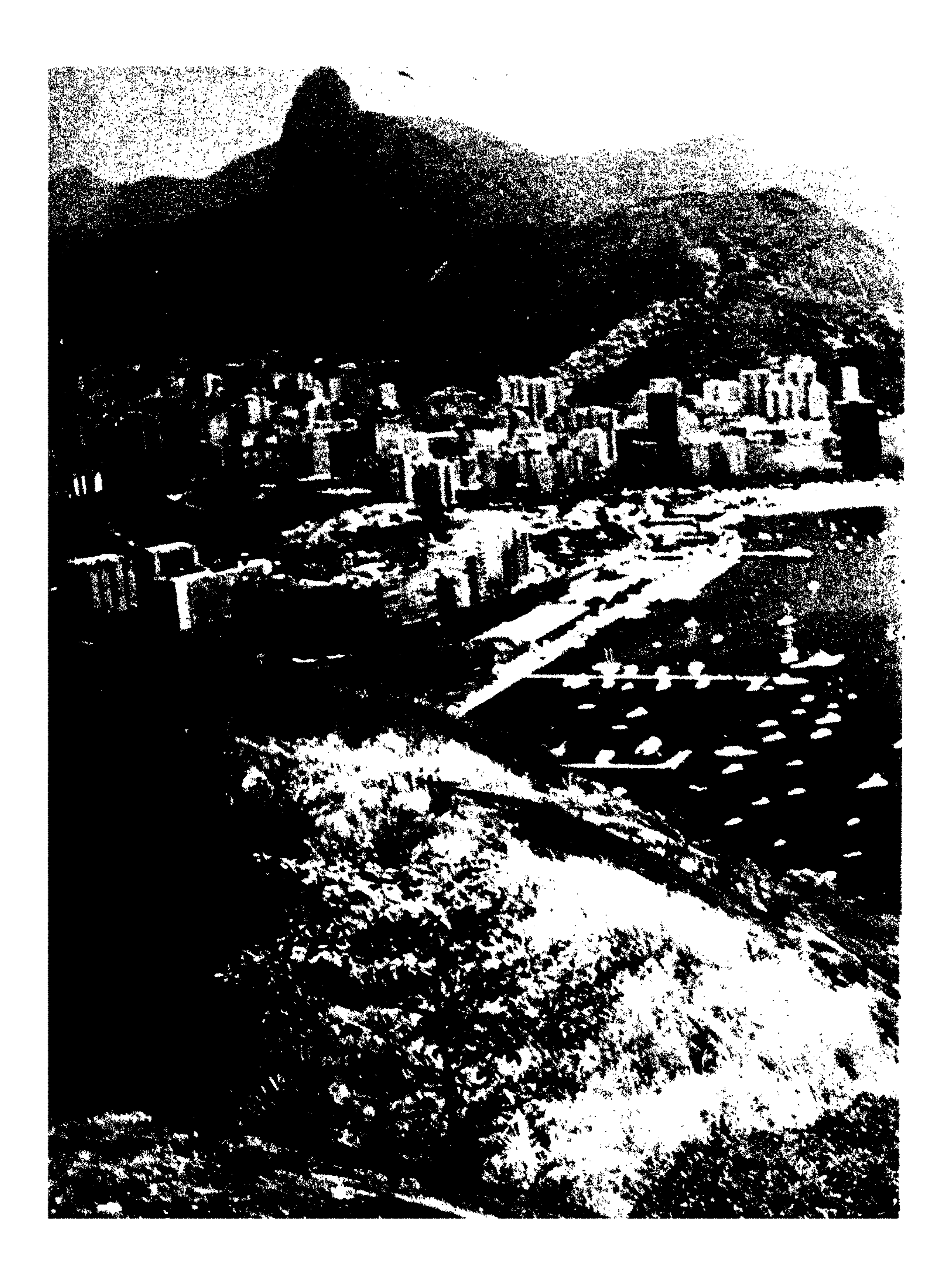






الابيض والاسمر في الكرنفال البرازيلي

منظر لاحدى المدن الساحلية بالبرازيل



« ان الله خلق جمال الطبيعة في سائر أنحاء الدنيا من أجل البشر ، وخلق جمال البرازيل لنفسه » . « مثل شعبي برازيلي »

أول سؤال يفرض نفسه على زائر هذا البلد هو ما إذا كانت البرازيل تنتمي الى مجموعة الدول النامية أم المتقدمة . ؟ فالنظرة الأولى وخاصة الى مدن الساحل الشرقي والى العاصمة « برازيليا » توحي برخاء جم ، وتقدم في التقنية والصناعة ليسا دون الرخاء والتقدم في دول أوروبا الغربية ، مع امكانيات وثروات لا حدود لها ، وحديث دائم عن أوجه النشاط الانتاجي وغيرها بصيغة أفعل التفضيل ، وهي الصيغة المفضلة في حديث البرازيليين عن بلادهم وعن أنفسهم .

هنا دولة تبلغ مساحتها أكثر من مساحة أوروبا الغربية والشرقية معا (اذا استبعدنا الاتحاد السوفيتي) ولا يفوقها في الاتساع غير الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة والصين وكندا ، وقد اكتشفوا منذ أشهر قلائل أن نهر الامازون أطول من نهر النيل بصعة أميال ، فبات نهرها أطول أنهار العالم . والعاصمة « برازيليا » هي أحدث مدن العالم تخطيطا ومعمارا ، كما أن العاصمة السابقة « ريودوجانيرو » بشهادة الكثيرين ممن يعتد برأيهم ، وعلى رأسهم الكاتب النمساوي الشهير ستيفان تسافايج ، هي أجمل مدن الدنيا قاطبة . والشعب البرازيلي هو أكبر أمة كاثوليكية في العالم ، ولا يفوق تعداده (١٣٥ مليون نسمة) غير تعداد الصين والهند والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة واندونيسيا . ولا يفوق البرازيليين في فن الطهي غير الفرنسيين والصينيين .

أما في مجال الاقتصاد فان الناتج القومي الاجمالي الذي يقدر بنحو ٢٣٠ بليون دولار ، يحتل المرتبة الثامنة بالنسبة لاقتصاد دول العالم ، وهي الدولة الأولى في انتاج البن والسكر والبرتقال وفي احتياطي الذهب ، والثانية (بعد ساحل العاج) في انتاج الكاكاو ، وبعد الولايات المتحدة في انتاج فول الصويا ، والحديد الخام ، ومن حيث قيمة الصادرات الزراعية والسلع المشتقة من الانتاج الزراعي ، والثالثة في انتاج الذرة (بعد الاتحاد السوفيتي والصين) ، واللحوم (بعد الولايات المتحدة وروسيا) والرابعة في انتاج المنجنير ، والخامسة في انتاج القطن والدبابات ، والسابعة في انتاج الألمنيوم والنحاس ، والتاسعة في انتاج الصلب ، والعاشرة في انتاج السيارات والاسمنت وتوليد الكهرباء .

فان كان هذا هو الوضع ، فما بال البرازيل صاحبة أكبر دَيْن خارجي من بين دول العالم (١٠٤ر٤ بليون دولار) ورابعة أكبر معدل للتضخم (٢٢٥٪ سنويا) بعد « اسرائيل » وبوليفيا والأرجنتين ؟ وما سر هذه المشكلات الاقتصادية الرهيبة التي تركت بصماتها على الكيان الاجتماعي والسياسي للدولة ، وهذا الفقر الذي تعيش في ظله غالبية السكان ، وحياة الفطرة التي يحياها سكان البلاد الأصليون من الهنود الحمر ، وارتفاع نسبة البطالة الى أكثر من ٧٪ ، ثم ماترتب على الفقر والبطالة من انتشار جرائم السطو المسلح والسرقة والاعتداء على المتاجر ، مما رفع البرازيل الى المرتبة الثانية من بين دول العالم (بعد كولومبيا) في عدد السرقات بالاكراه ، مما كان له تأثيره الضار في قطاع السياحة الذي كان يحتل حتى عام ١٩٨٣ المرتبة الثالثة في الأهمية بالنسبة للاقتصاد البرازيلي ؟

ابن اللورد !

ان مما يساعدنا على فهم طبيعة هذه المشكلات ، تشبيه سلوك البرازيل بسلوك ولد لأحد أثرياء اللوردات ، لايزال أبوه على قيد الحياة ، والولد مع قلة ما في يده من مال ، لا يرى وسيلة لتحقيق مراده غير الاستدانة من هنا وهناك ومن كل من هب ودب ، والدائنون يقدمون له القروض عن طيب خاطر ، لاطمئنانهم الى قدرته على سدادها حين ينتقل والده المسن الى رحمة الله .

يقول المثل العربي : « على قدر لحافك مد رجليك » وهذا بالضبط هو ما تأبى البرازيل أن تفعله . فهنا اطمئنان كامل الى المستقبل ، الى ما سيأتي به الغد من رخاء عميم ، بالنظر الى الامكانيات الهائلة ومصادر الثروة التي لم تستغل بعد ، وهي ما يؤكد عليه الجميع - في الداخل والخارج - انها ستجعل من البرازيل في المستقبل القريب احدى الدول العظمى في العالم ، بل مارد القرن الحادي والعشرين ، وعلى أساس هذا الاطمئنان الى المستقبل (رغم ضخامة المشكلات الراهنة وفداحة الدين الخارجي) يتصرف البرازيليون . .

أراد حكامها منذ عام ١٩٥٦ أن يدفعوا عجلة التقدم في البلاد ، بحيث ينجزون خلال خمس سنوات ما لا ينجزه غيرهم خلال خمسين . وهو ما تم لهم فعلا بفضل ترسيخ دعائم الانتاج الصناعي ، خاصة صناعة الحديد والصلب والصناعات الثقيلة .

وقد كان سبيلهم الى ذلك هو اللجوء الى طلب القروض من الخارج ، وتشجيع الاستثمارات الأجنبية من أجل استغلال المناطق الداخلية وتعميرها ، بعد أن كانت العناية منصبة في الماضي على المناطق الساحلية في الشرق ، وقد شجعتهم صورة المستقبل المضيء على تجاهل القيود التي يفرضها حجم الموارد الراهنة ، فهم لا يريدون أن ينشئوا مدنا ، أو يؤسسوا صناعات ، أو يضعوا برامج لا تليق بمستقبلهم كدولة عظمى . . فحين شرعوا عام ١٩٥٧ في بناء عاصمة جديدة في الداخل تكون أقرب الى المناطق المراد تعميرها ، من ريودوجانيرو



البرازيل : نصف مساحة أمريكا اللاتينية

الساحلية ، انفقوا على بنائها البلايين من الدولارات ، وكانوا ينقلون الى موقعها أكياس الاسمنت وقضبان الصلب ومعدات البناء الثقيلة بالطائرات عبر مئات الأميال . وكانت النتيجة والثمرة « برازيليا » مدينة المستقبل ، مدينة القرن الحادي والعشرين ، لا يفوقها في جمال معمارها أي من عواصم العالم . وهم حين قرروا انشاء مترو الانفاق في ثلاث من المدن الكبرى ، جعلوا منه أكثر نظم مترو الانفاق تقدما في العالم

وقد اطلقت البرازيل اقمارها الصناعية وأدخلت الكمبيوتر في كافة مجالات نشاطها الاقتصادي ، وطورت صناعتها الالكترونية ، بحيث لم يعد لها في ميدانها غير القليل من المنافسين ، وحفرت مئات ومئات من الانفاق في بطون الجبال ، وشقت أكثر من مليون ونصف مليون كيلومتر من الطرق المرصوفة حتى عبر الجبال الصخرية الشاهقة ، وأقامت ناطحات السحاب من المباني في المدن الرئيسية .



الكرنفال
موسيقا وغناء
ورقص
دون توقف ، أيام
السنة الاربعة
التي يعيش
البرازيليون من
أجلها



غير أن الأهم من ذلك كله هو العناية الفائقة بالصناعة ، فقد تمكنت البرازيل خلال ربع القرن الماضي فقط من تصنيع كل ما تحتاج اليه ، وكل ما يغنيها عن الاستيراد من العالم الخارجي ، من الكمبيوتر إلى السفن ، والطائرات ، والسيارات ، والملابس ، وأجهزة التليفزيون ، والفيديو ، والآلات الحاسبة ، والأسلحة والذخيرة ، والأدوية ، والورق ، والصناعات البتروكيمائية ، والميكانيكية ، والمعدنية . وكانت رغبتها الملحة في تصدير فائق انتاجها الى العالم حافزا لها على استخدام أحدث وسائل التقنية من أجل انتاج سلع تفي بمتطلبات السوق الدولية ، وتنافس منتجات الدول المتقدمة .

كل هذا كان له الفضل في تقريب البرازيل من مستوى الدول الصناعية الغنية . لقد ظلت أمدا طويلا ، وحتى الماضي القريب ، دولة زراعية ، وكان العالم الخارجي لا يكاد يعرف عنها غير انتاجها للبن ، وراقصة السامبا الشهيرة) كارمن ميراندا) تماما كما كان لا يعرف عن اليابان غير انتاج الراديو ترانزيستور ولعب الأطفال . أما اليوم فقد بلغت قيمة صادراتها نحو ٢٦ بليون دولار سنويا ، أربعة أخماسها من السلع الصناعية .

ايلول الاسود :

ولأجل تحقيق هذه الطفرة الهائلة ، كان على البرازيل أن تدفع الثمن ، وهو ثمن باهظ نحده اليوم يرهق كاهلها ويؤرق حكومتها ، دون أن يفقد شعبها ثقته في المستقبل . قلنا إنه كان عليها من أجل الانفاق على كل هذه المشروعات الطموحة ، ان تلجأ الى الاقتراض من الحكومات والبنوك الأجنبية ، ومن صندوق النقد الدولي . وكانت معظم هذه القروض قصيرة الأجل ، وذات فوائد بلغت حوالى ٥ر١١٪ .

وكان سبيل البرازيل الى دفع قيمة الفوائد المستحقة ، الى جانب زيادة صادراتها ، هو طلب المزيد من القروض قصيرة الأجل وذات الفوائد الباهظة ، وقد عرفت البرازيل هي الأخرى « ايلول الأسود » وكان أيلولها الأسود (سبتمبر ١٩٨٢) حين وجدت لزاما عليها سداد عشرين بليون دولار من الاقساط والفوائد واجبة الاداء ، منها ١١ بليون دولار فوائد على أصل الدين ، فلم تتمكن من ان تسدد غير ثلث هذا المبلغ ، وكان أن أسفر الوضع عن ظهور أزمة ثقة لدى البنوك العالمية والحكومات الأجنبية في قدرة البرازيل على سداد ديونها ، بل على مجرد سداد فوائد هذه الديون . عندئذ تراجع الدائنون عن منح تسهيلات ائتمانيه جديدة لها ، مالم يثبت اقتصادها جدارته بالثقة ، وانبرى صندوق النقد الدولي يحاول أن يفرض على البرازيل شرط اتخاذ اجراءات تقشف واصلاح تمكنها من تسديد الديون ، كخفض الانفاق الحكومي ، وتجميد الأجور والمرتبات ، وتخفيض قيمة العملة ، ورفع الضرائب ، والتركيز على الاستثمار في مجالي الزراعة والطاقة دون الصناعة . والا امتنع عن تقديم قروض جديدة . غير أن البرازيل ردت غاضبة بأنها ترفض مثل هذه الوصاية ، وهذا التدخل الأجنبي في سيادتها الوطنية ، والحد من حريتها في انتهاج السياسة التي تريد ، وبأن من حقها أن تطلب إعادة جدولة تواريخ استحقاق الديون ، خاصة وأن جزءا كبيرا منها كان في صورة أجور للخبراء الأجانب .

ومع ذلك فلاشك في أن البرازيل تحرص أشد الحرص على تهدئة مخاوف الممولين الدوليين ، وإقناعهم بتقديم قروض جديدة ، الى حين « وفاة الأب العجوز » ! لذا فقد اتجهت بكل طاقاتها الى زيادة صادراتها الى أقصى حد ممكن ، وتقليل وارداتها الى أدنى مستوى ، حتى توفر فائضا في الميزان التجاري يمكنها من سداد فوائد ديونها على الأقل . ولا نعدو الحقيقة إن قلنا أن هذا الهدف الأسمى هو أهم عامل ـ ان لم يكن العامل الأوحد ـ الذي يصوغ سياسات البرازيل الداخلية والخارجية ، فالدولة ذات الحاجة الملحة الى زيادة صادراتها ، تحاول دوما أن تكون على علاقة طيبة وثيقة بالجميع ، وان تبادر الى تسوية أية خلافات تدب بينها وبين غيرها من الدول ، فإن اضطرتها ظروف دولية خارجة عن إرادتها الى التظاهر بالانحياز الى جانب دون آخر ، في نزاع

لاشأن لها به ، حدّدت لها حساباتها وعلاقاتها الاقتصادية ومصالحها التجارية أيّ الاطراف تؤيده في المحافل الدولية . وهو تأييد نادرا ما يأخذ عدالة القضية بعين الاعتبار .

فن الاستمتاع بالحياة :

غير أن الذي يبدو واضحا جليا للأجنبي الزائر لهذا البلد ، هو أن الشعب البرازيلي قد ترك لحكومته وسياسييه مهمة القلق ازاء كيفية التخلص من هذه الورطة الاقتصادية ، وانصرف هو بكليته الى ممارسة فن الاستمتاع بالحياة ولا أعني بقولي هذا عزوفا عن الانتاج والعمل ، وإلا لما حقق الشعب خلال سنوات قلائل هذه النهضة الاقتصادية الرائعة ، التي لا يكاد يكون لها نظير سوى تلك التي شهدتها المانيا الاتحادية بعد الحرب العالمية الثانية . وإنما أعني تلك القدرة المذهلة على الجمع بين الانتاج واللهو ، مع عشق للحياة وإقبال نهم على الاغتراف من مباهجها ، ومرح زائد ونفور طبيعي من كل ما من شأنه تنغيص المتعة ، وتكدير المزاج .

تحدث عن جمال الطبيعة في البرازيل ماشئت ، أو عن سحر ريودو جانيرو . غير أن أجمل مافي البرازيل في اعتقادي هو طبيعة شعبها . وقد كان أول ماذكره لي القنصل البريطاني في ريو خلال الاسبوع الأول من اقامتي ، انني لن أقدرّ حق التقدير مدى سماحة هذا الشعب وطيبته ، واستعداده المطلق لمعاونة الغير وخدمته دون انتظار مقابل ، الا حين أترك البرازيل الى بلد آخر ، صحيح أن الأزمة الاقتصادية الراهنة ، والتضخم الرهيب ، وسوء أحوال الأمن ، قد حدّت بعض الشيء مما عرفوا به من كرم الضيافة والترحيب بالغرباء . غير أنهم لايزالون مع هذا أكرم شعوب الأرض وألطفها عشرة ، وقد مرت بي الآن هنا بضعة أشهر زرت خلالها عشر مدن ، لم يطرق سمعي خلالها صوت غاضب ، ولا رأت عيني شجارا في طريق أو مظاهر انفعال ، الا اثناء مباريات كرة القدم . لاأدخل مع عائلتي مطعما الا وجدنا مائدة على الأقل قد أتى الجالسون اليها بآلات موسيقية يعزفون عليها ويغنون على أنغامها قبل الأكل وأثناءه وبعده . ونذهب الى شاطىء البحر المزدحم دائما طوال أيام الأسبوع ، فإذا العزف والغناء والرقص على قدم وساق ، ولعب الكرة والضحك والغزل ،

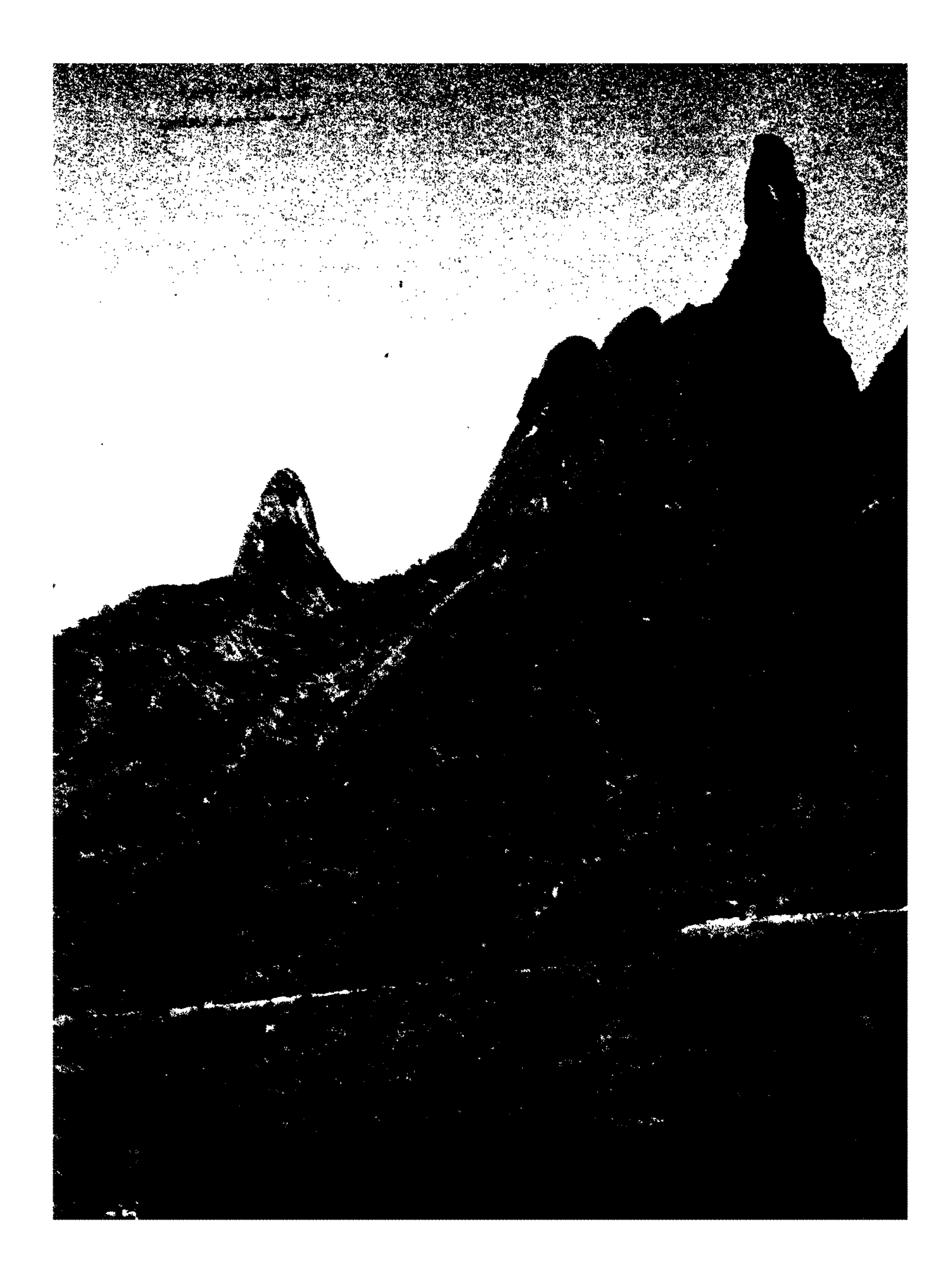
وليس أمرا نادرا أن تبادرك عائلة برازيلية تجلس على مقربة منك وعائلتك بالحديث ، ثم تبادر بعد الحديث الى دعوتكم لزيارتها في دارها ،وتناول وجبة طعام معها

وبوسعنا أن نقول في ثقة ان الرقص والبحر وكرة القدم وكارنفال شهر فبراير هي أهم ما يشغل بال البرازيليين ، أما الاهتمام بالسياسة فلا يكاد يخطر بذهن أحد غير من اختار « لسوءحظه ونكد طالعه » أن يشتغل بها . وقد قابلت هنا من الشباب البرازيلي من لا يعرف اسم رئيس جمهوريته ، ناهيك عن اسم رئيس جمهوريتي .

واهتمامهم بشؤون العالم الخارجي ضئيل للغاية ، أو قل هو غير قائم أصلا ، كما أن الصحف ووسائل الاعلام الأخرى لا تخصص لهذه الشؤون من المساحة أو الوقت الا قدرا يفرضه الواجب وتحتمه اللباقة .

فان ذكروا الولايات المتحدة ، فانما يجيء ذكرها بمناسبة قرار مجلس الشيوخ الأمريكي بفرض قيود على استيراد الأحذية أو عصير البرتقال من البرازيل . وهو الأمر الوحيد الكفيل بإغضابهم .

وهم على عكس الكثير من شعوب أمريكا اللاتينية الأخرى ، فهم شديدو الكراهية للحروب وكل مظاهر الارهاب والعنف . . شعب وديع يفضل الغناء على الشكوى ، والرقص على الشجار . خاصة أهل ريودو جانيرو المعروفين باسم « كاريوكا » الذين لا يرون شيئا أهم وأخطر من أن يكون مثارا للمرح ومدارا للضحك . ولم تعرف البرازيل في تاريخها ثورة دموية واحدة ، أو اغتيالا لزعيم سياسي ، أو ارهابا أو حرب عصابات ، رغم حدوث بعض المواجهات في مناسبات معينة ، بين وحدات من الجيش وجماعات من المتظاهرين ، كانت دائما تنتهي بتبادل القبلات والنكات ، قبل أن ينصرف كل من الفريقين الى شأنه ، ودون اطلاق رصاصة واحدة .



الشاطىء ، ازدحامه طوال أيام الاسبوع



احد مراعي البرازيل

كرنفال ـ سامبا ـ ماكومبا

فاما عن (الكرنفال) الأكبر في شهر (فبراير) فهو حدث تفوق أهميته عندهم أهمية عيد الميلاد المجيد ، وعيد الفصح ورأس السنة . والبرازيليون يعيشون سائر عامهم على ذكرى (الكرنفال) المنصرم ، واستعدادا (للكرنفال) التالي ، وهو لا يقتصر على حي من أحياء المدينة ، أو على طبقة اجتماعية من الطبقات ، وانما هو بمثابة احتفال صاخب يشارك فيه الكافة في مختلف أنحاء البلاد ، وإنك لواجد أفقر الفقراء هنا ، ومامن هم عنده غير أن يكسب خلال العام ، ويدخر مايمكنه من شراء زي تنكري باهر لهذه المناسبة المجنونة ، التي يظل الناس فيها على مدى أربعة أيام وخمس ليال متتالية لا يعرفون النوم ، ولا يتوقفون عن رقص السامبا ، والغناء ، وعزف الموسيقا ، وقرع الطبول ، والطواف بالشوارع لعرض ازيائهم العجيبة بهجة الالوان .

وأما شاطىء البحر فيلعب هو الاخر دورا رئيسيا في حياة البرازيليين ، من سكن منهم على الساحل أو في مدينة بالداخل . وقد لجأت الحكومة الفيدرالية الى عشرات الوسائل من أجل تشجيع البرازيليين على استيطان المناطق الداخلية ، والسكن في العاصمة الجديدة ، كمضاعفة الاجور فيها ، والاعفاء من الضرائب ، وتخفيض ايجارات المساكن .

غير أن البحر ظل دائما عامل جذب يحول دون الابتعاد عنه لمسافة طويلة ، أولمدة طويله ، والحياة على شاطئه تبدأ في ساعة جدّ مبكرة من اليوم ، فمنذ الخامسة صباحا تجد الشباب يلعبون (العولى) أو كرة القدم ، والكبار يؤدون تمرينات الصباح الرياضيّة قبل توجههم الى مكاتبهم ، ورجال الأعمال يبرمون الصفقات التجارية ويوقعون العقود ، وهم مسترخون على الرمال في ملابس البحر ، والباعة المتجولون يمرون وعلى رؤوسهم ([illegible]) نحاسية كبيرة ، تحمل جوز الهند والأناناس والبرتقال وعصير الفاكهة ، ورجال الشرطة يراقبون ملابس السابحين في البحر خشية أن يخطفها اللصوص ، والنساء وقد ارتدين (البيكيني) ـ وهو من اختراع البرازيليين ـ يأتين بأطفالهن الرضع في سلال من القش ، للاستمتاع بالشمس ونسيم البحر ، والمربيات يراقبن الصبية والصبايا يمرحون بين الأمواج العالية ، أو يذاكرون في كتبهم المدرسية ، والفتيات يقابلن أصدقاءهن أو يمرجن صديقاتهن على خاتم الخطوبة ، حتى إذا ما اكتملت الدورة ، إذا بصبيّة الأمس قد جاءت بوليدها الى الشاطىء في سله من القش للاستمتاع بالشمس ونسيم البحر .

غير أن أغرب المناظر طرا وأحفلها بمظاهر الوثنية ورواسبها ، ذلك الذي تراه على الشاطىء ليلة رأس السنة من كل عام . . الاف مؤلفة من وثنيي البرازيل ومسيحييها على سواء ، تتوجه في حوالي العاشرة من مساء ٣١ ديسمبر الى شاطىء المحيط في ملابس بيضاء ، يحملون الشموع البيضاء الموقدة في يد ، والقرابين في الأخرى . . أناس من مختلف الأعمار والأجناس والألوان والطبقات ، قد تبنّى المسيحيون منهم هذا الجانب من عقيدة الوثنيين المسمى (بالماكومبا) ، المتأثرة بدورها بديانات الأفارقة والهنود الحمر . . حتى إذا ماوصلوا الى الشاطىء شرعوا يرسمون علامات غريبة على الرمال ، ويفرشون المفارش البيضاء ، ليضعوا عليها القرابين التي سيقدمونها لالهة البحر (يمانيا) ، من زهور وعطور ونبيذ ودجاج وأمشاط ومرايا ، وحولها سياج من الشموع المضاءة . . ثم يشرعون في الترنم بترانيم خاصة ، ثم في الرقص وقرع الطبول ، حتى إذا ما أعلنت دقات الساعة منتصف الليل ، فوجئت بالصواريخ الملونة تنطلق ، والأجراس تدق ، والصرخات تعلو ، وإذا هؤلاء القوم جميعا وقد نزلوا الى البحر بهداياهم وأزهارهم ، فلا يخرجون حتى تأخذها الأمواج بعيدة عن أنظارهم ، حينئذ يطمئنون إلى أن إلهة البحر قد قبلت قرابينهم قبولا حسنا ، وانها ستحقق لهم أمانيهم وأحلامهم خلال العام الجديد . . !

هنا إذن ، وعلى نحو شبيه الى حد ما بما حدث في الولايات المتحدة الامريكية ، قد امتزجت الأجناس والأديان والعادات والتقاليد في بوتقة واحدة ، بعد موجات متعاقبة من الهجرات من مختلف بقاع العالم . . فهنا سلالات السكان الأصليين من الهنود الحمر ، وسلالات البرتغاليين المستعمرين الأول للبلاد ، والأفارقة الذين أتى بهم البرتغاليون قسرا لفلاحة الأرض ، والمهاجرون الايطاليون والألمان والبولنديون واليابانيون والانجليز والأسبان واليهود ، بالاضافة الى ستة ملايين من اللبنانيين والسوريين ، من نسل أولئك الذين تركوا وطنهم في أواخر القرن الماضي وبداية هذا القرن فرارا من سطوة الحكم العثماني ، أو طلبا للرزق في الدنيا الجديدة ..وتقدر نسبة البيض هنا بأكثر من ٥٤ ٪ ، يتركزون في المنطقة الجنوبية المماثلة في مناخها لمناخ أوروبا ، أما الزنوج فتقدر نسبتهم بحوالي ٦ ٪ ، يتركزون في منطقة الجنوب الشرقي ،ويعملون في مصانعها ، أما الهنود الحمر فلا يتجاوز عددهم ٢٣٠ الف نسمة ، يعيشون حياة بدائية في الولايات المتحدة الشمالية عند حوض نهر الأمازون ، وأما باقي السكان (أي نحو ٣٩ ٪) فيعرفون باسم « المولاتو » وهي كلمة مشتقة من الكلمة العربية « مولّدون » إذ هم ثمرة التزاوج بين البيض والزنوج والهنود الحمر ، لون بشرتهم أقرب ما يكون الى لون بشرة العرب ، ويسكن معظمهم في المنطقتين الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية .

فإن كنا قد قارنا وضع الأجناس هنا بوضعها في الولايات المتحدة ، فإن هناك فارقا ضخما يتعلق بالتعايش بينها ، إذ ليس ثمة في البرازيل ما يوحي بوجود تفرقة عنصرية بين أجناسها ، فهنا العشرة الطيبة بين الأبيض والأسود والأسمر والاحترام المتبادل ، والتزاوج غير المقيد أو المنهي عنه ، وغير المغضوب عليه ، مما يجعل من المحال التفرقة بين البرازيلي والأجنبي ، إلا حين يشرع الأجنبي في الحديث بلغة برتغالية ركيكة ، وقد كان للزنوج تأثير عظيم في الحياة البرازيلية ، خاصة في العقيدة والعادات ، والموسيقا والرقص ، وفن التصوير والرياضة ، والاعتقاد في السحر .

كما استفاد اقتصاد البلاد استفادة عظمى من النشاط التقليدي المشهود لليابانيين والألمان الذين توافدت أعداد كبيرة منهم على البرازيل ، في السنوات السابقه على الحرب العالمية الثانية والتالية لها . وقد أبدى هؤلاء جميعا ـ عدا الألمان ـ استعدادا كاملا للانخراط في البوتقة البرازيلية الكبرى ، وهجر لغاتهم الأصلية الى اللغة البرتغالية ، فمن النادر مثلا هنا أن تصادف برازيليا من أصل لبناني أو سوري يعرف العربية ، أو شديد الاهتمام بالأوضاع الراهنة في لبنان وغيره من الأقطار العربية . كذلك فان المسلمين البالغ عددهم حوالي مائتي الف نسمة ، لم يعودوا يعرفون الكثير عن دينهم ، والبعض من شبابهم يلبس حول عنقه سلسلة ذهبية تحمل علامة الصليب ، دون أدنى إدراك منه لوجود تناقض . ثم من يدري لعل بعضهم يقدم أيضا القرابين في ليلة رأس السنة لإلهة البحر « بيمانيا »

نعم قد لانجد الا القليلين من السود البرازيليين في مناصب القضاة ، أو الدبلوماسيين ، أو الوزراء وكبار رجال الدولة ، أو حتى من الأطباء والأساتذة والمحامين وقادة الجيش . غير أن هذا يرجع الى المستوى الاقتصادي الناجم عن تباين الحظوظ من التعليم والثقافه ، (وهو تباين من ثمار الماضي) ، والناجم أيضا عن تفضيل الزنوج عادة الاستمتاع بالحياة على العمل الشاق ، وقلة حاجاتهم وتطلعاتهم .

غير أن الظاهرة الهامة في الأمر كله هي ماذكره لي أحد كبار رجال الحكومة هنا ، من انه في حين كان الرجل البرازيلي الأبيض في الماضي القريب يحاول جاهدا إنكار سريان دم زنجي أو هندي في عرقه ، لم يعد هناك اليوم الا من يصرح علنا وعن طيب خاطر ، بانه رغم بياض بشرته من المولدين ،بل ويفخر بأنه منهم ، وهي دلالة طيبة على أن مابقى من آثار ضئيلة للتفرقة العنصرية هو في طريقه الى الاندثار .

يقول بريستلي :

« من حق المرء أن يتحدث عن دولة أجنبية ، بعد إقامته بها ، إما لمدة اثنى عشر يوما ، أو اثنى عشر عاما ، وفيما بين هاتين المدتين لا يجوز له الحديث عنها »

فهل نعاود الحديث في استطلاع جديد عن البرازيل بعد اثنى عشر عاما حديثا أعمق وأشمل . ! لعل وعسى □



الأشجار رفيق الجنس البشري

اعداد : بدور عبدالكريم *

بعد أطفال الأنابيب ، اتجه العلماء بابحاثهم الى أعرق رفاق الجنس البشري الأشجار ، وفي هذا الحقل الجديد تحقق الكثير ، وفتحت آفاق لمستقبل يختلط فيه العلم بالخيال ، والمقال التالي عن الأشجار ، ذلك العلم الواسع الذي اقتحمه علم الهندسة الوراثية .

هل حقا أن الدنيا مقامات حتى في رحاب العلم ؟

فالضجة الاعلامية التي أحاطت بتجارب « أطفال الأنابيب » و « أجنة المختبرات » في طول العالم وعرضه ، لم تتح لتقدم تقني متزامن ، ومثير ، ومن شأنه أن يؤدي عبر تطوير تقنيته ، الى تغيير الملامح المناخية والجغرافية في كثير من بقاع العالم ، وذلك أن هذه التقنيات من شأنها أن تحقق الحلم الانساني ، بتحويل الأراضي اليباب الى غابات ، وزرع الصحراء بالأشجار التي لا تحتاج الى ري وسقاية ، أو الأشجار القابلة للري بالمياه البحرية المالحة ، وبما يشكل اذا سلمنا بمعطيات علم الأحوال الجوية ، بداية تحكم فعلي ، من قبل الانسان بالمناخ ، وبالمقدار الذي يتيح تغييره جذريا ، لما فيه مصلحة التنمية الزراعية ، وبخاصة وقف زحف الصحراء على الاراضي الزراعية ، في البلاد ذات الطابع الصحراوي ، وتلطيف الأجواء عبر الاستخدام المكثف لعمليات التشجير ، ومن ثم استغلال الشجرة من أجل تنقية الجو ، وتأمين الرطوبة اللازمة للمزروعات ، واستجلاب واستقطاب غيوم المطر .

أعرق رفيق

من المسلم به ، أن الأشجار هي أعرق رفيق لنجنس البشري ، وأنها استطاعت بسبب انشغال العلوم الانسانية ، بمواضيع أخرى ، على أساس تقديم الأهم على المهم ، أن تحتفظ بكثير من أسرارها طويلا ، ولكنها لم تستطع أن تصمد حتى النهاية أمام

* كاتبة وباحثة فلسطينية عملت وكتبت في أجهزة الاعلام وصحافة القطر السوري . قدمت رسالة دكتوراه في الاعلام في فرنسا

تقدم التقنية البيولوجية الحديثة ، التي بدأت تسمح بتوليد ما يمكن أن نسميه « غابات الأنابيب » وبما يتيح لعلماء البيولوجيا الزراعية ، وضمن المختبر ، توليد وتحسين أفضل وأجمل وأنفع أنواع الأشجار ، ومن ثم مضاعفتها الى أعداد لا نهاية لها .

على هذا الصعيد ، يقول لاري تومبوف ، العالم الاخصائي في اقتصاد التشجير والتحريش بجامعة ميتشيجان في الولايات المتحدة أن التقنية البيولوجية الزراعية هي منطلق تجربة « غابات الانابيب » أي تربية نواة الغابة في المختبرات ، وأن هذه التقنية مرشحة لبلوغ أقصى درجات التقدم والنجاح ، وتحقيق ثورة علمية جديدة في الميدان الزراعي عبر التحكم في نمو الخلايا الانباتية بما يحقق هدف استنبات غابات اصطناعية ضمن أنابيب المختبرات .

وربما كانت الشجرة هي الضحية الأولى لحاجات التقدم العلمي وارتفاع مستويات المعيشة والرفاهية ، ذلك أن للأشجار دورها الكبير في سد نهم صناعة الورق والموبيليا والبناء ، وبشكل اختفى معه ما يمكن أن يدعى بالغابات العذراء ، باستثناء القليل من الغابات النائية في حوض الأمازون وأفريقيا الاستوائية .

ومن هنا فان تقنية « غابات أنابيب المختبرات » قد تكون البشرى بقدرة الانسان على تغيير معالم وخصائص الكثير من الأشجار ، المثمرة وغير المثمرة ، ومن نباتات الخضراوات ، مع تكييفها بما يتيح لها النمو في أي مناخ .

ثمار بعد ٢٢ شهرا :

يتركز اتجاه التقنية الزراعية العضوية اليوم على استفراد خلايا بعض النباتات والأشجار ، وزرع كل خلية في أنبوب اختبار ، لمحاولة الحصول على كيان وتكوين كاملين من هذه الخلية ، التي تؤلف بتكوينها وتوالدها وتجمعاتها الكيانية الأشكال التي نرى بها مختلف الأشجار . على صعيد استنبات نباتات وأشجار كاملة التكوين ، انطلاقا من خلية واحدة ، أو من تجمع خلايا قليلة معدودات، فإن الباحثين في هذا الميدان ، يستندون كثيرا الى تقنية استنبطها عالمان فرنسيان من علماء « المعهد الوطني الفرنسي للأبحاث الزراعية » وهما : ر . موريل وكلود مارتان اللذان كانا قد باشرا منذ ١٩٥٢ ، تجاربهما على أنسجة العقد والبراعم الانمائية التي نراها في تفرعات عساليج النباتات .

وتقضي هذه الطريقة باقتطاع جزء من منطقة النمو الانباتي ، وزرعها في بيئة ملائمة ، بحيث يؤدي ذلك ، الى نشوء فسائل وعساليج وبراعم فتية ، تتحول الى تكوينات وكيانات نباتية كاملة .

ويبدو أن الغاية الرئيسية لتجارب هذين العالمين الفرنسيين ، كانت تستهدف استحداث نباتات مقاومة للآفات والطفيليات التي تهاجم النباتات والأشجار ، وتعرقل نموها ، ومن ثم تحسين أنواع ونوعيات الأشجار المثمرة .

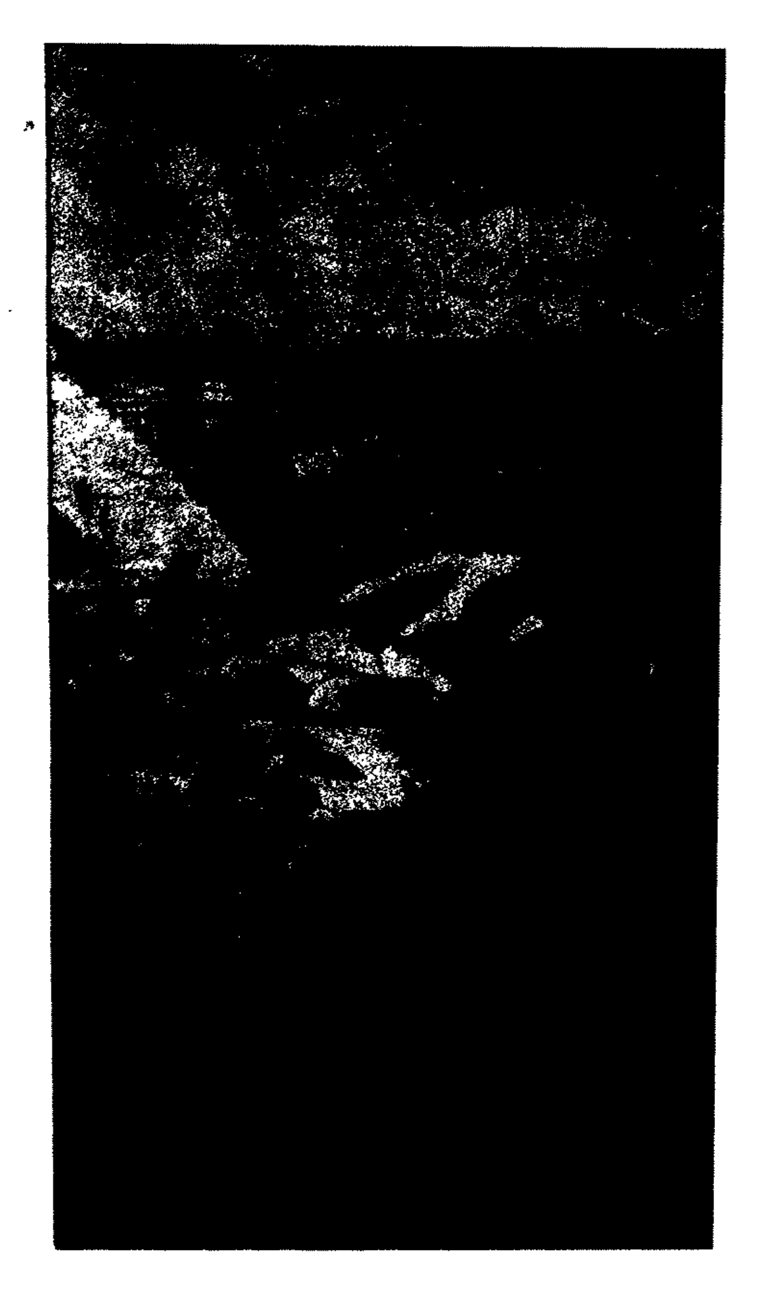
وقد بدأت هذه الأبحاث والتجارب تعطي ثمراتها في عام ١٩٨٠ ، حين استطاع البروفسور مارتان ومساعدوه أن يستنبتوا ثلاثة عشر نوعا محسنا من أنواع الخوخ والدراق ذات الرحيق الحلو السكري الأحمر .

وقد أنتجت أول - ١٣ - شجرة دراق من هذه الأشجار المستحدثة - ١٠ - كغ من الثمار بعد - ٢٢ - شهرا من زرعها في التربة ، وبديهي أن هذه النتيجة تعد تقدما ملحوظا ومهما ، ذلك أنه من المعروف أن شتلة الخوخ أو الدراق لاتبدأ بالاثمار الا بعد مرور أربع سنوات على زرعها في التربة .

وقد علق على ذلك نيل نيلسون رئيس مصلحة أحراش وغابات الراين ، وهو من العلماء الزراعيين المرموقين ، قائلا :

« ان أهم ما يمكن أن تحققه التقنيات البيولوجية الزراعية هو تقصير واختصار المدد الطويلة اللازمة لتحسين أنواع ونوعيات الأشجار عبر التقنيات التقليدية ، وبالتالي فان تحسين النوعية بالاضافة الى كسب الوقت ، يؤثر تأثيرا ايجابيا في استثمار الغابات لسد الاحتياجات المتصاعدة ، لصناعة النجارة والورق ، وتحقيق المردود الأفضل ، ذلك أن أثمان الاخشاب والمنتجات الخرشية تتراوح بحسب أنواع ونوعيات الأشجار والنباتات التي أتت منها . »

وقد كان من الطبيعي أن تتجه التقنيات الحديثة للبيولوجيا الزراعية ، الى انتخاب واستنبات الجذور الأكثر صمودا للآفات والأمراض التي تسببها الفيروسات والبكتريات والفطريات المجهرية ،



بالاضافة الى هجمات الحشرات القارضة .

ثمة هدف بعيد من هذه التقنيات الحديثة ، يكمن في استخدام زراعة الخلايا النباتية من أجل استخلاص المواد اللازمة للطب الحديث ، وبالطبع فان الأمر يتطلب ، كما يقول الخبير الأميركي « تومبوف » ، التعمق في معرفة الخلايا النباتية ، وبيولوجية الجزئيات الانباتية لأشجار الغابات ، حتى نستطيع الانتفاع بكل الطاقات الكامنة التي بدأت التقنيات البيولوجية الحديثة تبشر بمولدها .

ويشدد « تومبوف » على وجوب التعمق في معرفة العمليات التي تستطيع فيها البكتريا ، وغيرها من الكائنات المجهرية ، أن تخترق النسيج الداخلي للنباتات ، كما تستطيع اختراق لحاء الأشجار .

وفي هذا الصدد ، وباتجاه مماثل ، يقوم الباحثون باستنباط واستنبات جذور وشتلات أشجار صنوبرية ، تقاوم أكثر أنواع الآفات الزراعية .

والواقع أن الحلم الذي يبدو أنه قد أصبح قريب المنال ، ليس حلم خلق غابة اصطناعية في المختبرات ، انما خلق غابة مزروعة بفصائل وأنواع جديدة ، استنبتتها الأبحاث العلمية .

أشجار مراهقة :

قلنا ان الشجرة هي الرفيق الأعرق الذي صاحب الانسان منذ نشوء الحياة وارتقائها ، ولهذا فان بعض أنواع الأشجار تتجاوز بحجمها وعمرها ، جميع الأرقام القياسية ، التي سجلتها مختلف الكائنات الحية .

مثلا ، شجرة ـ السيكا ـ الاسترالية ، التي تعتبر من المتحجرات الحية ، قد تكون صاحبة الرقم القياسي في طول العمر ، وذلك أن عمرها التقديري الذي توصلت اليه الأبحاث العلمية يتراوح بين ١٢ - ١٥ ألف سنة .

والمعروف أن هذه الأشجار تنمو ببطء قياسي بالغ ، بحيث لا تكاد تحقق نموا بطول متر واحد خلال قرن كامل !

على أن بعض علماء النبات الأميركيين ، ينسب الى « صنوبر كاليفورنيا » الرقم القياسي في طول العمر ، ومن خصائص هذه الأشجار ، أنها تنمو على علو مرتفع ، يتراوح بين ٣٠٠٠ ـ ٣٦٠٠ م في جبال « هوايت ماونتنز » في كاليفورنيا ، وتتميز أضخم هذه الأشجار ، ويطلق عليها لقب « البطريرك » بقطر يبلغ ١٢ مترا عند القاعدة ، ومع ذلك فانها تعتبر « مراهقة » لأن عمرها لايزيد على ١٥٠٠ سنة .

أما أعرق هذه الاشجار قدما في الحياة ، فيبلغ عمرها حاليا ٤٩٠٠ عام ، وقد قدر بأنها كانت قد بلغت أول ألف عام من عمرها في العهد الذي عاصر حياة النبي ابراهيم الخليل ، ثم ما لبثت أن دخلت مرحلة الشيخوخة في زمن المسيح .

على أنه قد ظهر لهذه الشجرة ، شجرة يابانية منافسة ، هي شجرة أرز تم تقدير عمرها بـ ٥٢٠٠ سنة ، بالاعتماد على معطيات القياس بعنصر الكربون ١٤ .

ثمة ظاهرة مناقضة ومعروفة ، وهي أن نباتات مناطق اليباب القاحلة ، تضرب الرقم القياسي في بطء النمو ، فأشجار الكاكتوس (الشوكيات)التشيلية المعروفة باسم « كوبيابوا » تؤلف دغلة كثيفة ضخمة عندما تبلغ ٥٠٠ سنة من العمر ، ومع ذلك ، فان قطرها في هذه الحالة لايزيد على ٦٠ سم .

وثمة أشجار في أميركا اللاتينية ، تدعى أشجار « آنا كانتيروبوس » لا تنمو أكثر من ١٠ سم في القرن الواحد .

على أن الرقم القياسي في الطول والحجم ربما كان يعود الى شجرة « الزنزلخت » الاسترالية التي يزيد ارتفاعها الوسطي على ١٠٠ م٢ ، ويزيد محيطها عند قاعدة الساق على ٢٠ مترا ، وقد وقعت في القرن الماضي احدي هذه الأشجار العملاقة ، وكان يبلغ طولها ١١٤،٣٠م٢ .

اما الرقم القياسي في طول محيط القاعدة ، فتضربة شجرة من الفصيلة الصنوبرية يمكن مشاهدتها في مدينة « سانتا ماريا دي توله » في المكسيك اذ يبلغ طول محيطها ٥٠ مترا عند القاعدة ، و ٣٤ مترا على ارتفاع متر ونصف من القاعدة ، وهي ولاشك أضخم شجرة في العالم ، وتلي هذه الشجرة في ضخامة الجذع والقاعدة شجرة من نوع « سكوايا » في حديقة سكوايا العامة في كاليفورنيا ، ونلقب هذه الشجرة باسم « الجنرال شيرمان » اذ يبلغ طول محيطها ٢٣،٣٠ مترا على ارتفاع متر ونصف من القاعدة .

شجرة تبيض :

وفي سياق ولع الأمريكيين بايجاد معادلات احصائية لكل شيء قال الاخصائيون إن هذه الشجرة تستطيع أن تنتج ٥ مليارات عود ثقاب .

وتتميز هذه الشجرة بلحاء بني قاتم وكثيف ولين ، وهي بالتالي أول شجرة ، منذ نشوء الحياة على الأرض ، لا تؤلم من يضربها بقبضته ، ويقدر وزنها حاليا بأكثر من ٢٠٠٠ طن !

والغريب أن البذرة التي تنبت مثل هذه الفصيلة العملاقة ، لايزيد وزنها الوسطي على ٤،٧ ملغ ، وبالتالي فان البذرة الواحدة تضاعف وزنها ٢٥٠ مليار مرة من أجل أن تقدم لنا شجرة « راشدة » .

وتجدر الاشارة الى شجرة تين من فصيلة ضخمة جدا ، تستأثر بانتباه الباحثين البيولوجيين ، انها شجرة « تين البنغال » التي تمتد جذورها أفقيا في التربة ، وتحتل مساحات شاسعة ، لتنبت من الفسائل التوائم عددا كبيرا ، وقد بلغت مساحة امتداد جذور احدى هذه الأشجار ٦٠٠ م٢ ، نبتت فيها من جذور الشجرة الأصلية ٣٢٠ فسيلة وشتلة تدعم بانتاجها ونموها مردود الشجرة الأم ، ولعل من المفارقات أن ثمار هذه الشجرة العملاقة تضرب الرقم القياسي في ضآلة حجم التين الذي تنتجه .

ثمة شجرة هي موضع عناية ودراسة كثيفة من العلماء الزراعيين في مختلف بلاد العالم ، انها شجرة يابانية تدعى « جينكو بيلوبا » وقد تميزت بكونها الشجرة الوحيدة التي صمدت لجحيم القنبلة الذرية التي ألقيت على مدينة هيروشيما ، انها من أقدم أشجار هيروشيما عمرا ، ويبدو أنها تتحدى مرور الزمن ففي معركة « البقاء للاقوى » صمد هذا النوع زهاء ثلاثة ملايين سنة منذ نشوئه وبقي حيا حتى الآن ، وقد احتلت اهتماما خاصا لدى داروين الذي قال عنها : انها تشبه « متحجرة حية » وانها عايشت عصور الديناصور ، واجتازت بنجاح الأزمات الجيولوجية العظمى ، وشهدت بلاشك مولد الجنس البشري .

يتميز هذا النوع المرشح للتوليد في أنابيب المختبرات بأنه يقاوم بنجاح التلوث الصناعي ، والتلوث الناجم عن التكاثف السكاني ، وبالتالي فهي أفضل شجرة لتزيين أرصفة الشوارع في المدن التي تعاني من أزمة تلوث الجو والهواء ، وقد ثبت أنها تتكيف بسرعة مع مختلف أنواع المناخ ، فقد نجحت تجربة زراعتها في نيويورك ، وأصبحت تؤلف النسبة الكبرى من الأشجار التزيينية المزروعة على أرصفة وجادات مانهاتن ، يضاف الى ذلك أنها تتمتع بحصانة مدهشة ضد الطفيليات المألوفة ، ونادرا ما تستسيغها وتقطنها الحشرات والفطريات ، وثمة جانب فريد فيها ، يكمن في أنها تخلو من البراعم أو البذور ، وان كانت تنتج شيئا ما بين البرعم والبذرة ، يدعوه علماء النبات « بويضة » ، وانطلاقا من ذلك ، يقول العالم الزراعي جان ماري بيلت : « الجينكو » هي ، فعلا ، شجرة تبيض » □



بقلم: محمد سمارة

كنت ارى الرجل صاحب الكلب كل يوم، يخرج من غرفته التي تقابل غرفتي، معتمرا قبعته الرمادية الداكنة، تتبعه كلبة الابيض ذو الارجل القصيرة، حيث يختفيان في شارع ينتهي الى خارج المدينة

في البداية كانت المعرفة فيما بيننا ... مقتضبة، ابتسامة عابرة، ومضى الرجل ... الى شأنه، وكنت اراه وحيدا دائما، لا زوجة ولا ولد، هو والكلب الابيض دائما، واذ خرجت ... الرجل اولا من اغلاق ... جيدا، ... المقابل ... ثم يبتسم للكلب علامة ان كل شيء على مايرام، ويمضيان خارج المدينة، ... من الماء ... واذ تصادف ان يلتفت الرجل ويرى الكلب يتشمم قاذورات ما، ينهره بصوت اجش: تعال هنا يا ... هل عدت الى قذاراتك؟ يتوقف الكلب مرهفا السمع، ثم ... صاحبه الغاضب، فيعدو اليه مسرعا، معتذرا

في الايام الاخيرة دفعني فضول غامض الى التعرف الى الرجل ... اذن لا فقد ... دفعا ... الرجل خرج من غرفته ... وكنت انا اهم ... غرفتي، فالتقينا لدى بسطة السلم، قلت له: صباح الخير ... ، وقبل ان يصح ... في الشرفة هذا ... الرجل كما لو دهش لوجودي، اه كلا ... هناك، وابتسم ورفع قبعته وهم ... ، غير انه توقف قليلا قال:

- وهل انت الشرقي الذي يعشق المطر؟

- اجل

- وهل تضحك غرفتك التي لا تتسع لارنب صغير؟

- قلت بدهشة: يبدو أنك تعرف كل شيء

تهلل وجه الرجل لاندهاشي، قال: ...

كيف لا اعرف، وقد شهدت ولادة البيت قبل ... عاما، بل قل اني توسطت في عملية ... قليلا وأصابت. هل انت تسكن ... من بعيد؟

- هنا منذ شهور، وفي مكان آخر ... سنوات.

- آه.. انت متنقل كالأرانب. الأذن

وابتسم من جديد، ووضع يده على كتفي: الا تشعر بالغربة؟ ... الا ... كالموج

يهدرك في لحظة خاطفة ، فلا تشعر الا وانت تستيقظ من اغفاءة وهمية ، كما لو أنك كنت تحت وطأة كابوس ؟

في أيام الشباب سكنت لدى امرأة باريسية خمس سنوات ، تصور خمس سنوات في غرفة كجحر الفئران كنت خلالها اشعر أني سأموت ، وعندما حملت امتعتي لأغادر الغرفة ، اكتشف ان الفئران والعناكب قد اكلت أرجل السرير الخشبي الذي كنت ارقد عليه ، فقالت لي المرأة مداعبة ما هذا . . هل كنت تخبىء الفئران في جيبك يا رجل ؟

وقهقه العجوز ، وطبطب على كتفي بيد حانية ، وقال وأنت . . ماذا تحوي غرفتك ايها الشرقي ؟

قلت : كتبا ومعطفا ثلجيا ومظلة .

ياإلهي . . وهل تعشق المطر الى هذا الحد ؟

ـ وربما أخشاه ايضا .

وجم الرجل كما لو يهضم كلماتي ، قال :

رأيتك مرة من النافذة وانت تدرج تحت المطر بلا معطف . . بلا مظلة فأدهشني عشقك الغريب للمطر ، وقلت أمجنون هذا الرجل ؟ ومرة رأيتك تقف تحت شجرة يقطر منها المطر كالميازيب ، فخيل الى انك في حالة من النشوة ، فخطر لي أنك ثمل ـ بل كنت في أشد حالات اليقظة .

ابتسم الرجل : هل هو جنون من نوع جديد ؟

وتمعن في وجهي كما لو كان يبحث عن موضوع جديد ، ثم تنبه الى الكلب ، الذي كان قد اختفى ، تلفت حوله وأشار الى موضع مهجور أسفل السلم قال : ربما كان هذا الشيطان هنا ، انه سيتسخ بالبراميل القذرة حتما . . معذرة .

وهرول بحركات بطيئة ، قلقة ، وجاءني صوته من أسفل السلم زاجرا الكلب مؤنبا .

سمعت نباح الكلب كما لوانه يعتذر .

* * *

بعد هذا اللقاء دعاني الرجل ذات نهار الى غرفته ، وصار يجد بي ـ كما أخبرني ـ وجه ابنه الذي قتل في حرب قديمة ، وقال : لولا سمرتك وشاربك لأقسمت أنك هو ، ولكن كيف لم أرك يا رجل ؟

ونهض متأملا صورة ابنه المعلقة على الجدار ، ومالبث أن خطا نحو النافذة هاتفا بانبهار الصغار :

انظر أشجار شابة ، وعروق تمتلىء بأنفاس الحياة ، طيور ترفرف راقصة ، في حركتها عزف الخلود ، فهل يصمت العزف ويسود الوجع القاتل ؟ وطأطأ رأسه كما لو أخذته نوبة بكاء ، رفع رأسه آه . . لابأس ، لقد شغلتك بأمور خاصة أيها الصديق ، لا أعرف لماذا تأخذنا حالات من الضعف ، فندفن رؤوسنا في الثلج ، ونترك شمس الله تذهب هباء ، لقد كتب لي ولدي ذات يوم : انك يا ابتِ شجرة تنبت في صحراء ، غير انك تملك أغصانا وارفة .

انني أفكر أحيانا في ما تعنيه تلك الكلمات الجميلة ، وأقول ان الولد يكتب أشياء عميقة ، أعمق من تجربة أبيه في كهف الحياة ، كنت أقول إن الله يمنح الصغار أحيانا رؤوسا ناضجة ، والا كيف يصغي ولدي لصوت البوق الذي أعلن الحرب ؟ كيف أفكر وأنا أقرأ رسائله أنه كتب السطور على ضوء شمعة أو وهج سيجارة ، فلقد تعلم التدخين في الجبهة ، ولم أشأ أن أخبره في أولى اجازاته أن أسنانه صارت بلون الرماد ، أفلا يكفيه وجع التفكير بأبويه وهو في صحراء الموت ، حيث حرائق الروح ورماد القلب ؟ كان المسكين يحمل عذابات قلبين ، حتى وهو تحت اضراس الحرب ، وصار بوبي ـ الذي كان جرواً آنذاك ـ يستقبله على عتبة البيت ، نابحا بصوت كالنحيب ، كما لو أنه يعرف أن ثمة سكينا تختبىء وراء الباب ، ونهرت بوبي مرة ، لكن نباحه ظل كالورم في الخاصرة ، وصار ولدي اذ يدخل البيت يهش للجرو ويبش ، وأغرم به بشكل جنوني حتى انه كان يحتفظ له بقطع البسكويت المملح الذى يجلبه من الجبهة .

توقف الرجل ريثما يلتقط انفاسه ، تأمل الكلب الذي أقعى في زاوية الغرفة ، قال : لا أخفى عليك أنني اذ أجلس في الغرفة وحيدا ، وأنظر في عيني الكلب ، ينتابني هاجس بأن في عينيه كلاما ، أشعر أنه يقول بعينيه الصامتتين أشياء بليغة ، فما أبلغ ما ينطق به الصمت أحيانا ، ولولا بقية عقل في رأسي لقلت أنه كان يتحدث فعلا ، وصرت أحادثه كما لوكان انسانا ، أقول له أين ذهب صديقك أيها الكلب المتسكع ؟ فيرمقني بذات النظرات » وترمش عيناه فيخيل الى انه يجيبني ، وأروح أنسج ما يصوره

لي الوهم أنه كلام الكلب ، وكانت المسكينة - زوجتي - تفاجئني وأنا على هذه الحالة ، فتزجرني كطفل . وتقول : أجننت يارجل ؟ فأصرخ : لكن ولدي مات يا ماري .

فتقول : لكنه ولدي أيضا .

وماتت المسكينة بعد شهور ، فأدركت كم كانت محزونة تلك المخلوقة الرائعة ، لقد كان في أعماقها ظلام أشد من ظلمة أعماقي ، لكنها كانت مقفلة الصدر كصندوق ، وفي المقبرة دفنتها ، ووضعت باقة من الورد ، وكان بوبي يرقب ذلك بعينين صامتتين ناطقتين ، تماما كما فعل أول مرة اذ دفنت ولدي ، اني اتساءل أحيانا من يضع الورد على قبري حين يداهمني الموت ؟ ومن سيزورني كما أفعل أنا الآن ؟ اني أغادر غرفتي - كما ترى - وأقطع مسافة ثلاثة أميال لكي أصل الى المقبرة ، وهناك أجلس والكلب نرقب القبرين المتجاورين ، قبر ولدي وقبر زوجتي ، واتخيلهما يرقدان باطمئنان ، وأكاد ارى زوجتي ترمقني باشفاق وتقول : عد الى غرفتك ايها الرجل العجوز ، الثلج لا يرحم العظام الهرمة ، فأكاد انتفض معاتبا : كفى يا ماري ، انها الراحة ، اذ اقطع كل هذه المسافة وأراك الى جوار ولدك ، لا حاجز بينكما الا الورد ، ألا يسعدك ذلك يا ماري ؟

وفي الغرفة أروح أردد مع نفسي مفجوعا : لم يعد ثمة أحد ينتظر عودتي . . لم يعد ثمة من يطرق على الباب متفقدا ، أنا والكلب وحيدان ، شجرتان في صحراء الحياة ، وأنظر الى الكلب وأقول : لم يبق إلاك أيها الكلب الطيب ، فيرمقني بنظراته الناطقة ، كما لو يؤيدني في ما أقول ، فيسعدني ذلك ، وأغيب في خدر نشوة سرية .

والتفت الرجل ، ونظر في وجهي ، وعاد يقول : وأنا من سيزور قبري ايها الرجل الشرقي ؟

* * *

بعد هذا اللقاء مات الرجل العجوز فجأة ، وجدناه محتضنا صورة ابنه ، بينما الكلب في فراغ الغرفة نابحا كما لو يستغيث ، وخرج نزلاء البيت صفا واحدا يمتص سحناتهم شحوب داكن . وتبرعت صاحبة البيت - التي لم أرها الا بضع مرات - بكامل مصروفات الدفن ، وكانت تقول : كان المرحوم طيبا ، وقف الى جانبي ايام وفاة زوجي حين كان الاخرون يتفرجون .

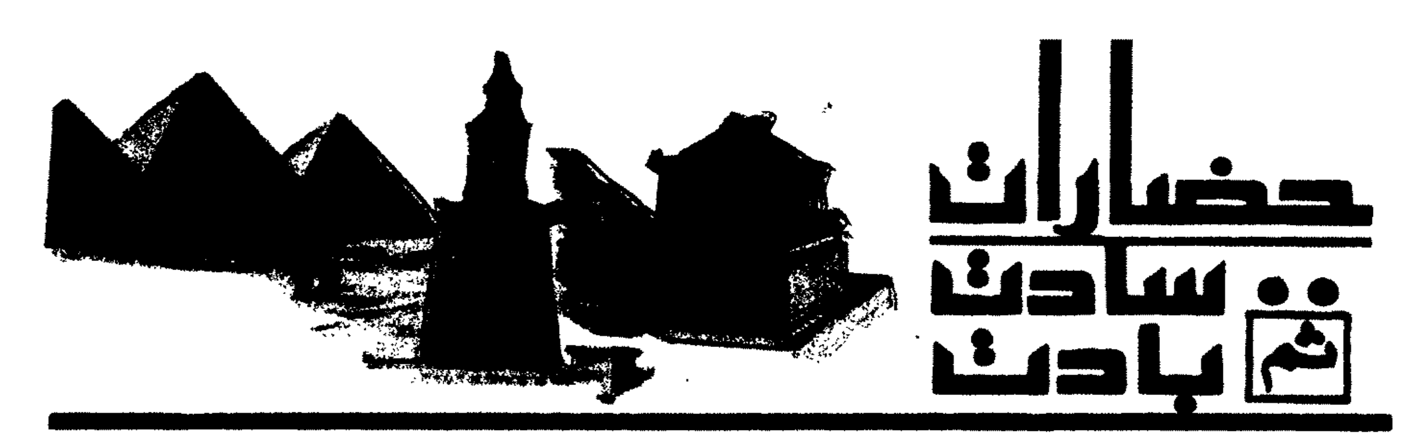
وعطى نديف الثلج الوجوه والأرض المعشوشبة ، وذوائب الأشجار ، ووقف الكلب على مسافة يرمق الجسد الهابط الى الظلام بسكون .

وفي اليوم التالي رأيت الكلب - من النافذة - يتحرك متعثرا برجليه القصيرتين ، مخترقا الشارع المؤدي الى خارج المدينة ، قاطعا ثلاثة أميال - قطرة ماء تذوب ، وكان المطر يتساقط . □

عندما تتحدث المرأة

التقت إحدى السيدات بالكاتب والمؤلف الانجليزى الساخر برناردشو فى حفل خاص ، وما كادت تجلس معه حتى انطلقت تروى له حكاية طويلة بلا نهاية . . ولكنها ما لبثت أن توقفت فجأة عن الحديث وقالت : « أرجو ألا أكون قد أثقلت عليك ، فما زال للقصة بقية ! » .

وقال شو مبتسما : أبدا يا سيدتى استمرى فى حديثك . فأنا مشغول فى التفكير فى القصة الجديدة التى سأكتبها ! هل تعرفين ماذا سيكون عنوانها ؟ إنها قصة من وحى التجربة التى أعيشها هذه اللحظة « عندما تتحدث المرأة الى رجل أصم ! » .



اعداد : يوسف زعبلاوى

حضارة نمرود داج في الأناضول

الاسم هنا لا يدل على شخص بل على جبل . . هو ذلك الجبل المقدس الذي يقع في منطقة كوماجين في الأناضول . . بالقرب من الحدود بين سوريا وتركيا . . ومن مجرى نهر الفرات المحاذي لتلك الحدود .

ومنطقة كوماجين منطقة جبلية يتجلى فيها عنفوان الطبيعة وتكثر فيها الجبال الشاهقة الكئيبة ، فهي جبال عارية ترتفع وسط صحراء مقفرة فهي بالتالي قليلة السكان وتكاد ان تكون غير مأهولة . هذا بخلاف ما كانت عليه المنطقة في الماضي ، فقد غطتها الغابات وازدحمت بالسكان ، واثرت من موقعها على مفترق الطرق التجارية ومن ثرواتها المعدنية التي شملت الفضة والنحاس والرصاص . .

والجبل المقدس أو نمرود داج هو أعلى جبال المنطقة . ويبلغ ارتفاعه ٢٠٠٠ متر ، وهو أشهرها بلا جدال ، وقد استأثر بعدد كبير من التماثيل التي تناثرت على سفوحه وفوق قمته ، والتي لا مثيل لها في العالم أجمع ، فهي تماثيل عملاقة تفوق في ضخامتها تماثيل اليونان والرومان ، وتماثيل القمة منها أضخم من تماثيل السفوح اذ يبلغ طول الواحد منها ٩ ـ ١٢ مترا ولا يقل طول الوجه وحده عن مترين أو يزيد ، وهي خمسة نحتت في الصخور . . بينها تمثال الملك وتحيط بها تماثيل الأسود والنسور .

ويتوج قمة الجبل المقدس بناء هرمي الشكل من حجارة مطحونة لايواء جثمان ملك كوماجين الملك انطيوخوس الأول وذلك وفق وصية هذا الملك الذي اختار تلك البقعة لدفنه نظرا لتعلقه بالخلود ولاعتقاده بأن الذرا الشامخة أوثق صلة بالخلود وأضمن سبيلا اليه . .

والعجيب في أمر منطقة كوماجين هذه ، أن تاريخها يعود الى القرن السادس أو السابع قبل الميلاد ، وكان المفروض ان تظهر على مسرح التاريخ ، في ذلك الماضي السحيق نظرا لثرواتها



ـ رؤوس التماثيل المنثورة على سفوح الجبل الشرقية والغربية ، والغريب ان هذه الرؤوس تمثل في الغالب آلهة اغريقية
كن غطاء الرأس الذي ترتديه ليس اغريقيا بل انه شرقي ، وهو نفس الغطاء الذي يظهر على تماثيل الاله ميثراس .

المعدنية وموقعها التجاري الممتاز .. ولكن موقعها السياسي غير الممتاز هو الذي أبقاها طي الكتمان طوال تلك القرون .

ذلك ان كوماجين وقعت بين امبراطوريتين عظيمتين هما امبراطورية فارس التي ازدهرت في القرن السادس ق . م وامبراطورية الاسكندر الأكبر التي امتدت عبر القارات في القرن الرابع ق . م ، وقد خضعت كوماجين لكلتا القوتين ولم تملك الا أن تكيف نفسها وفق رغباتها في فترة

خريطة نمرود داج

الفراغ النسبي ، فترة القرن الخامس قبل الميلاد . . .

وبدأت كوماجين الخروج من مجاهل التاريخ والتحرر من نفوذ امبراطورية الاسكندر عندما بدأت تلك الامبراطورية في الانحلال ، وذلك في القرن الأول قبل الميلاد ، وشاءت الأقدار أن تكون الامبراطورية الرومانية قد أخذت في الظهور والخروج على مسرح الأحداث لا بوصفها دولة بين الدول ، وانما باعتبارها امبراطورية العالم الوحيدة التي لا ينافسها على حكمه منافس .. وما أسرع ما احتلت جيوش الرومان أقاليم آسيا الصغرى الواحدة بعد الأخرى .. حتى اذا ما وصلت تلك الجيوش الى منطقة كوماجين توقفت .. غير ان توقفها لم يكن بسبب حصون كوماجين وقلاعها ، ولا بسبب جيوشها وأسلحتها .. وانما كان تبعا للحكمة أو الدبلوماسية التي تحلى بها ملكها الملك انطيوخوس الأول (سنة ٦٩ ـ سنة ٣٤ ق . م)

ولا يعرف بالضبط ، ولا بالتفصيل الكيفية التي حافظ بها هذا الملك على سفينته وحال دون غرقها في البحار العاصفة التي غالبا ما رافقت



ـ رأس (تيخه) الهة الحظ . . وهـو رأس عملاق يبلغ ارتفـاعـه متـرين . . وتجتمـع فيـه انمـاط الفن الاغريقي والفن الفارسي كما اجتمعت دائما في تماثيل نمرود داج التي تعود الى القرن الاول قبل الميلاد .

حكم الرومان . وثمة دليلان قاطعان على أنه أدى المهمة خير أداء . أولهما خزينة المملكة التي تركها مليئة بالكنوز والأموال عند موته ، والثاني بلدة ارساميا التي أقامها في بطن الوادى الذي يطل عليه الجبل المقدس نمرود داج . أقامها وأقام فيها ـ كما يقول الملك نفسه ـ القصور الجديدة والأسوار . . بقصد تجميلها وتحصينها ، وأقام خزانات للماء جديدة بالقرب من المنازل بحيث تصل الأنابيب بين هذه وتلك ، فينعم السكان بماء الفرات القادم من الينابيع . .

ومن أطرف معالم هذه البلدة المندثرة العمود الذي توّجهُ نسر سموه قرقوش (أي العصفور الأسود) ، وقد دلت النقوش والكتابات على ان العمود يمثل ضريحا دفنت فيه ثلاث نساء من دماء ملكية . .

وغنى عن البيان ان المعتقدات الوثنية هي التي طغت على حضارة كوماجين فالاله ميثراس إله نور الشمس هو إلههُمْ المفضل ، وهو من آلهة الفرس القديمة . . وقصة هذا الاله باختصار هي أنه لاحق الثور وواصل ملاحقته حتى تمكن منه وذبحه ، وعندها كانت عربة الشمس المضيئة في انتظاره فركبها ميثراس وارتفع بها الى السماء . .

وانتقلت عبادة ميثراس من كوماجين الى روما ، واكتسحت شتى أرجاء الامبراطورية ، وكان ذلك في الأثناء التي انتشرت فيها تعاليم المسيحية في تلك الامبراطورية ، ولطالما قامت المقارنة أو المفارقة بين السيد المسيح وميثراس في مجالس الرومان ، فهما نظيران في اجتهادهم ، وقد ارتفعا في النهاية الى السموات العُلا . .

ولكن الرومان عبدوا الها آخر ذا صلة بكوماجين هو الاله جوبيتر دوليشوس الذي جاء في دوليش ، وهي الأقليم الواسع الذي يضم كوماجين . واشتهرت دوليش هذه بنوع من الحديد درجوا على استخراجه منها . . فالاله المذكور انما جاء من دوليش هذه وقد امتطى ظهر ثور كما تصوره الرومان وصوروه .

بيد ان استقلال كوماجين انهار سنة ٧٢ م . . حين ضمتها روما الى امبراطوريتها واعتبرتها جزءا من مستعمرتها آنذاك ، سوريا . وقل مثل ذلك في الجبل المقدس وآثاره ، فقد اعتراها الاهمال ولم يغفل عنها جنود الرومان أو لصوصهم .

بقى ان نذكر ان المنطقة مهددة بخطر جديد من نوع آخر . انه خطر السد المزمع انشاؤه فيها ، فهو كفيل بالقضاء على آثار المنطقة ما لم تبذل الجهود الفعالة من أجل انقاذها على نحو ما بذلت لانقاذ آثار معابد أبي سنبل حين هددتها مياه السد العالى . . على أن آثار الجبل المقدس جبل نمرود داج وبخاصة تلك التي تعلو قمته فى مأمن من السد الجديد ومياهه ، فمهما بلغ ارتفاع هذه المياه فانها لن تغمر الجبل الشامخ الذي لا يقل ارتفاعه عن ٢٠٠٠ متر . . □



■ كل ما حققه الانسان اليوم ، لم يكن بالأمس أكثر من مجرد خيال .

« وليم بليك »

■ العلم هو العلاج الوحيد الذي يمكن أن يقضي على الخرافات .

« آدم شميث »

■ الرأي العام قوة خفية لا يمكن مقاومتها .

« نابليون »

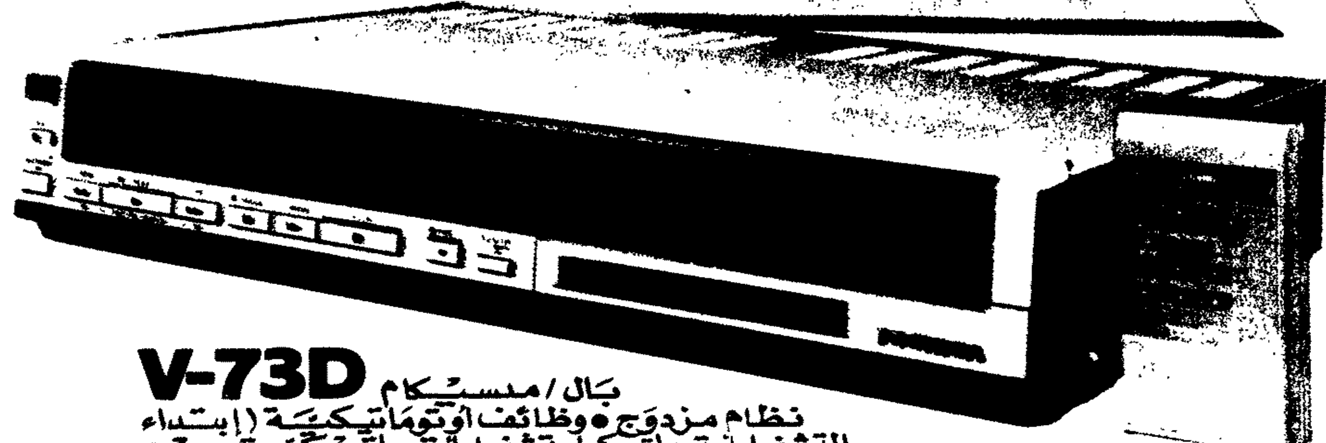
73D الجديد

صنع باليابان

VHS

إنه فيديو VHS الجديد
الذي يوفر أداء توشيبا
ذو الجودة العالية مع
وظائف أوتوماتيكية ومنظم أوتوماتيكي
للتيار الكهربائي. ولكنه ليس
الوحيد، فإن مجموعة مسجلات
فيديو كاسيت VHS وبيتامن توشيبا
ستضيف الجودة والبهجة إلى
حياتك، توشيبا تدخل
التكنولوجيا إلى حياتك.

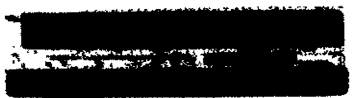




V-73D

بال / مسيكام
نظام مزدوج • وظائف أوتوماتيكية (إبتداء
التشغيل أوتوماتيكيا، تشغيل أوتوماتيكي، ترجيع
أوتوماتيكي، ترجيع وإيقاف التشغيل أوتوماتيكيا)
• مؤقت مبرمج لـ ٧ أيام / ٤ برامج • نظام بحث عن الصورة
متقنم • حركة تشغيل بطيئة سرعة ١/٥ • تحكم عن
بعد لاسلكيا • منظم أوتوماتيكي للتيار الكهربائي.

V-57TR



VHS

بال / ميسيكام / أن تي أس
سي ٤٣ و٤ ميجاهرتز
٣ أنظمة • مؤقت مبرمج لـ ١٤
يوم / برنامج واحد • نظام
اختيار الفولت • تحكم عن
بعد لاسلكيا بعدة
طرق.

V-53TR



Beta

بال / سيكام / أن تي أس
سي ٤٣ و٤ ميجاهيرتز
٣ أنظمة • مؤقت مبرمج لـ ٧ أيام /
٤ برامج • تحكم عن بعد لاسلكيا
للتيار الكهربائي • تحكم عن بعد
لاسلكيا ١٤ وظيفة • منظم
أوتوماتيكي للتيار الكهربائي.

V-51D



Beta

بال / سيكام
نظام مزدوج • مؤقت
مبرمج لـ ٧ أيام / برنامج
واحد • منظم أوتوماتيكي
للتيار الكهربائي • تحكم
عن بعد ٩ وظائف.

TOSHIBA

TOKYO JAPAN


مجلة الأسرة والمجتمع
أنت والآخرون.. زمالة عمل.. أم صداق



أنتِ والآخرون

زمالة عمل .. أم صداقة إنسانية ..

بقلم زينب الكردى

« رغم ان المرأة قد خرجت الى العمل منذ زمن طويل ، الا أنَّ علاقتها بزملائها ما زالت قضية ساخنة ، يدور حولها حديث ونقاش واجتهاد لا ينتهى » .

حتى مرحلة زمنية قريبة ، لا تتجاوز الربع قرن ، كانت علاقات المرأة الاجتماعية ضيقة جدا ، ومحصورة داخل نطاق أسرى محدود ، لا يتجاوز دائرة أقاربها من الدرجة الأولى أو الثانية ، على أكثر تقدير . . أما الآن ، بعد أن اتيحت فرص التعليم بجميع مستوياته أمام المرأة ، وبعد أن ساعدها هذا التعليم على اقتحام كل مجالات الحياة العلمية والعملية ، انقلب الوضع وأصبحت علاقات المرأة الاجتماعية تشكل حجر الزاوية في بناء شخصيتها ومستقبلها مهنيا واجتماعيا ، لذا كان من الطبيعى أن يشكل هاجس احتمال الفشل فى تكوين علاقات قوية ومتوازنة مصدر قلق لايستهان به بالنسبة لأى خريجة حديثة تقف على أعتاب حياتها العملية لأول مرة . وقد يفسر هذا القلق على أنه دليل ادانة ضد المرأة ، يثبت عدم نضجها وقلة خبرتها بالحياة والناس ، أو عدم أهليتها لتحمل مسئولياتها خارج نطاق البيت ، الا أنه فى تصورى يثبت العكس تماما ، إذ يدل على حدة شعور المرأة بالمسئولية تجاه ما ينبغى أن تكون عليه صورتها فى عيون الآخرين ، كما يعنى وجود رغبة حقيقية لديها فى السعى لتحقيق الأفضل دائما على المستويين المهنى ، والاجتماعى ، خصوصاً فى زمن تكلست فيه قيم الماضى الجميلة . . زمن أصبحت فيه الازدواجية فكرا وسلوكاً ، هى الأصل وما عداه استثناء ، ما يقال فى العلن يختلف ـ ربما الى حد النقيض ـ عما تضمره النوايا ، ولم يعد الانسان يأمن ان تأتيه طعنة الغدر حتى من أقرب الناس اليه . . .

مقاييس وحدود

هل يعنى هذا الكلام أن نجاح المرأة العاملة فى تكوين علاقات زمالة سوية تُجنبها ألسنة السوء،أو سوء الفهم مسألة مستحيلة ؟ . . طبعا لا . . فالنجاح ممكن بشرط أن تفرقى ـ عزيزتى المرأة ـ منذ البداية بين الصداقة وبين الزمالة . .

فى الزمالة أنت لا تختارين زميلك أو زميلتك ، فالظروف المهنية وحدها هى التى فرضتهما عليك ، وأيًا كانت شخصية هذا الزميل أو ذاك . . مهما كان التباين بين تركيبتك الشخصية وتركيبتهم ، لا مفر

أمامك من التعامل معهم وفى داخلك حد أدنى من الرغبة فى التكيف معهم وقبولهم بما هم عليه .

الزمالة تتطلب منكِ أن تكونى بسيطة فى تعاملك ، بمعنى أن لا تتعاملى من منطلق سوء النية . . وتذكرى أن أبسط قواعد العدالة تقرر أن الانسان برىء حتى تثبت ادانتـه ، وهـذا لا يعنى أن تمنحـى ثقتـك المطلقة . . الاعتدال هوالمطلوب ، الاعتدال هنا لا يعنى الا شيئا واحدا ، هو أن تلتزمى فقط بالأصول فى كل شىء ، وأن تبتعدى عن كل ما يمكن أن يثير ريب الآخرين أو حنقهم عليك،كأن تتعاملى مع زميل من منطلق الشك ، فتثيري غيظه وحنقه عليك ، وربما دفعـه هذا الغيظ الى ايـذائـك فعـلا عنـدمـا تحـين الفرصة .

أيضا فى محيط زمالات العمل لا ينبغي أن يكون هناك أى مجال للانفعال المفاجىء أو المبالـغ فيه . . مثلا لا داعي لأن تحتدى وترفعى صوتـك عاليـا اذا أخـطأ أحد الـزملاء أو الـزميلات . . ضبط النفس لحظة الانفعال مسـألة ضـرورية،ومـطلوب أيضا أن تؤجلى النقاش فى الأمر برمتـه لليوم التـالى ، حتى تعـطى لزميلك ولنفسـك فرصـة مراجعـة الذات ، وعندما تقررين مناقشة الأمر ، فليكن ، بشرط أن لا يكون داخلك رأى مسبق أو اتهام داخلى بأن الخـطأ كان متعمدا ، أو أن ثمة من حرّض عليه . . الحوار فى هذه الحالة لن يجدى ، لأن ما يبنى على افتراضات خاطئة لن يؤدى الا لمزيد من الأخطاء ، لذا ينبغى أن تنـاقشى الأمـر بشكـل هـادىء ومحـايـد . . ومن يدرى . . قد تكتشفين أنكِ أنت التى دفعتِ زميلك للخطأ بحسن نية . . أو ربما كنتِ أنت المخطئة وليس هو ، وفى هذه الحالة لا أعتقد أنكِ بحاجة لمن يطالبك بالاعتذار وتوضيح حسن نيتك ، حتى لا تتركى فى أعماق الطرف الآخر أى رواسب نفسية قـد تتراكم داخله مع الوقت ، وربما أدى هذا الى تعاطف باقى الزملاء معه وينتهى الأمر بك لأن تجدى نفسك محاطة بدائرة من الأعداء الذين سيتربصون بك .

معاملة زملاء العمل :

كيف تتعاملين مع زملائك من الرجال ؟ سؤال قد يبدو من السهل الاجابة عليه ، وقد تكابر الفتـاة ، وترد قائلة بثقة : ليست هناك مشكلة ، لقد التقيت بهم فى محيط الأسرة . . وفى الجامعـة ، وكنت دائما أتصرف بشكل ممتاز ، إلاّ أنه رغم هذه الثقة الظاهرية فإن هذه النقطة بالذات تؤرق الفتاة الى حد كبير ، ففى السـابق كان من السهـل على الفتـاة أن تحسم المشكلة بأن ترفض التعامل نهائيا مع الشـاب الذى يضايقها ، أما فى حالة زميل العمـل فالأمـر يختلف تماما . . هنا هي مجبرة على التعامل معه والاحتكاك به يوميا ، وهذا يعنى أنه لا بد من وضع أسس ثابتة تحدد طبيعة هذه العلاقة منذ اللحظة الأولى . . . .

وبداية علينا أن نعترف بواقع مؤلم ، لكنه حقيقة واقعة للأسف . . تلك الحقيقـة تقول أن ٧٠٪ من شباب مجتمعاتناالعربيـة يرددون ـ فى وجـود الفتاة ـ شعارات براقة وجميلة جدا عن قدسيه الـزمالـة . . وأخوة العمل . . وجـو الأسرة الـواحد و . . و . . و . . الـخ،مجرد كلمـات لا تطبقهـا الا قلة بسيـطة جدا ، وحتى هذه القلة عادة ما تكون من فئة كبـار السن ، ممن تجاوزوا الأربعين ، أو من الآباء الذين لديهم بنات فى طور البلوغ ، وما يحدث هو أنه بمجرد أن تختفى الفتـاة من أمامهم حتى تصبـح لكلمـاتهم التقدمية هذه طعم ، ومضمون آخر ، ولو أتيح لأى فتاة أن تحضر جلسة رجالية خاصة ومغلقة لأصيبت بالجنون ، مما ستسمعه من تعليقات ونكات و . . . و . . .

لكنك فى النهاية ـ ومهما كانت مرارة هذا الواقع ـ جزء من النسيج الاجتماعى العام ، وليس أمـامك لتحمى نفسـك من سلبيات هـذه الازدواجيـة ، وسياسة هذه « نقرة » وتلك « نقرة » أخرى ، الا أن تلتزمى بقوانينـك الخاصـة التى هى فى نفس الوقت انعكاس لما يـدين به العـرف والمجتمع ، . . مثـلا لاتنفتحى تماما على مجتمع زملاء العمل الرجال ، ولا تهدمى الحواجز بينك وبينهم ، ودعى حاستك كأنثى تساعدك على ايقاف كل من يحاول أن يتجاوز حدوده معـك عند حـده . . لا تدعى لحـظة صفاء عـابـرة تستخفك ، فتمزحين مع هذا ، وتبادلين النكات مع ذاك ، ففى محيط العمـل لامجال لأى حـوار ، إن لم يتحول الى شريحة انتاجية ، والأهم من هذا كله هو أن لا تحتمى فى أنوثتك مهما كانت المبررات .



أوقات الراحة

بعض الموظفات لا يحتملن تأجيل العمل أو التباطوء في انجازه ، وبالتالي كثيرا ما تجد الموظفة نفسها في حالة راحة مؤقتة ، مما يدفعها الى ترك مكتبهاوالتجول هنا وهناك ، تسأل هذه عن آخر الأخبار ، وتلك عن آخر خطوط الموضة ، وتنسى أن هناك عملاء لا يمكنهم أن يستوعبوا الا ما يرونه بأعينهم ولا يعلمون انها انجزت عملها الخاص بها ، وبالتالي قد يفسرون سلوكها هذا على أنه استخفاف بوقتهم وبمصالحهم .. تنسى أيضا أنها قد تكون الوحيدة التي لديها ماتفعله ، وأن تجولها هذا هنا وهناك يكون على حساب زميلاتها ، ويتسبب في تعطيلهن ، وبالتالي تعطيل مصالح الناس . . .

وبالمناسبة أحب أن ألفت انتباهك لأهم عيب تعاني منه التجمعات النسائية ، الا وهو النميمة ، .. ابتعدى تماما عن هذا الفخ ، ولا تشجعي أي زميلة لك على الخوض في سير الآخرين ، ولا تستسلمي لاغراء الاصغاء بدافع خفي من حب الفضول والرغبة في معرفة أسرار الناس ، وتذكرى حقيقة مهمة جدا ، وهي من تتناول الآخرين في غيبتهم لن تستثنيك أنت أيضاً في لحظة ما ، ومن يدري لربما خشيت مغبة أن تنقلي أنت ما سمعته لصاحبة الشأن ، فسارعت الى إلصاق تهمة القيل والقال بك ، واتهمتك بكل كلمة قالتها هي لتنجو على الأقل ، لتحمي نفسها في حالة ما اذا تناثر الكلام هنا أو هناك .. لاتأمني لهذه النوعية ، وضيقي نطاق معاملاتك معها قدر الامكان ، وحتى لو كانت هناك زميلة تثقين فيها ، تجنبي أن تذكرى أمامها مايمكن أن يسيء لزميل أو زميلة ثالثة ، لأن هذا السلوك غير اخلاقي أولا ، ولأن أصدقاء الأمس قد تتحول مواقفهم وعواطفهم لسبب ما .. أيضا لا تجرحي شعور الآخرين بدعوى أنك صريحة و « دوغرى » ..

هناك دائماخيط رفيع بين الصراحة وقلة الذوق ، ولا أعتقد أن انسانة ذكية مثلك لا يمكنها التفريق بينهما،ثم ان الصمت أحيانا يكون أبلغ من أى كلام . . .

أنتِ ورؤساؤك

معظم الموظفات - وبخاصة الحديثات منهم - يشعرن بالارتباك في مواجهة رئيس العمل ، الا أنهن مع تعدد التجارب والاحتكاك اليومي يكتشفن أن نجاح الموظفة في علاقتها برئيسها مرهون بمدى ثقتها في نفسها وفي قدراتها ، كموظفة تستوعب كل تفاصيل العمل ، وكلما توفرت هذه الثقة كلما أصبحت علاقاتها بالرؤ ساء جيدة ومتوازنة ويسودها الاحترام . . .

الا أن بعض الموظفات يتبعن - أحيانا - أسلوبا ملتويا في علاقاتهن برؤ ساء العمل ، ويعتمدن على أشياء كثيرة ليس من بينها الكفاءة المهنية للأسف .. هل تريدين أمثلة .. ؟

مثلا هناك موظفة تفوز بوظيفة معينة نتيجة للواسطة ، أو لأنها ابنة فلان أو علان .. هذه الموظفة تنسى أن الواسطة ، وان ساعدتها في الحصول على وظيفتها ، الا أنها لن تثبت ابدا بعد ذلك أحقيتها في الاستمرار فيها ، أو حتى في اكتساب احترام رئيسها بل وزملائها . . .

هناك نوع آخر من الموظفات ، تختار الواحدة منهن أسلوب التبعية الكامل ، كي تحظى بمجرد نظرة رضى من رئيسها ، وما يستتبع ذلك طبعا من علاوات ومكافآت .. الخ ، وقد تصل هذه التبعية الى درجة تجد فيها الموظفة نفسها مضطرة لموافقة رئيسها على كل ما يقوله أو يفعله ، حتى لو كان منافيا لأبسط حقوق العدالة والقانون ، ومع الوقت تتحول الى أداة طيعة في يد الرئيس الذى عادة ما يستغل هذا لتحقيق مآربه ومصالحه الخاصة ،وبغض النظر عن الضرر الذي يمكن أن يعود عليها ، وما اكثر المآسي التي نسمع عنها ، والتي تدور معظمها عن رجال في مواقع المسئولية اختلسوا .. وارتشوا وفي النهاية حملوا كل آثامهم وأوزارهم لموظف مسكين ، كان كل ذنبه أنه صمت في اللحظة التي كان ينبغي فيها أن يتكلم ..

هذا لا يعني أن تناصبي مديرك العداء ، بالعكس . . مطلوب أن تكسبي ثقته وتقديره بشرط أن لا تخسري نفسك . . دعي عملك وحده وانضباطك في كل ما يصدر عنك يفرضك على رئيسك . . قد لا تكونين ذات حظوة كتلك التي اختارت وسائلها الخاصة في الاقتراب منه . . وقد يستثقل ظلك ، لكنه سيحترمك قطعا أكثر منها بينه وبين نفسه . . لا تتعجلي النجاح ، وخففي من صوت طموحك الجامح ، فما يأتي بسرعة يذهب بسرعة . . لتكن خطواتك متأنية راسخة ، لكنها في الوقت نفسه قائمة على أساس متين وقوي من التقدير الاحترام . . . .
عزيزتي العاملة . .

ما العمل اذا كان رئيسك يمت اليك بصلة قرابة أو نسب أو ما إلى ذلك . . هل تتصرفين بشكل عادي دون الاشارة لهذا الموضوع وتبذلين جهدا يفوق جهد الآخرين ، أو على الأقل مساوياً لهم ، أم أنك ستجدينها فرصة وتتباهين أمام الكل بهذه الصلة ، ليخافوا منك ويعملوا لك ألف حساب . . .

أعتقد أنك ستتصرفين بالطريقة الأولى ، لأنك لو تفاخرت وتباهيت أمام زملائك ستدفعينهم دفعا الى النيل منك ، مهما كانت درجة كفاءتك عالية ، ومهما بذلت من جهد ، وحتى العلاوات والترقيات التي ستنالينها ، لأنك تستحقينها فعلا ستثيرهم ضدك وسيحاولون الايحاء بأنها نوع من المحسوبية وتذكري انك بالنسبة لهم قريبة « البيك » المدير . . أي أنك في نظرهم عينه التي ترى وأذنه التي تسمع ، وضميره الذي يحكم ويقيم ، وهذا معناه أنهم سيتعاملون معك بحذر شديد ، وسيحاولون اخفاء أي حدث يمكن أن يسيء لواحد منهم ، تحسبا من وشاية مفترضة أو متوقعة ، . . وربما عمد كل منهم الى التقرب منك ، وكسب ودك وثقتك ، لمجرد أن تنقل انطباعك الطيب عنه للسيد « المدير » مع أنك لست من هذا النوع الذي يقوم بنقل الأخبار والوشاية بزملاء العمل . . فكرة ظالمة ، لكنك مجبرة على معايشة هذا الوضع ، وتلك الفكرة حتى تبرهني لهم بالتدريج أنك موظفة لا تختلف عنهم في أي شيء . . لا تحاولي الدفاع عن نفسك بالكلام ، لأنه لن يجدي ، بل دعي الواقع والتجربة تبرأ ساحتك

المدير . . إمرأة

ثمة نقطة شبه أخيرة في هذا الموضوع ، وأعني بها تلك الحساسية المفرطة اذا كانت الرئيسة امرأة . . .

المرأة « المديرة » موضع سخط الجميع ، فالرجال لا يقبلون برئاستها الا كارهين ، لأن القوامة في نظرهم يجب أن تكون للرجل وليس للمرأة . . والنساء أيضا يتضايقن منها ، ربما لشعور داخلي في أعماقهن بأنها ـ بحكم المنصب ـ في موقف الأعلى والأكثر تميزا . . . وهي حساسية ليس لها ما يبررها بالنسبة للمرأة العاملة بالذات ، لأن السلم الوظيفي مجموعة من الدرجات تسلم كل منها للأخرى ، ورئيستك تلك التي تتهمينها بأنها لا تجيد الا فن الأوامر والنواهي والحركات الاستعراضية ـ هي نفسها مرؤ وسة من موظف أو موظفة أخرى . . وهكذا . . . وهذا التسلسل الوظيفي ضروري لانضباط العمل وتوزيع الاختصاصات والمسئولية لضمان حد أدنى من الأخطاء ، وللحد من الفوضى التي تؤدي لانهيار كيان الدولة وضياع مصالح الناس . . أنت اذن لبنة في صرح عظيم ، وهي أيضا مثلك لبنة في نفس الصرح ، كل ما هنالك أن مكانها جاء بحكم تجاربها وخبرتها في منزلة أعلى قليلا منك .

والآن دعينا نتكلم عنك أنت . . عن مظهرك الخارجي وما يجب أن يكون عليه . . .

ان الكلمة الوحيدة التي يمكن أن تشمل كل ما يمكن أن يقال هي : البساطة .

البساطة في كل شيء ، في المكياج ، تسريحة الشعر ، الزي ، طريقة الكلام . . لا تقعي في الخطأ الذي تقع فيه الكثيرات عندما يذهبن الى مكاتبهن وكأنهم ذاهبات الى عرض أزياء . . كل يوم فستان وكل يوم تسريحة جديدة . . هذه الحركات الاستعراضية تثير سخرية زملائك وتعليقاتهم لا لن ترحم ، والتي ـ وهذا هو الأهم ـ لن تسمعيها أبدا . □



العناية بأقدام الأطفال تجنبهم آلاما كثيرة

إعداد : على حسين فياض

« كلنا قد عانى من آلام الأقدام ، وآثارها ، لكن القليل منا من يعرف أن الآلام سببها عدم الاهتمام بالقدم منذ الصغر » .

لصغار السن أقدام مرنة ، وطرية جدا ، وأرجل قابلة للتشوه بسهولة من خلال عادات النوم غير السليمة ، إذ ليس من الصحيح ترك الطفل نائما على ظهره وهو مرتد ملابس مشدودة حول قدميه . إضافة إلى ذلك يجب ألا يرتدي الأطفال أية أحذية الى أن يبدأوا المشي دون مساعدة ، فقد تكون الأحذية التي يرتديها الأطفال وهم في عرباتهم عائقا أمام النمو الطبيعي لأقدامهم . لذلك فمن الأفضل إرتداء الجوارب ، أو الملابس ذات القطعة الواحدة التي تغطي القدمين أيضاً ، شريطة أن يتم فحصها بصورة منتظمة . للتأكد من كونها مازالت كبيرة الحجم وواسعة . وعند الحاجة لابأس من ارتداء البدلة الكاملة مع قص الأجزاء الخاصة وارتداء الجوارب تعويضاً عنها .

ويفضل عدم تشجيع الطفل على المشى بصورة مبكرة ، لأن الطفل بفطرته يدرك الوقت الذي تكون فيه قدماه ورجلاه قويتين بصورة كافية . إن خطوات الطفل الأولى هي خطوات قصيرة وقلقة ، فهو يمشي وقدماه مبتعدتان عن بعضهما بصورة ملحوظة ، وعادة ما تنتهي محاولاته الأولى بالاستناد على الارض بمقدمة قدميه . إن مجرد التفكير في هذا الأمر يقود إلى الاستنتاج بأنها طريقة معقولة جدا تلك التي يتبعها الطفل لحفظ توازنه ، وبأنه ليس هناك مايبرر القلق بشأنها . وعندما يصير الطفل في حالة ثقة تامة بقدرته على المشي يبدأ بتقريب قدميه لبعضهما لتاخذا وتيرة المشي الطبيعي .

إن قدمي الطفل الناشىء لينتان ومفعمتان بالنشاط لذلك باستطاعته تحريكهما باتجاهات لايستطيع أن يوجهها إليها الأطفال الأكبر سنا ، أو الناس الناضجون ، إن هذا المدى من الحركة طبيعي ، والمحافظة على نشاط العضلات بهذه الحيوية مسألة هامة لحفظ القدم قوية وصحيحة ، لذلك يجب تشجيع ضروب نشاط القدم الحافية .

أقدام الأطفال القادرين على المشي

عندما يحاول الطفل المشي لأول مرة تبدأ عظام قدميه بالتكون بشكل جزئي فقط ، ولكون قدميه ناعمتين جدا ، وطريتين للغاية ، فإنهما يمكن أن تتشوها بواسطة الأحذية المعوقة للحركة ، والثقيلة ، وغير الملائمة ، كما يمكن أن تتشوها بواسطة الجوارب الضيقة .

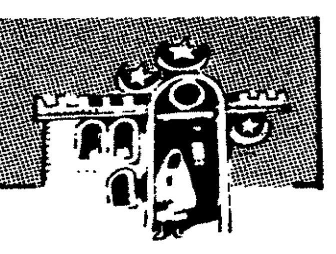


جرت العادة على بذل الجهود الحثيثة للفت الانتباه إلى ما يرتكب من أخطاء عند العناية بأقدام الأطفال . إذ يبدو للعيان ـ على سبيل المثال ـ أن غالبية الأطفال لهم أقدام مسطحة مسحاء ، وذلك لأن قدم الرضيع تبدو ممتلئة لكونها ملبدة بالشحوم لدرجة لايظهر معها قوس القدم ، مع ذلك نلاحظ أن قوس القدم تبرز بوضوح عندما يقف الطفل على أصابع قدميه للحصول على شيء ما . فاذا ظهرت على عظم الكاحل علامات الانحدار نحو الداخل بدرجة حادة ، وبدت على الطفل علامات الصكك (أي التواء الرجلين نحو الباطن بحيث تتدانى الركبتان) ، عند ذلك يستوجب الأمر استشارة الطبيب ، لكن بصورة عامة ينمو الطفل الطبيعي دون وجود هذه الأعراض .

يجب غسل أقدام الأطفال كجزء من الاغتسال (الروتيني) اليومي باستخدام الماء والصابون العادي ، واستعمال مسحوق الأطفال (البودرة) بين أصابع القدمين ، مع ضرورة التأكد من ارتداء الجوارب النظيفة يوميا ، كما يجب تقليم أظافر القدمين بصورة منتظمة ، على ألا يتم قطعها بصورة قصيرة جدا ، بل يجب أن تستند الأظافر على حاشية لب الأصبع ، ويجب ألا تقطع زوايا الأظافر مطلقا ، وألاتستخدم آلة حادة أبدا في تنظيف جوانب الأظافر ، فاذا تجمعت الأوساخ على جوانب الظفر أمكن تنظيفها باستخدام فرشاة ناعمة .

وقد تستدعي حالات ظهور مسامير القدم ، والتصلبات الموضعية الأخرى في بشرة أصبع القدم استشارة اختصاصي لمعالجتها . ومن المهم معرفة سبب المشكلة ومعالجته .

فاذا ساورت المرء الشكوك في أن طفله يعاني من وجود نتوء صغير (ثؤلول أو مايصطلح على تسميته باسم فيروكا) ، عندذلك يتطلب الأمر تغطية ذلك



النتوء باللدائن (البلاستيك) اللاصقة ، مع عدم السماح للطفل بالقيام بأية حركة وهو حافي القدمين ، إلى أن تتم معالجة هذه الحالة بنجاح ، فإذا اتبع كل فرد هذه الطريقة سيتم حينئذ التقليل من انتشار عدوى هذه الحالة بصورة كبيرة ، وكلما تمت معالجة النتوء بصورة مبكرة كانت المعالجة أكثر يسرا وسهولة .

الاهتمام بالجوارب

يساعد تنظيف الجوارب يوميا على حفظ الجلد سليما ، وتؤدي الجوارب الضيقة المنكمشة إلى نمو عظام الطفل بصورة ملتوية ، لذلك يقتضي أن تكون مختلف أنواع الجوارب التي يرتديها الطفل واسعة بما فيه الكفاية ، كي يتمكن من سحبها لافساح المجال المطلوب لنهايات أصابع القدمين .

إن هذا ينطبق بصورة خاصة على الجوارب المطاطة المرنة التي يتوجب أن تكون مناسبة الطول ، بحيث تلائم القدم دون أن تكون هناك حاجة لأن يمط الجورب نفسه بنفسه . وعندما تغسل الجوارب يجب سحبها ومطها كي تأخذ شكلها الصحيح . كما أن الغسل الدائم الذي تبذل فيه العناية اللازمة يطيل في عمر الجوارب .

ما الذي يتوجب أن تبحث عنه ؟

تساعد الأحذية المرنة التي تنطوي بسهولة مع القدم على الخطوة الطبيعية الخفيفة ، فالأحذية يجب أن تكون لينة مطواعة على الأخص لمناطق القدم التي تنحني فيها مفاصل الأصابع ، لكنها يجب أن تكون صلبة عند الساق وقوس القدم ، وتفضل الأحذية ذات المشد (الرباط) ، أو ذات الشريط الذي يمكن تعديله ، وذلك لأنها تحتضن القدم بثبات إلى مؤخرة الحذاء ، وتمنعها من الانزلاق الى الأمام بصورة تؤدى إلى تقييد أصابع القدمين في مقدمة الحذاء .

تصنع جميع الأحذية بقياسات مختلفة ، وبوحدة نصف الحجم لكل قياس ، كي تلائم القدم العنيفة أو العادية أو العريضة . وعندما يتم قياس حجم قدم الطفل يتوجب أن يكون واقفاً ، لأن القدمين يجب أن تقاسا دائما وهما محملتان بوزن الطفل نفسه .

أين يجب أن تبحث عن الأحذية ؟

يجب قياس أقدام الأطفال ، وتحديد حجمها بصورة ملائمة من قبل شخص مدرب في هذا المجال ، وعلى الفرد أن يأخذ طفله معه دوما ، ولا يشتري له الأحذية بمفرده ، وإذا كان بالامكان يفضل اختيار محل الأحذية خلال الأوقات غير المزدحمة حيث يكون الشخص المؤهل للقياس قادرا على تخصيص الاهتمام المطلوب لذلك .

متى تبحث عن الأحذية ؟

يجب أن يتم فحص القدم النامية بصورة منتظمة ، لغرض معرفة مقدار الزيادة في الحجم ، وللتثبت من أن الحذاء مازال كبيرا بما فيه الكفاية ، لكن يفضل عند شراء الأحذية أن يؤخذ بعين الاعتبار حجم الزيادة المقرر ، وهو $\frac{3}{4}$ انج (١٨ ملم) ، كي تبقى ملائمة لفترة أطول ، ولحين نمو القدم ، بحيث تملأ المجال المذكور أعلاه .

إن الفكرة القديمة القائلة بارتداء الأحذية خلال أيام العطل والمناسبات فقط هي فكرة مغلوطة كليا ، إذ يجب ارتدا الحذاء بصورة منتظمة .

وفي الحقيقة تحوز أحذية القدم المخصصة للرياضة ، و (الجزامي) (أي الأحذية التي يتخطى أعلاها الركبة) التي تستخدم في مناسبات قليلة على أهمية خاصة ، فهي تتطلب تدقيق حجمها بصورة منتظمة .

قدم المرأة خلال فترة الحمل

عندما تكون المرأة حاملا فإن قدميها ورجليها تتحملان عبء الوزن الاضافي للطفل ، وإن من الأهمية بمكان ـ خلال هذه الفترة ـ ارتداء حذاء ذي رباط أو شريط لمنع تألم القدمين ، كما أنه من الواجب أيضا ارتداء أحذية ذات قياسات ملائمة جدا ، وذات كعوب واسعة الاستناد ، وليست عالية جدا ، على الأخص خلال الشهرين الأخيرين من الحمل ، حيث تكون وقفة المرأة متأثرة بشكل سلبي بسبب الوزن المتزايد للطفل .

إن عناية المرأة بقدميها ورجليها في هذا الوقت تقلل من التعب قبل ولادة الطفل ، كما يضعها في موقع قوي لمسايرة الأشهر اللاحقة .

ومن المفيد جدا استشارة الاختصاصي بصورة دورية ، وبخاصة قبل ثلاثة أشهر من التاريخ المتوقع لولادة الطفل ، إذ أنه أمر يجعل هذه الفترة أكثر راحة لامحالة .

كيف تعتنين بقدميك ؟

أولا : الراحة

يجب أن تخلد الأم للراحة بعد إرضاع طفلها ، وتضع قدميها عاليا ، إذ أنه أنسب الأوقات للتمتع ببعض الاسترخاء ، وعلى المرأة أن تخصص عشر دقائق مرتين يوميا من أجل راحتها ، وعندما تحين فترة الراحة تقوم المرأة بإسناد قدميها على وسادة ، وترفعهما إلى أعلى بقدر استطاعتها ، على أن تتمتع خلال ذلك بقراءة كتاب ، أو بالحياكة ، الخ .

ثانيا : تقليم الأظافر

تقص المرأة أظافرها بمستوى حدود أصابع القدمين ، على ألا تتعمق في الزوايا .

ثالثا : العادات الصحية

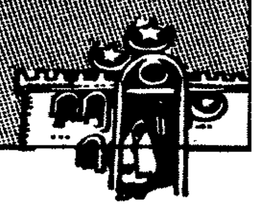
يجب غسل القدمين يوميا ، ورشهما بعد ذلك بالمسحوق ، وتجنب ارتداء الجوارب لفترة طويلة ، شريطة ألا تضيف خلال غسلها لقدميها الملح أو أية مساحيق أخرى إلى الماء .

رابعا : الأحذية

يجب أن ترتدي الأم الأحذية المناسبة للعمل ، وتترك أحذية (الموضة) للمناسبات الخاصة والحفلات فقط ، ويجب ألا يتم ارتداؤها خلال العمل الاعتيادي اليومي في البيت ، كما يجب أن تحاول المرأة الاستمرار بارتداء الأحذية مع نوع ما من المشد أو الرباط حول جزء الحذاء الملامس لمشط القدم ، وذي كعب يقل ارتفاعه عن $\frac{1}{2}$ بوصة . □

احفظوا عني ثلاثا

● لما احتضر قيس بن عاصم المنقري حكيم العرب قال لبنيه : يا بني احفظوا عني ثلاثا ، فلا أحد أفصح لكم مني : إذا مت فسودوا كباركم ، ولا تسودوا صغاركم فيحقر الناس كباركم وتهونوا عليهم ، وعليكم بحفظ المال فإنه منبهة شهرة الكريم ، ويستغنى به عن اللئيم ، وإياكم والمسألة ، فإنها آخر كسب الرجال .



هو ....
أناقتي !

● لاأدري ماذا أصابه ، فجأة أصبح شديد الحرص على المال ، وأمنياتي ورغباتي التي كان يبادر الى تحقيقها ، أصبح يضرب بها عرض الحائط ، ويفكر أكثر من مرة قبل أن يشتري لي شيئا ، أيام خطوبتنا كان هو الذي يبادر ويصحبني الى السوق ، وينتقي لي من الفساتين والملابس أحدثها موضة وأغلاها ثمنا ، وأشهد أنه استمر لفترة طويلة بعد زواجنا ، وحتى انجابي لطفلنا الثاني ، يتعامل معي بنفس الطريقة ، أذهب الى السوق أشتري ما أريد وأعود ويدفع الثمن كاملا دون أن تبدو حتى في عينيه علامة ضيق ، وكثيرا ما كنت أخرج مع بعض الصديقات لمجرد التريض أو لرغبة احداهن في شراء شيء ويحدث أن أرى ما يعجبني ، أو يروق لي فأشتريه وآخذ ثمنه من صديقاتي وأعود ويدفع فورا وعن طيب خاطر .

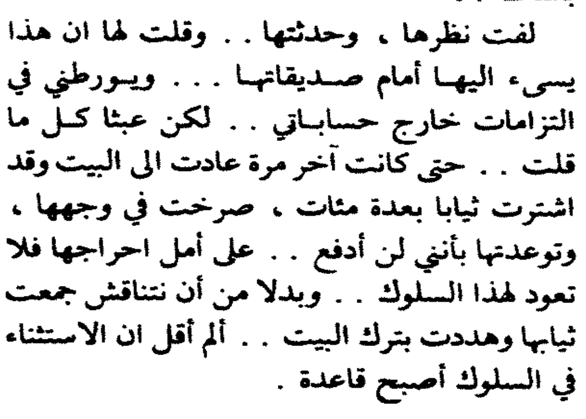
واليوم وأنا أفكر في الحالة التي أصابته أتذكر كل ما اشتراه لي ، وأصاب صديقاتي وأقاربي يومها بالدهشة والعجب .. عدد من الفساتين لاأستطيع أن أحصره ، لم تظهر موضة جديدة ولم أجاريها ، أطقم من الذهب واللؤلؤ وعديد من المجوهرات ، لم أترك شيئا عجيبا أو غريبا الا واشتريته ، والآن فجأة أصبح يدقق في كل شيء ، بدأها بأنه لم يترك في يدي فائض نقود .. مجرد مصروف البيت الذي يكفي الطعام والشراب ، ومصروف يدي ، وكل ما أطلب منه شيئا جديدا يراوغني ، فهو حينا ليس معه نقود ، وحينا آخر يقول أليس كل ما لديك يكفي ؟ ويبدأ في مناقشتي عن الثياب التي عندي ، ومن من زميلاتي وصديقاتي لديها مثل مالدي ؟ ويبدأ في طرح أفكار بلهاء ، مثل ماذا لو وضعت لك ضعف ثمن هذا الفستان في بنك ، على كل وديعة بنكية أو أي قناة من قنوات الادخار ؟ أصرخ فيه ، مالي أنا ومال هذه الأفكار الخائبة ، بنك واستثمار ووديعة ، أنا أريد هذا الفستان فقط ، ولا دخل لي بكل ما تقوله ، وذات مرة خرجت الى السوق مع بعض الصديقات ، واشتريت عددا من الفساتين ، صحيح أن ثمنها عدة مئات لكنه ليس فوق امكانياته ، فهكذا اعتدت أن أشتري وهكذا عودني ، أخذت النقود يومها من صديقاتي ، على وعد بسدادها في نفس الليلة ، أو في الغد على أكثر تقدير .. لقد رفض تماما سداد هذه النقود .. وظللت أسبوعا كاملا لاأجرؤ على رؤية صديقاتي الى أن سددت لهن أخيرا بعد مشاجرة كبيرة ، هددته فيها بترك البيت والأولاد .

هيَ

هي.... الاستثناءُ قاعِدَة

قالها أحدهم قديما .. ومازالت مقولة صحيحة الى اليوم « حتى لو كانت في طريقها الى حبل المشنقة فانها ستطلب «أحمر شفاه » هذه هي باختصار حالة زوجتي مهما مرت علينا السنوات ، ومر العصر .. ونضجنا وازدادت المسئوليات ، ولكنها لم تتغير ، كنا في زمن مضى لا هم وراءنا ولا مسئوليات ، وكنا وقتئذ نبدأ حياتنا معا ، فليس أجمل من أن تحقق لها أمانيها ورغباتها ، ومهما كان ثمن هذه الأماني غاليا ، فأنا أحسب الأمر على النحو التالي .. كل ما له ثمن نقدى فهو مقدور عليه ، لأن النقود في النهاية أداة لاسعادنا ، وظللت سنوات طويلة لا أحسب للدنيا حساباً .. أكسب كثيرا وأنفق أكثر ، وهي تقتلها « الموديلات » الحديثة والأزياء الغالية والذهب .. وأنا أشتري .. ويكفي لحظة سعادة على وجهها وابتسامة تضيء عينيها .

ولكن بعد عشر سنوات من الزواج .. وطفلين .. صارت نظرتي للأمور غير ما كانت عليه ، وظلت عندها لاتتغير ، أصبحت أحسب للغد وما يخبئه ، وللابناء واحتياجاتهم ، ولظروف العمل والصحة والعمر ... وهي كلها متغيرات لاشيء ثابت فيها ، حاولت أن أشرح لها وجهة نظري ، وأن أغريها لكي تغير سلوكها وتتعلم الادخار ، ولكن دون فائدة ، لاشيء يعنيها أكثر من أناقتها ، ومستوى ملابسها .. وارتفاع ثمنها ... ومنظرها العام .. وصيحات الاعجاب ونظرات الحسد من صديقاتها .. صارت مفتونة بهذا .. لاترى أبعد من قدميها .. وكل يوم تزداد حالتها سوءاً ، فما كانت تفعله من قبل على سبيل الاستثناء أصبح قاعدة ، فلم يكن معقولا أن تستدين من صديقاتها لكي تشتري كل ما يعجبها ، ولكن اذا حدث هذا مرة أو مرتين فهي ظروف استثنائية ، ولكنها أصبحت الآن لاتخرج الى السوق أو تذهب الى زيارة صديقة الا تعود وقد اشترت الكثير وبمبالغ تقدر بالمئات ..



لفت نظرها ، وحدثتها .. وقلت لها ان هذا يسيء اليها أمام صديقاتها ... ويورطني في التزامات خارج حساباتي .. لكن عبثا كل ما قلت .. حتى كانت آخر مرة عادت الى البيت وقد اشترت ثيابا بعدة مئات ، صرخت في وجهها ، وتوعدتها بأنني لن أدفع .. على أمل احراجها فلا تعود لهذا السلوك .. وبدلا من أن نتناقش جمعت ثيابها وهددت بترك البيت .. ألم أقل ان الاستثناء في السلوك أصبح قاعدة .

هو





من الحياة

الطفلة التي عزفت لحن الحياة !

بقلم/ منير نصيف

هذه قصة فتاة تعيش بيننا . عشقت النغم قبل أن تتعلم الكلام . فلما كبرت وقفت تعزف لحن الحياة .

شعور غريب كان يسيطر عليها ويحتويها كلما وصل إلى أذنيها الصغيرتين صوت الموسيقا الذي ينساب في هدوء مع غروب الشمس في السماء ، وكانت الطفلة الصغيرة التي لم تتجاوز عامها السابع تعيش مع النغم الذي يحمله لها الهدوء الدافىء بضع دقائق ، ثم لا تلبث أن تغمض عينيها وتنام .

وصحت الأم على هذه الهواية ، وأحست بهذا الحب الغريب الذي يربط بين طفلتها وبين الموسيقا التي يعزفها جارهم العجوز على البيانو مساء كل يوم ، فتسرع الطفلة إلى النافذة ، وتجلس وراء ها لتملأ أذنيها الأنغام الجميلة ، حتى إذا غلبها النعاس ، قامت من مقعدها ، وألقت بجسمها الصغير على فراشها وهي تحتضن عروستها ، ثم لاتلبث أن تذهب في نوم عميق ، بعد حديث قصير مع « صاحبتها » ، تناجيها وتسألها ، وتتفق معها على الموعد الجديد الذي سيلتقيان فيه مع أنغام البيانو في مساء اليوم التالي .

* *

كانت وحيدة أبويها ، وكانت هي كل شيء في حياتها ودنياها الصغيرة التي امتلأت بها وحدها ، وكانت الأم تدرك مدى تأثير الموسيقا على صغيرتها ، فقد كانت تحملها - وهي مازالت في المهد - إلى أقرب مكان من جهاز الراديو ، وتبدأ في البحث عن الموسيقا من أي مكان ، حتى إذا وجدتها تركتها معه للحظات ، فلا تلبث الصغيرة أن تغمض عينيها بعد فترة قصيرة ، وتذهب في نوم عميق ، لقد كانت الأم تعرف أن طفلتها كانت دائما على موعد مع النغم قبل النوم ، لكنها لم تتصور أن هذه الصداقة الغريبة سوف تعيش معها وتكبر .

ولم يكن غريبا أن تكتشف مدرسة الموسيقا هذه الهواية ، فألحقتها بفرقة الموسيقا المخصصة للأطفال في المدرسة التي انتظمت فيها منذ ثلاث سنوات ، واختارت الطفلة البيانو ، وفوجئت المدرسة بالتقدم الكبير الذي حققته تلميذتها الصغيرة خلال هذه الفترة القصيرة من الزمن .

وفي مساء أحد الأيام جاءت الأم كعادتها لتصحب طفلتها عائدة إلى البيت ، ولكنها ما كادت تصل إلى باب المدرسة الخارجي حتى وجدت مدّرسة ابنتها في



انتظارها . قالت المدرسة وهي تقترب منها : « تعالى معي ، أريدك أن تلقي نظرة على ابنتك وهي تعزف على البيانو .

وذهبت الأم ، ووقفت وراء الباب تنصت ، ولم تصدق أذنيها ، هذا النغم الجميل تعزفه طفلتها بهذه المهارة ، وشيئا فشيئا أحست بقدميها تقتربان إلى حيث كانت تجلس الطفلة أمام البيانو ، ووقفت ترقب في هدوء تلك الأصابع الصغيرة وهي تتحرك في رشاقة . لم تكن الأم وحدها ، لقد كانت القاعة كلها قد ازدحمت بأعضاء هيئة التدريس ، وزملاء طفلتها في المدرسة وزميلاتها ، وكان الجميع يجلسون على مقاعدهم ، وقد خيم السكون على المكان ، ولم يعد يرتفع فيه صوت غير صوت هذا النغم الجميل الذي كانت تعزفه طفلتها ، حتى إذا ما انتهت منه دوت القاعة بالتصفيق ، وقامت الطفلة من مكانها ترد التحية ، لكنها ما كادت ترى أمها بين الحاضرين حتى أسرعت إليها والقت بنفسها بين ذراعيها ، وراحت الصغيرة تبكي ، وهي تضحك ودموع الأم تغرق وجنيتها ، وهي تمطرها بالقبلات . !

قالت تحدث أمها : « لماذا لم تحضريها معك يا أمي ؟ »

أحضر من ياحبيبتي ؟

عروستي الصغيرة ! كنت أريد أن أسمع رأيها في هذه الموسيقا التي عزفتها ، لقد سمعنا جارنا العجوز يعزفها مرات عديدة ، كنت أريد أن اعرف رأيها .

واقتربت مدرسة الموسيقا من الأم وقالت وهي تدعوها لمرافقتها إلى مكتبها : « ابنتك ياسيدتي موهوبة ، ولابد من تنمية هذه الموهبة فيها ، إنني أقترح أن تلحقيها بالمعهد المسائي للموسيقا .

وانقضت بضعة أيام ، لكن قبل أن يمضي الأسبوع كانت الطفلة الصغيرة تجلس أمام البيانو في المعهد ، وأستاذ الموسيقا يقف على مقربة منها يرقب



تلك الأصابع الصغيرة وهي تعزف بلا توقف ، وبلا تردد ، كما لو كانت أصابع موسيقار محترف ، أمضى سنوات طويلة يمارس العزف على البيانو .

ومضت السنوات ، وكبرت الطفلة الصغيرة . كانت تعيش مع النغم ، ومع أصابع البيانو في البيت وفي المعهد ، بعد أن اشترى لها والدها بيانو خاصا بها . كان أستاذها دائما قريبا منها ، يشجعها ، ويدفعها لبذل المزيد من الجهد ، ويشركها في كل الحفلات التي كانت تقام في المعهد ، وأصبحت الفتاة حديث الصحف والناس في كل مكان .

ثمة إحساس غريب كان يحتويها كلما التقت عيناها بعيني الأستاذ الذي وقف بجانبها طوال هذه الرحلة التي دامت لأكثر من تسع سنوات ، كانت تشعر دائما ـ كلما جلست تعزف على البيانو ـ أنها تعزف له وحده ، وكانت كلما انتهت من العزف ، أسرعت إليه لتسمع رأيه هو ، وكان الرجل يجد حرجا شديدا وهو يراها تترك المسرح الذي ازدحم بجمهور المستمعين وتجري إليه مهرولة ، تسأله في لهفة : « قل لي مارأيك ؟ »

وكان يرجوها أن تعود لترد تحية الجمهور ، فتفعل على مضض ، ولكن ما أكثر المرات التي كانت تختفي فيها وراء الستار لتبحث لنفسها عن مكان بعيد عن العيون ، تمضي فيه لحظات مع دموعها . كانت هي نفسها في حيرة ، فهي لا تعرف إذا كانت هذه الدموع دموع فرحتها بالنجاح ، أم هي دموع تسيل بالرغم منها ، لأن أستاذها كان يرفض أن يجيبها عن سؤالها ، ويقول لها رأيه في عزفها قبل أن ترد تحية جمهور المستمعين . حتى عندما فازت بجائزة الدولة التي قدمت لأصغر وأعظم عازفة بيانو ، نسيت أن تصافح اليد التي قدمت لها الجائزة ، وأسرعت تقدمها بدورها إلى الأستاذ الذي أحس بحرج شديد ، وأسرع عائدا يحمل الجائزة ويقوم بتأدية الواجب الذي كان يجب أن تقوم به صاحبة الجائزة !

وتمضي الأيام ، والفتاة الصغيرة تنتقل من نجاح إلى نجاح أكبر ، حتى لم يعد باقيا على تخرجها في المعهد سوى بضعة أشهر ، ثم تحدث المفاجأة التي لم تكن أبدا تتوقعها . .

إذ يختفي الأستاذ من المعهد ، بعد أن وقع عليه الاختيار ليسافر مع الفرقة الموسيقية التي ستجوب أقطار العالم في شرقه وغربه لعزف أحدث ألوان الموسيقا العربية ، وتسأل في لهفة : « ومتى يعود ؟ » ويجيئها الجواب : « لاندري ، ولكنها رحلة طويلة » .

ويستبد بها قلق هائل ، وتعود إلى بيتها وقد احتواها حزن شديد ، وتلقي برأسها الصغير على صدر أمها وتقول في صوت هامس : « لقد اكتشفت يا أمي أنني أحب أستاذي ، نعم أحبه . اليوم فقط أحسست أنني أقف وحدي في المعهد . أنا أعرف أن الجميع يحبونني ، كل المدرسين والمدرسات في المعهد يساعدونني ويحبونني ، لكنني لا أشعر بوجودهم ، لقد كان هو وحده الرجل الذي أعزف له ومن أجله ، كان هو وحده الذي أنتظر أن أسمع رأيه في كل ما أكتب وأؤلف من موسيقا ، وقد ذهب الآن ، ولا أدري ماذا سأفعل وهو بعيد عني ؟ إنني أحبه يا أمي ، أحبه . أرجوك أن تساعديني .

وأجفلت الأم وهي تسمع من ابنتها آخر ما كانت تتوقعه ، إنه يكبرها بأكثر من عشرين عاما ، وإنها مازالت طفلة ، إنها مازالت تذكر كيف جاءت إليها يوما منذ فترة قريبة لتقول لها : « سأبوح لك بسر كبير يا أمي ، أتذكرين عروستي الصغيرة التي كنت أسألها رأيها في كل ما أعزف من موسيقا ؟ لقد كبرت يا أمي ، ولم تعد لي عروسة ألهو بها ، إنني أرى في أستاذ الموسيقا في المعهد صورة عروستي التي كانت ترافقني دائما في كل رحلاتي . » وقالت الأم تحدث نفسها : « ربما يكون إعجابها به قد صور لها أنها تحبه ، لكن أليس الحب حصيلة لهذا الاعجاب ؟ !

ولم تنم الفتاة في تلك الليلة ، وعندما جاء الصباح ، لم تشعر برغبة في ترك فراشها ، لكنها لم

تلبث أن قامت في النهاية أمام إلحاح أمها ، ووضعت جسمها الصغير في ثوبها الذي تعودت أن ترتديه كل يوم ، وخرجت تجر قدميها جرا في الطريق الى المعهد .

وحيوها ، لكنها لم ترد التحية ، فقد كان فكرها في رحلة بعيدة مع أستاذها الغائب الذي اكتشفت فجأة أن قلبها الصغير يخفق بحبه ، وتوجهت فورا إلى البيانو ، وجلست أمامه ، ووضعت أصابعها استعدادا لعزف آخر ما كتبته قبل رحيل أستاذها ، وفجأة أفلتت منها صرخة ، وأسرع الجميع إليها وقد استبد بهم الهلع : « ماذا حدث ؟ ماذا دهاك ؟ » ولم تتكلم ، كانت عيناها قد تسمرتا فوق اليدين اللتين بقيتا هناك على أصابع البيانو بلا حراك ، لقد تيبست الأنامل التي طالما عزفت لهم أجمل الألحان ، ولم تعد الفتاة المسكينة قادرة على أن تحرك أصابعها ، وانفجرت تبكي كما لم تبك من قبل في حياتها . نقلوها إلى البيت ، وعرضوها على أشهر أطباء الأعصاب ، ولكنهم حاروا جميعا في تفسير أسباب هذه العلة المفاجئة .

ومضت أيام وأيام والفتاة الصغيرة لاتبرح فراشها ، حتى الطعام لم تكن تتناول منه إلا القدر اليسير إرضاء لأمها المسكينة ، واستجابة لتوسلاتها . وفي إحدى الليالي ، حاولت أن تضع نهاية لحياتها عن طريق ابتلاع كمية كبيرة من الأقراص المهدئة التي نصحها الطبيب بتناولها ، ولكنهم أسعفوها بالعلاج في الوقت المناسب ، ونجت من موت محقق .

كتبت تصف هذه التجربة المريرة التي مرت بها : « حتى الموت الذي سعيت إليه لأضع حدا لعذابي ، أنقذوني منه ، ونسوا أنهم بهذا قد أعادوني لآلامي مرة أخرى ، إنني لا أكره الحياة ، لكنني أكره نفسي ، لقد أصبحت إنسانة عاجزة ، لقد حاولت أن أمضي في الكتابة والتأليف والعزف ، ولكن أصابعي ترفض أن تتحرك ، فلما تملكني اليأس ، عدت إلى نافذة غرفة نومي أستمتع بالأنغام العذبة التي يعزفها جارنا العجوز ، لكنها لم تكن من تأليفه هو هذه المرة ، فقد كان يعزف الأنغام التي كتبتها أنا ، وبكيت وأنا أرى الناس يعزفون موسيقاي .

ويعود الأستاذ من رحلته الطويلة ، ويزور تلميذته الصغيرة في بيتها ، وتمد إليه يدها التي تصلبت منها الأصابع ، ويشد عليها مصافحا ، وتقول هي وقد علت وجهها ابتسامة مشرقة تحمل كل معاني الحب والوفاء : « أرجو أن تكون قد وفقت في رحلتك . لماذا لم تقل لي انك سترحل ؟ ! ويقول الأستاذ : لم أعرف باختياري عضوا في الفرقة إلا قبل سفري ببضع ساعات . أرجوك أن تصفحي عني . هل ألقاك غدا في المعهد ؟ لا أظن ، فقد ضاع كل شيء ، لم تعد أصابع يدي قادرتين على الحركة .

وانصرف الأستاذ ، وانقضى الليل ، وجاء الصباح ، وسمعت الأم ابنتها تناديها لتساعدها على ارتداء ملابسها فجاءت مسرعة ! !

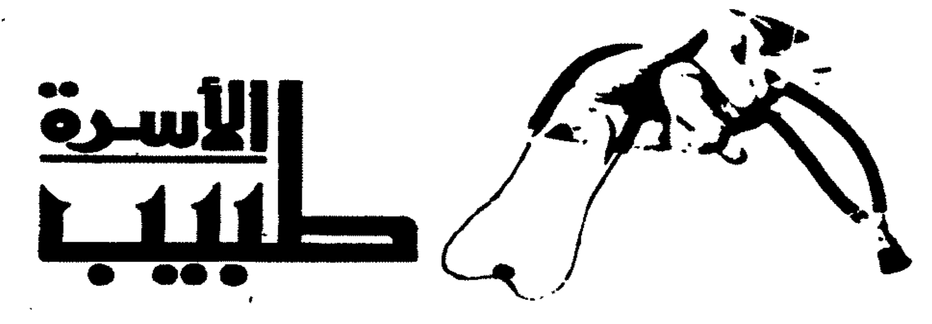
إنها أول مرة تغادر فيها فراشها منذ أكثر من ستة أشهر . قالت الأم تسأل ابنتها : « إلى أين ياحبيبتي ؟ ! » إلى المعهد يا أمي !

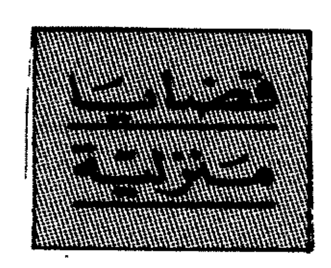
وأمام البيانو الذي عزفت عليه أجمل الألحان ، كان الأستاذ هناك يقف في انتظارها ، كأنه كان يتوقع مجيئها . قال وهو يمد اليها يده مصافحا :

« أنا سعيد بلقائك ، وسعيد بعودتك إلى المعهد » .

وتركها جالسة على مقعد قريب ، ومن حولها الأساتذة ، والزملاء ، والزميلات ، واتجه هو إلى البيانو ، وجلس يعزف مقطوعة من تأليفها ، هي ، وفجأة وجدها قادمة نحوه ، فترك مقعده ، وجلست هي ، ورفعت يديها ووضعتهما فوق البيانو ،وحدثت المفاجأة ، لقد تحركت الأصابع التي بقيت جافة متيبسة شهورا طويلة ، وعندما انتهت من عزف موسيقاها ، كانت عيناها الجميلتان غارقتين في الدموع . قالت وهي تقترب منه كما تعودت أن تفعل دائما : مارأيك ؟ !

قال : هل تقبلينني زوجا ؟ ☐





طفل يبلل الفراش .. البوال الليلى

من المألوف أن يبلل الطفل الصغير فراشه ليلا دون أن يدرى ، وهذا ما يعرف بسلس البول الليلى ، أو البوال الليلى ، أو التبول اللاارادى ليلا .

ولكن الأمر دائما يتوقف عند سن معينة ، فما هى هذه السن ، ولماذا يتعداها بعض الأطفال ؟ هذا ما يشغل فكر الآباء والأمهات .

لقد أجريت الكثير من الدراسات الطبية والاجتماعية والنفسية على هذه القضية ، وانتهت الى الاحصائية التالية : ان ٥٠ بالمائة من الأطفال فى عمر السنتين يتوقفون عن بلل الفراش ، وان ٧٥ بالمائة من الأطفال فى عمر الثلاث سنوات لا يتبولون لا اراديا فى الليل ، فيما تصل النسبة المئوية الى ما بين ٨٥ الى ٩٠ من الأطفال الذين لا يعانون من مشكلة البوال الليلى ، ومن هنا يمكن اعتبار سن الخمس سنوات بالنسبة للطفل هو أقصى ما يمكن اعتباره السن الموافق لتبول الأطفال اللاارادى ليلا (البول أو المنن) وبعدها يمكن اعتبار الأمر ظاهرة مرضية ، اذا ما تجاوز الطفل عمر الخمس سنوات مع استمراره فى حالة التبول اللاارادى .

كما قد يتوقف بعض الأطفال عن ظاهرة التبول اللاارادي هذه فترة طويلة ، ثم يعود الطفل الى البلل ثانية ، وهذا ما يسمى بالتبول اللاارادى الثانوى لسبب طارىء ، أو لآخر يكون قد استجد فى حياة الطفل .

لقد لوحظ أن ظاهرة البلل الليلى تشيع بين الأطفال الذكور عنها بين الأطفال الاناث ، بقدر يزيد عن الضعفين ، لأسباب لم تتضح بعد للأطباء .

ولكن الأسباب عامة قد تعزى لمصدرين رئيسيين ، الأول عضوى يمثل ١٠ بالمائة من الأسباب تقريبا ، بمعنى وجود خلل أو مرض أو إصابة أو تخلف في نضوج أحد أعضاء الجهاز البولى ، أو فى الجهاز العصبى المتحكم فى نظام الجهاز البولى ، والذى منه :

١ ـ التهابات فى الكلى أو فى المثانة أو المجارى البولية .

٢ ـ ضيق حجم المثانة وعدم نموها ، الى درجة لا تستوعب معه كمية البول المتجمع .

٣ ـ خلل فى الجهاز العصبى المتحكم فى ردود فعل المثانة التى هي الامتلاء والتفريغ ، وغالبا ما يكون إثر اصابة للجزء الأسفل من النخاع الشوكى ، أو تخلف فى نموه ونضوج تطوره .

٤ ـ أمراض عامة تصيب الطفل ، ترتبط بالتبول ، مثل البول السكرى ، أما التسعين بالمائة من باقي أسباب المنن فهى غالبا ما تكون نفسية الجذور ، أو عقلية ، لهذا يشيع التبول اللارادى عند كبار الأطفال ..

١ ـ المتخلفين عقليا

٢ ـ الأطفال المتميزين بالنوم العميق .

٣ ـ الأطفال الذين يعانون من عدم استقرار نفسى أو اجتماعى ، سواء فى البيت أو المدرسة ، والشعور بالاضطهاد والحرمان .

٤ ـ عند ولادة طفل جديد أو الأزمات الاجتماعية والنفسية فى المجتمع .

هذا وقد لوحظ شيوع ظاهرة المنن وانتشارها عند بعض العائلات ، مما يوحى بوجود عامل وراثى فى الأمر ، ولكن لم تتضح صورته حتى الآن .

علاج البوا الليلى :

١ ـ يجب تقصى الأسباب العضوية أولا ، ثم النفسية ثانيا وعلاجها .

٢ ـ اذا ثبت صغر حجم المثانة عن ما يجب أن تكون عليه ، فيجرى تدريب الطفل على حبس البول نهارا أكبر قدر ممكن ، أملا فى تمدد جدران المثانة . واتساع حجمها .

٣ ـ يراعى الحد من شرب السوائل مساء وخاصة قبل النوم .

٤ ـ ملاحظة موعد التبول اللاارادى ، وايقاظ الطفل قبل الموعد بقليل لافراغ المثانة .

٥ ـ عدم زيادة نسبة ملح الطعام فى أطعمة المساء .

٦ ـ استعمال جهاز التنبيه الكهربائى الذى يثبت فى الفراش ليوقظ الطفل مع أول بادرة لانطلاق البول .

٧ ـ العلاج بالعقاقير

لقد استعمل عقار البلادونا زمنا طويلا ، وحاليا يستعملون المهدئات والمسكنات النفسية ، قناعة من الاطباء أن الأمر يعود الى أسباب نفسية يعانى منها الطفل ، وهى أحق بالعلاج.



طبيب الأسرة

الهرمونات الكظرية

● هل لى أن أعرف شيئا عن مجموعة هرمونات (الجلوكوكورتيدات) وفى أي موضع يفرزها الجسم ؟

شريف ع . م . ـ سلطنة عمان

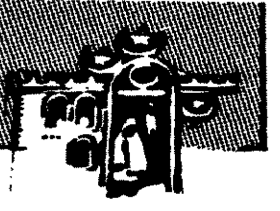
تقع فوق كل كلية غدة صماء تدعى غدة الكظر ، أو الغدة فوق الكلية ، وهى تفرز افرازاتها المعروفة بالهرمونات-شأن كل الغدد الصم الأخرى ـ فى مجرى الدم مباشرة .

وتتكون هذه الغدة الصماء من جزئين رئيسيين ، لكل منهما مهمة مستقلة هى : ١ ـ لب الكظر ، ويفرز هرمون (الادرنالين) المعروف بهرمون الغضب ، وشقيقه (النورادرنالين) بكميات قليلة ، ولكنهما يزدادان عند التوتر والانفعال ، فينشط القلب ويرتفع ضغط الدم ويتهيأ الجسم للطوارىء .

٢ ـ قشرة الكظر وهو جزء حيوى وضرورى ، لأنه يفرز هرمونات ضرورية للاستقلاب والتمثيل الغذائى ، وهذه الهرمونات تنتمى الى مواد كيميائية تعرف (بالستيرويدات) تكون على ثلاثة أشكال :

أ ـ الهرمونات القشرية السكرية : او الجلوكوكورتيدات ، وفعلها الأساسى هو استقلاب السكريات أو تمثيلها الغذائى ، والبروتينيات ، كما تتولى تكييف الجسم لمواجهة الاصابة ، فتقوى المناعة ، وتكافح الالتهابات ، والضعف العام .

ب ـ الهرمونات القشرية المعدنية : ومفعولها الأساسى هو التمثيل الغذائى لما يعرف بالشوارد



الكهربائية ، أو الاليكترولايتر والماء فى الجسم .

ج ـ الهرمونات القشرية الجنسية : وتشمل الاستروجينات أو الهرمونات الأنثوية ، والاندروجينات أو الهرمونات الذكرية ، وقد تم تخليق وصناعة الكثير من هذه الهرمونات للاستعمالات الطبية .

وهذه الهرمونات تقوم على تحويل البروتينات أو الزلاليات الى سكريات ، لهذا تعتبر عاملا مهدما ومقوضا لبناء الجسم ، كما أنها تزيد من احتباس الملح والماء مما يؤدى الى التورم مع ارتفاع ضغط الدم .

ان هذه الهرمونات تثبط عمليات الالتهاب ، وتهبط الحمى ، وتزيل التوعك ، ولكنها تزيد حموضة المعدة ، مما يخاف معه من قرحة المعدة مع طول الاستعمال .

وقد لوحظ أنها تثبط تفاعل الأجسام المضادة مع مثيلاتها ، وهذا هوسر فعلها فى حالات الحساسية والصدمات .

وفى الطب تستعمل هذه الهرمونات فى مجالات عدة أهمها أمراض الروماتيزم وأمراض الحساسية وأمراض قصور الكظر ، ولكن الاشراف الطبى ضرورة تحتمها الأصول الطبية لتفادى المضاعفات الخطيرة لاستعمال هذه الهرمونات عشوائيا .

ردود سريعة

● **الأخت ن . ى . أ . ـ درعا !**

ـ علاج الصدفية يعتمد على مراهم يدخل فى تركيبها القار والكورتيزون ، ولكن الأمر يحتاج الى صبر واحتمال لأنه علاج طويل يريح المريض من المعاناة والتشوه وتراكم القشور ، ولكنه ليس شافيا لأسباب المرض المجهولة ، ولكن المرض يختفى أحيانا تلقائيا دون سبب ظاهر ، والأمر يحتاج الى اشراف طبى من مختص فى الأمراض الجلدية .

● **السيد ن . ع . م ـ جرش ـ الاردن :**

ـ يصعب تشخيص الحبوب على الجبهة على ضوء ما توفر من معلومات فى رسالتك ، والأمر يحتاج الى فحص طبى من قبل اخصائى الأمراض الجلدية إذ هو أفضل من تستشير .

● **السيد نظيف محمد ـ ليبيا :**

ـ عقار المينو كسنديل يفترض فيه انه علاج لارتفاع ضغط الدم ، ولوحظ أن له تأثيرات جانبية تسبب نمو الشعر ، لهذا تجرى الدراسات لاستعماله فى هذا الغرض ، ولكنه لم يطرح فى السوق التجارى حتى الآن .

● **السيد جمال محمد مصطفى ـ أسيوط ـ مصر :**

من الطبيعى أن يتوقف نمو طول الانسان بعد سن العشرين ، ولكنه لا يعقل أن يقصر اطلاقا ، أما أمر الساق القصيرة فيحتاج الى فحص اخصائى جراحة العظام ، لتقرير سبب هذه العاهة فهذا أفضل طريق للعلاج ، فكل مريض يعتبر حالة مستقلة لا يسرى عليها حكم الأخرين .

● **محمد . ح . تطوان ـ المغرب :**

ـ الوراثة والاستعداد الشخصى لهما دور كبير فى قضية الصلع ، ويساعد عليها الجلد الدهنى .

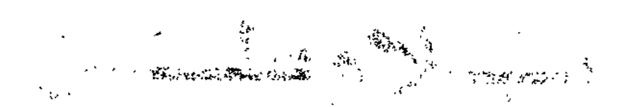
واننا إذ ننصح بمواجهة الأمر بقناعة وهدوء ، اذ لا يعتبر الصلع مرضا بالمعنى المفهوم ، ولكن طبيب الأمراض الجلدية المختص ربما يعينك على التخفيف من هذه المشكلة .

● **السيد محمد راعى ـ اللاذقية ـ سوريا :**

ـ حامض الليمون هو (سيتريك أسيد) وهو المتوفر فى الحمضيات ، وبخاصة الليمون الحامض والبرتقال ، ولا نعلم له ضررا محددا سوى أن الاسراف فيه دائما ضرر ، عملا بالحكمة الالهية « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » صدق الله العظيم .

أما فوائده فهى عديدة ، أهمها معادلته لحموضة الدم .

مساحة ودّ



التقيت بها في قلب أفريقيا . . عجوز في السبعين ، كانت صاحبة الفندق الصغير الذي أقمت به ، يونانية ، لاتكف عن الحركة ولا عن الحديث ، وفي ليلة رطبة ، وقطرات المطر تتساقط فوق الأشجار الافريقية الكثيفة ، والليل يلف الدنيا . جلسنا نقطع صمت الليل بكلمات من هنا وهناك . . وفي وسط الحديث سألتها فجأة كيف جاءت الى أفريقيا ؟ وحكت لي وسمعت منها :

في أواسط الثلاثينيات كانت أوروبا كلها تعاني من آثار الأزمة الاقتصادية ، والكساد يمتد فيشمل كل شيء ، حتى المطعم الصغير الذي كان يمتلكه زوجها ، وذات يوم قرر زوجها أن يبيع المطعم والبيت ويسافر الى عالم المستعمرات ، حيث ما زال للعملة الأوربية بريقها وللرجل الابيض قوته ، وحزما حقائبهما وذهبا الى أفريقيا . . أقاما الفندق وأدارا به مطعما يونانيا يقدم أشهر الأكلات اليونانية ، وكان روادهما من كبار الضباط الأوربيين الذين يمارسون عملية النهب المنظم لمستعمرات أفريقيا ، واتسع الفندق وزادت ايراداتهما ، واشتريا مزرعة للبن وأخرى للشاي . . وازدهرت بهما الأيام . . وكل عام كانا يحلمان بالسفر الى موطنهما ، ويخططان لذلك ، ولكنه ظل حلما طيلة عشرين عاما . . سافرابعدها لأول مرة الى بلدهما ، وهما يملكان كثيرا من المال وكثيراً من الشوق . . ولكن صدمتهما كانت كبيرة . . لم يكن الوطن كما كان حلما في الذاكرة ، ولم تكن الأماكن والطرقات كما كانت محفورة في الذهن في مشهدها الأخير يوم ودعا الوطن ، لا الناس ولا الاصدقاء . . . لا الأهل . . عالم جديد . . غريب . . غريب . .

أحسا فيه بالغربة والوحشة وأنهما أصبحا جسما غريبا وسط عالم متجانس . . . حققت لهما نقودهما كل شيء الا الالتحام والتوافق مع البشر والمكان . . وعادا مرة أخرى ، على أمل العودة في عام قادم . . ولكن العام القادم تأخر عشر سنوات . . واستقل البلد الذي هاجرا اليه ، وتغيرت أمور كثيرة . . وفقد الأبيض جزءا كبيرا من سطوته ، ولكن المال الذي جمعاه عوض ما افتقداه من سطوة وقوة ، أصبح رواد المطعم كثيرين من الأفارقة ، وقليلين من البيض ، وأصبحت المشروعات مع بعض الأفارقة ، واثنين أو ثلاثة من البيض . . تغير المجتمع من حولهما ، وأصبحا فيه أيضا غرباء . . سافرا مرة أخرى للوطن . . ازداد التغير وضوحا ، وتكثف احساس الغربة منذ الأسبوع الأول ، لم يكملا اجازتهما . . عادا . . مات الزوج ودفنته بجوارها في أفريقيا . . وورثت منه المزيد من الغربة والادراك بأنها صارت بلا وطن . . الا حقيبة ثيابها ورصيدها بالبنوك . . فالوطن الذي حلمت به ذكريات وطرقات وأمكنة وأحلاما وعمرا . . ضاع في سنوات السفر الطويل والغربة التي لاتنتهي .

محمود عبدالوهاب

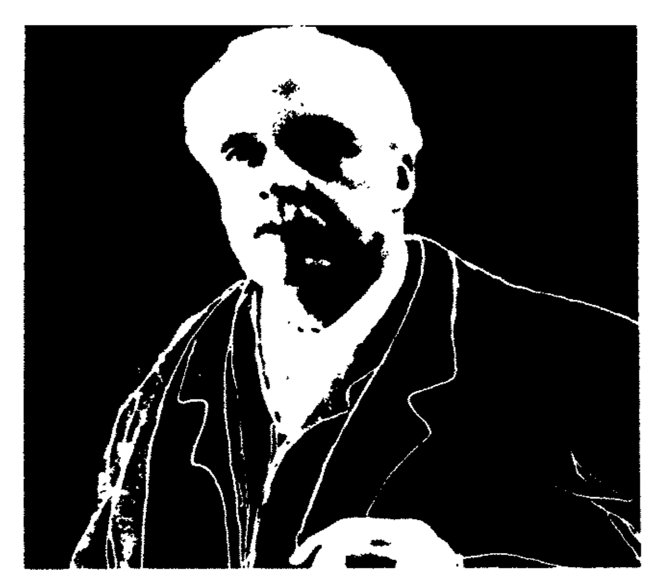


أكثر التصريحات السياسية شيوعاً في الأدبيات العربية، وأخطرها تأثيرا في التاريخ العربي الحديث ، هو نص التصريح الذي أعلنته الحكومة البريطانية على لسان وزير خارجيتها في رسالة شهيرة الى اللورد روتشيلد يقول نصها : « عزيزي اللورد روتشيلد . . يسعدني كثيرا أن أنص اليكم نيابة عن حكومة جلالة الملك التصريح التالي : تعاطفا مع أماني اليهود والصهيونيين التي قدموها ووافق عليها مجلس الوزراء ، فان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل أفضل مساعيها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على أن يفهم بوضوح أنه لن يسمح بأي اجراء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الجماعات غير اليهودية في فلسطين ، ولا بالحقوق أو بالمركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى » .

وقد صدر هذا التصريح في ٢ نوفمبر عام ١٩١٧ ، وكان وزير خارجية بريطانيا في ذلك الوقت هو جيمس أرثر بلفور (١٨٤٨ - ١٩٣٠) الذي نسب التصريح اليه ، ليس فقط لكونه هو الذي أعلنه ، ولكن لاسهامه في الحصول على موافقة مجلس الوزراء البريطاني على المبدأ ، الى درجة أن أدرج التصريح في وثيقة صك الانتداب البريطاني على فلسطين .

ولقد بدأت اهتمامات بلفور بالحركة الصهيونية منذ الصغر ، فقد تلقى تعليما مشبعا بتعاليم العهد القديم ، وهو من المسيحيين الصهاينة الذين يؤمنون - نتيجة لمعتقدات دينية - بضرورة عودة اليهود الى فلسطين وجبل صهيون ، تمهيدا لهدايتهم الى المسيحية ، وللخلاص النهائي لهم ، وبالتالي للبشرية جمعاء ، بعد أن يكونوا قد كفروا عن ذنبهم بصلب المسيح ، وفكرة الخلاص النهائي هذه هي التي منحت هذا الفريق من المسيحيين هذا القدر من التعصب للحركة الصهيونية ، وقد أثرت هذه التعاليم والثقافة في(ج.بلفور) طوال حياته ، واهتم بعد ذلك بالحركة اليهودية في الفترة من (١٩٠٢ - ١٩٠٥) . أثناء توليه منصب رئيس الوزراء ، وعندما بدأت موجات هجرة يهود شرق أوروبا تجتاح أوروبا الغربية ، وبخاصة بريطانيا ، عارضها بشدة ، واتخذ من موجات الهجرة موقفا حادا .

ثم التقى بالزعيم الصهيوني حاييم وايزمن ، ونشأت بينهما علاقة طيبة ، ولعب دورا مهماً في



استصدار الوعد ، متصورا انه يحقق واجبا دينيا وأهدافا سياسية ، تتمثل في ضغط اليهود على الرئيس الأمريكي ولسون لادخال الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى بجانب الحلفاء ، ومن ناحية أخرى تحقيق سيطرة بريطانيا على فلسطين ، كثمن لرعايتها للحركة الصهيونية فيها ، ثم ساعد بلفور الحركة الصهيونية في مؤتمرات السلم والصلح عقب الحرب العالمية ، حتى اشتملت معاهدات ١٩١٩ التي تم توزيع العالم فيها بين القوى المنتصرة ، على ضمان للصهاينة بانشاء وطن قومي لهم في فلسطين ، وذلك ـ كما أسلفنا ـ بالنص في وثيقة صك الانتداب البريطاني ، وللحقيقة فان صدور الوعد المشئوم ليس انجازا لوزير الخارجية ، بقدر ما كان تتويجا لسياسات البرجوازية العالمية ، ورغبتها بزرع كيان استيطاني في فلسطين ، وهي الفكرة التي دعا اليها بالمرستون رئيس الوزراء البريطاني عام (١٨٣٩) ، بعد أن أحست أوروبا بتهديد الجيوش العربية لعواصم أوروبا ، بقيادة محمد علي والي مصر الذي نجح في اقامة مشروع للدولة « العربية » القوية في التاريخ الحديث .

في ذلك الوقت كانت البرجوازية العالمية وكبار الرأسماليين لهم مصالح في دفع اليهود ـ سواء المقيمين أو المهاجرين من أوروبا الشرقية الى أوروبا الغربية ـ الى خارج أوروبا لتجنب منافسة اليهود الوافدين للبرجوازية الصغيرة في أوروبا الغربية ، خصوصاً أن اليهود ـ لظروف تاريخية كثيرة ـ كانوا يسيطرون على مقاليد التجارة وأعمال الصيرفة في أوروبا ، الأمر الذي لمس عصب الحركة الرأسمالية في مرحلة التحول الاقتصادي في أخريات القرن التاسع عشر ، أو أوائل القرن العشرين ، وقد حاولت الثورة البرجوازية الأوروبية كثيرا أن تحمل اليهود على الاندماج في الدولة الرأسمالية القوية ، والتخلي عن الاحتكارات المصرفية والتجارية ، والانتهاء الى مجتمع رأسمالي كبير ، يكون نصيب اليهود فيه وفق قواعد اللعبة الاقتصادية ، وعندما فشلت محاولة البرجوازية مع اليهود ، كان البديل هو دفع اليهود لترك أوروبا الى فلسطين ، ليتحقق بذلك أكثر من هدف سياسي واقتصادي ، وقد توحدت هذه السياسات بهذا الوعد الذي أسهم في اصداره وزير خارجية محافظ متعصب صهيوني !

من شابه أباه !

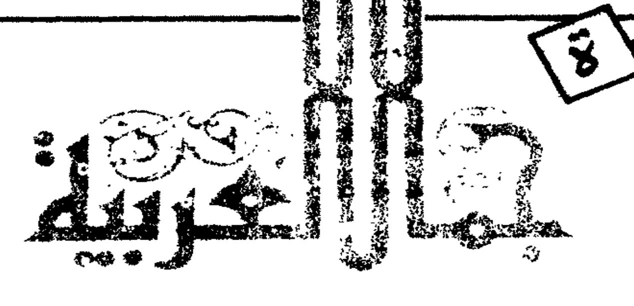
كان ابراهام لنكولن محرر العبيد فى امريكا يسير فى الحديقة العامة كما تعود أن يفعل مساء كل يوم ومعه ولداه الصغيران ولكنهما كانا يبكيان في هذه المرة .

واقترب منه مواطن وسأله : « ماذا حدث لهما ؟ لماذا البكاء ؟

فقال لنكولن : « معى ثلاث قطع من الحلوى ، كل منهما يريد اثنين منها ! »

وفى هذه اللحظة مر صبى زنجى فأسرع الطفل الاصغر يقدم احدى قطع الحلوى الثلاث اليه ! واخذها ووقف الاثنان يرقبانه وهو يأكلها وقد توقفا تماما عن البكاء !

وقال الأب : « هل تعلمان ما الذى أنوى أن افعله الآن . . سأشترى لكما صندوقا مليئا بهذه الحلوى !! »



بقلم : محمد خليفة التونسي

بَينَ البَدَلِ وَعَطفِ البَيَانِ

السؤال الرابع والأخير من اسئلة السيد مغاولي موسى (العبادلة . الجزائر) هو : «كل بدل يكون عطف بيان الا في حالتين . فما هما ؟ والصواب ان يقال : « كل عطف بيان يكون بدلا الا في حالتين . فما هما » ؟

ومعلوم أن التوابع في النحو العربي أربعة : النعت والتوكيد والبدل والعطف . ولا يعنينا منها هنا الا نوع من أنواع البدل ونوع من نوعي العطف . وانواع البدل اربعة : بدل كل من كل كقولنا : « اشتهر الامام علي بغزارة علمه » . وبدل بعض من كل كقولنا « تلألأت السماء نجومها » . وبدل اشتمال كقولنا « تعجبني الفتاة اخلاقها » . وبدل مباين كقولنا : « كتبت بالعصا القلم » . والعطف نوعان :

« عطف نسق » . ويكون بحروف العطف ملفوظة أو ملحوظة . فالملفوظة كقولنا : « من عبقريات العقاد عبقرية محمد . وعبقرية الصديق . وعبقرية عمر . وعبقرية الامام » والملحوظة كقولنا مع التنغيم والتقطيع بين المفردات : « من عبقريات العقاد . عبقرية محمد . عبقرية الصديق . عبقرية عمر . عبقرية الامام .

واما عطف البيان فكقولنا « العباس بن الأحنف شاعر عباسي » ولا يعنينا من كل ذلك الا « بدل الكل من الكل » لأن البدل فيه يطابق المبدل منه . ولذلك يسمى « البدل المطابق » . أو « بدل المطابقة » . ثم عطف البيان . وفيه يوضح العطف المعطوف عليه ويطابقه ايضا . ومن هنا تقارب هذان التابعان وتشابها معنى واعرابا . ولذلك يرى جمهور النحاة ان كل ما يعرب عطف بيان يمكن ان يعرب بدلا . ماعدا حالتين .

(١) ان يكون التابع مفردا . والمتبوع منادى مبنيا على الضم كقولنا « ياأستاذ محمودا » فكلمة محمودا لابد ان تعرب عندهم عطف بيان . ولا يجوز اعرابها بدلا . لأن البدل لابد ان يراعى معه تقدير تكرار العامل في متبوعه . بحيث يصح ان يوضع العامل قبل البدل ايضا دون ان يختل المعنى أو الاعراب . ولو كررنا هنا العامل « يا » مع التابع فقلنا « يا محمودا » لاختل الاعراب . لأن محمودا علم مفرد يجب ان يبنى على الضم فنقول « يامحمودُ » .

(٢) ان يكون التابع مجردا من « أل » والمتبوع مقترنا بها . مع اعرابه مضافا اليه . والمضاف اسم مشتق اضافته غير محضة كقولنا « أنا المكرم الضيف

سعدٍ » ، فلابد عندهم من اعراب « سعد » عطف بيان ، لاننا لو اعربناه بدلاً لاختل الاعراب ، اذ لا يجوز ان نقول « أنا المكرم سعدٍ » لأن المضاف في هذه الحالة وهو المكرم مقترن بأل فلا تجوز اضافته الى « سعد » ، لتجرده من أل .

واشتراط صلاحية تكرار العامل مع البدل في هاتين الحالتين تعسف لا مسوغ له ، بل هو فرض وهمي محض لا جدوى منه ، ولو كجدوى خطوط الطول والعرض الوهمية على الارض أو البروج في السماء وهذا الوهم وامثاله مما زاد النحو عندنا طولا وتعقيدا وتصعيبا .

ولم يتورط نحاتنا فيه الا لاغراقهم في الاعراب والعامل والاكثار من الشروط والقيود ، وصدق الله العظيم « كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه » .

ورأيي اخيرا في المسألتين السابقتين كرأي العلامة الرضي ، اذ يقول : « أنا إلى الآن لم يظهر لي فرق جلي بين بدل الكل من الكل ، وعطف البيان ، بل ما أرى عطف البيان الا البدل » .

واضع كلمة « التقييم »

كنا قد نشرنا صفحة لغوية تحت هذا العنوان (العدد ٣٣١) وضحنا فيها ان كلمة « التقييم » فصيحة ، وقلنا « لا ندري اول من اجتهد فاستعمل كلمة « التقييم » في عصرنا الحاضر ، أخذا من كلمة « قيمة » على ما هي عليه فهي أفضل ترجمة متميزة لكلمة EVALUATION لبيان القيمة ، ونحن نبارك هذا الاجتهاد ونستكثر منه » .

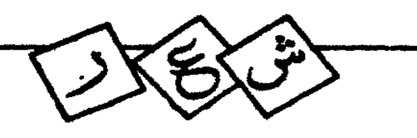
وقد جاءتنا رسالة من الاستاذ الدكتور علي الراعي (الدقي / الجيزة / مصر) يذكر فيها أنه هو اول من استخدم هذه الكلمة في أوائل الاربعينيات ، في بدء اشتغاله بالكتابة الأدبية ، فشكرا له أولا وآخرا .

المرء بأصغريه

كان الصقب النهدي سيد بني نهد ومن أشرافهم ، قيل انه دخل يوما على النعمان بن المنذر ، فلما رآه ازدراه ونبت عينه عنه ، فقال : أأنت الصقب ؟ قال : نعم ، قال تسمع بالمعيدي خير من أن تراه ، فقال أبيت اللعن ، انما المرء بأصغريه قلبة ولسانه ، اذا نطق ، نطق ببيان وان قاتل ، قاتل بجنان .

قال النعمان أخبرني يا أخا بني نهد عن السوءة السوءاء والداء العياء ؟ قال : السوءة السوءاء المرأة السليطة اللسان السلفح ، الصخابة البذيئة ، القصيرة ، التي تغضب من غير غضب ، وتعجب من غير عجب ، فصاحبها لا ينعم باله ، ولا يصلح حاله ، وان كان مقلا عيَّرته ، وان كان ذا مال لم ينفعه ماله ، فتلك التي لا أراح الله منها بعلها ولا متع بها أهلها .

واما الداء العياء ، فجار السوء ، الذي ان خالطته ظلمك ، وان غبت عنه سبعك ، شتمك ، وان قاولته بهتك ، كذبك ، فاذا كان ذلك جارك فاخل له دارك ، وعجل منه فرارك ، فإن ضننت بالدار كنت كالكلب الهرار ، كثير النباح ، فأقمت بذل وصغار .



هكذا غنى الآباء

رحلة إلى ليلى السماوية

للشهرزوري

ولد الشهرزوري(٤٦٥هـ/١٠٧٢م) هو أبو محمد، عبدالله بن القاسم بن المظفر بن علي بن الشهرزوري، اشتهر بلقبه المرتضي، وهو بنسبته الشهرزوري أشهر، وشهرزور سهل كبير في منطقة كردستان، في شمالي العراق، وقد اشتهر كثير من أعلامنا بنسبهم اليها، ولكن شاعرنا أشهرهم بها، فهو المقصود بها حين تطلق، وهو من الموصل، وقد عرف كثير من أسرته - لا سيما أولاده وأحفاده - بالفقه والحديث والقضاء والوعظ والشعر، ترجم لبعضهم العماد الاصفهاني في كتابه «خريدة القصر»[1] وذكر نماذج من أشعارهم، فيها تصنع وضعف. كما ذكر لشاعرنا نحو ثلاثين مقطوعة لا تخلو من التكلف كمعظم الشعر في عصره، وقد أقام شاعرنا في بغداد مدة يشتغل بالفقه والحديث ثم رجع الى الموصل وتولى فيها القضاء، ورواية الحديث، الى جانب ما كان له من مواعظ رقيقة مليحة، وخير ما وجدنا من شعره هذه القصيدة (نقلناها من ترجمته في وفيات الأعيان)[2] وهي أشهر قصائده، والصوفيون مولعون بحفظها والتغني بها في مجالسهم، ولا سيما حلقات الذكر، فينتشون بها وجدا، ولا تظهر قوتها الا مع هذا الانشاد.

قال الشهرزوري :

لمعتْ نارُهم، وقد عَسْعَسَ الليـ ... ـلُ وملَّ الحادِي، وحارَ الدليلْ
فتأملتُها، وفكري من البَيْنِ ... عليلٌ، ولحظُ عيني كَليل
وفؤادي ذاكَ الفؤادُ المُعنَّى ... وغرامي ذاك الغرامُ الدخيل[3]
ثم قابلتها، وقلت لصحبي: ... «هذه النارُ نارُ ليلَى فميلوا»
فرمَوْا نحوها لحاظاً صحيحا ... تِ، فعادت خَواسئاً وهي حُولُ[4]
ثم مالوا الى الملامِ، وقالوا: ... «خُلَّبٌ ما رأيتَ، أم تخييل»[5]
فتجنبتُهم، ومِلْتُ اليها، ... والهوَى مركبي، وشوقي الزَّميلِ
ومَعيِ صاحبٌ أتى يقتفي الآ ... ثارَ، والحب شرطُه التطفيلِ
وهْيَ تعلو، ونحن ندنُو إلى أن ... حجزَتْ دونها طُلولٌ مُحول

فدنونَا من الطُّلولِ، فحالَتْ ... زفراتٌ من دونِها، وغليلُ
قلت: «مَنْ بالديارُ؟» قالوا: «جريحٌ ... وأسيرٌ مكبَّلٌ، وقتيلُ»
ما الذي جئت تبتغي؟» قلت: «ضيفٌ ... جاء يبغي القِرَى، فأين النزولُ؟»
فأشارتْ بالرحْب: «دونَك، فاعقرْ ... هَا، فما عندنا لضيفٍ رحيلُ
من أتانا ألقَى عصا السير عنهُ» ... قلت: «من لي بها؟ وأين السبيلُ؟»
فحَططْنا الى منازلِ قومٍ ... صرعَتْهُم قبلَ المذاقِ الشَّمولُ(٦)
درسَ الوجدُ منهمُ كلَّ رسمٍ ... فهْو رسمٌ، والقومُ فيه حلولُ
منهمُ من عفى، ولم يبقَ للشـ ... ـكوى ولا للدموعِ فيه مَقِيلُ
ليس إلا الأنفاسُ تُخبِر عنه ... وهْوَ عنها مُبَرأٌ معزولُ
ومن القومِ مَن يشيرُ الى وجـ ... ـد تبقَّى عليه منه القليلُ
ولكلٍّ منهمْ رأيت مَقاماً ... شرحُه في الكتابِ مما يطولُ
قلتُ: «أهلَ الهوى سلامٌ عليكمْ ... لي فؤادٌ عنكمْ بكمْ مشغولُ
وجفونٌ قد قرَّحَتْها مع الدمـ ... ـع حنيناً الى لقاكم ـ سيولُ
لم يزل حافزٌ من الشوقِ يحدو ... نيَ إليكم، والحادثاتُ تحولُ
واعتذاري ذنبٌ، فهل عندَ من يعـ ... ـلمُ عذري في ترك عُذري ـ قبولُ
جئتُ كي أصطلي، فهل لي إلى نا ... ركمُ هذه الغداةَ ـ سبيلُ؟»
فأجابت شواهدُ الحال عنهمْ: ... كلُّ حدٍّ من دونِها مفلولُ
لا تروقنَّك الرياضُ الأنيقا ... تُ فمن دُونِها رُبىً ودُحولُ(٧)
كم أتاها قوم على غرَّةٍ منـ ... ـها، وراموا أمراً فعزَّ الوصولُ
وقفوا شاخصينَ حتى اذا ما ... لاح للوصلِ غُرَّةٌ وحجولُ
وبدت رايةُ الوفا بيد الوجـ ... ـد»ونادى أهلُ الحقائق: «جُولوا
أين مَنْ كان يدَّعينا فهذا اليو ... مُ فيه صِبغُ الدعاوي يحولُ»
حملوا حملةَ الفُحول، ولا يصد ... عُ يومَ اللقاء إلا الفحولُ
بذلوا أنفساً سخَتْ حين شحَّت ... بوصالٍ، واستُصغِر المبذولُ
ثم غابوا من بعدما اقتحموها ... بين أمواجها، وجاءت سُيولُ
قذفَتْهمْ الى الرُّسوم، فكلٌّ ... دمُه في طُلولها مطلولُ(٨)
نارُنا هذه تضيءُ لمن يسـ ... ـري بليلٍ، لكنها لا تُنيلُ
مُنتهَى الحظِّ ما تزوَّد منه الـ ... ـلحظُ والمدركونَ ذاك قليلُ
جاءها من عرفتُ يبغي اقتباساً ... وله البَسْطُ عندنا والسُّولُ(٩)
فتعالت عن المنالِ وعزَّتْ ... عن دنوٍّ اليه، وهو رسولُ
فوقفنا كما عهدتُ حيارَى ... كلُّ عزمٍ من دونِها مخذولُ
ندفع الوقت بالرجاء، وناهيـ ... ـك بقلبٍ غذاؤه التعليلُ
كلما ذاق كأس يأسٍ مريرٍ ... جاء كأسٌ من الرجا معسولُ
فاذا سوَّلت له النفسُ أمراً ... حيدَ عنه، وقيلٍ: «صبرٌ جميلُ»
هذه حالُنا، وما وصل العلـ ... ـم إليه وكلُّ حالٍ تحولُ

---

(١) انظر خريدة القصر/ قسم شعراء الشام (٢) وفيات الاعيان لابن خلكان
(٣) الدخيل: العميق (٤) خواسىء: ضعيفة (٥) الخلب: الخادع
(٦) الشمول: الخمر ذات الرائحة القوية (٧) دحول: حفر مائية، المفرد دحْل
(٨) دم مطلول: مُهدر لا يؤخذ ثاره (٩) البسط: السعة، والسول: المطلوب

درس في القراءة

شعر : الياس لحود



في ذات يوم
ذاتِ صُبْحٍ لَمْ تُعَكِّرْهُ القذائفُ
بَعدَ الدُّخولِ الى الصفوفِ
وبعدَ ترتيبِ الكُتُبْ
عَبرتْ مُناظِرةُ الدّروس من الزُّجاجِ
وأومأت بكتاب جبرانَ « العواصفْ »
أنْ حانَ وقتُ الابتداء

.. بدأتْ مراجعةُ القراءةِ / والقراءةُ كلُّ درسِ الأمسِ
عن « لبنان في تاريخِهِ » والأسئلة

قالتْ مُعَلِّمتي قفي
فوقفتُ بينَ الطاولات كأنّني بين السُّحُبْ
وبدأتُ أقرأُ :

.. قطعة من قلب هذا الشرقِ
.. منْ شَمْسِ العَرَبْ
.. أمُّ اللغاتِ هنا وأوَّلُ مدرسة »
حتى وصلتُ الى : « السِّنين المُقبِلة »
وعلا انفجارٌ حول مدرستي
سقطتُ مع الكتابِ معَ « السنين المقبلة »
وخريطةٍ وقعَتْ عَليَّ من الكلامْ
قالت معلمتي : قفي
ووقفتُ تحت الدُّرسِ أبحث عن رُكامْ
حتى عَلَوْتُ على السُّطورِ إلى « السنين .. المقبلة »
ورأيتُ في العنوان بركاناً من النَّحلِ الضريرِ
صرخت : مَنْ ؟



وركضْتُ نحو البابِ أفتحُهُ فلا أجدْ « الوطنْ »
لأعودَ وجهي دمعتان من الشِّفاهِ الى الحروف
صاحت معلمتي : إلى اللوح . اكتبي لي جملة اسمية مستعمله
كلمات هذا الدرس . قلت : كما أريدُ ؟؟ فردَّدتْ .
اسميَّة . . وكتبتُ فوق اللَّوحِ بالطبشور أحرقهُ الزَّمن
« أمي معلمتـ(ي) الوطن»
وعلا انفجارٌ قرب مدرستي
سقطتُ مع الطباشير الصغيرة
صرخت معلمتي : قفي حالاً : لماذا الياء في
« أمي معلمتـ(ي) الوطن »
فنهضتُ جمّعت ارتجافاتي ولملمت الحكايا
ووقفتُ تحتَ اللَّوحِ أكتبُ بالبقايا
أمي معلّمةُ الوطن

وعلا انفجار قربَ مدخل بيتنا
ورأيتُ أمّي في الدُّخانِ على ارتجافاتِ المدينة
وبكيت تحت اللوحِ . صلَّينا ولكني بكيْتُ بكيتُ
صلَّيْنا ولكني سقطتُ مع البكاءِ على الوطنْ

وكتبتُ بالدَّمعِ المُنشِّفِ فوق تربتِه الحزينة :
« أمي معلّمةُ الربيع إليكَ في هذا العذاب »

ووقفتْ

علَّقْتُ الخريطةَ فوق بابِ الصفِّ أمسكتُ الكتاب
وَمَسَحْتُ دمعي بالوطنْ

اقوال



كلود شيسون



ديجول



كورت فالدهايم

■ مهمة الكاتب أن يكتب فقط ، أما حياته الخاصة فهي ملك له وحده ، إلا إذا وجد فيها شيئا يهم الناس !

« صموئيل بيكيت »

■ الرجل العظيم يحب البطء في أقواله والسرعة في أعماله .

« كونفوشيوس »

■ العمر لا يقاس بعدد السنين ، ولكن بما تحفل به هذه السنين من عطاء يثريها وينميها .

« حكمة هندية »

■ دول الخليج رفضت أي وجود عسكري للقوتين العظميين ، لأنها لا تريد أن تكون رهينة في يد أي منهما .

« كلود شيسون »

■ إذا أردت أن تعرف ما يحدث في بلدك فارحل بعيدا عنه !

« ديجول »

■ ريجان يعتمد على التجربة والخطأ ، وجوربا تشوف يستفيد من اضطراب التفكير الأمريكي .

« لوس انجلوس تايمز »

■ تسلق الجبال الوعرة يحتاج الى خطى حذرة متمهلة .

« شكسبير »

■ الدول الفقيرة تزداد فقرا، والدول الغنية تقف متفرجة . . إن الجنوب يغرق وإذا ابتلعته أمواج الفقر ، فسوف ينتهي العالم !

« كورت فالدهايم »

■ أجود أنواع المساحيق التي يمكن أن تستخدمها المرأة في تجميل وجهها ، هي شعورها بالسعادة .

« كاترين العظمى »

■ عندما كنت صغيرا ، تمنيت أن أكون كبيرا ، فلما كبرت عاودني الحنين الى شبابي .

« هوجو »

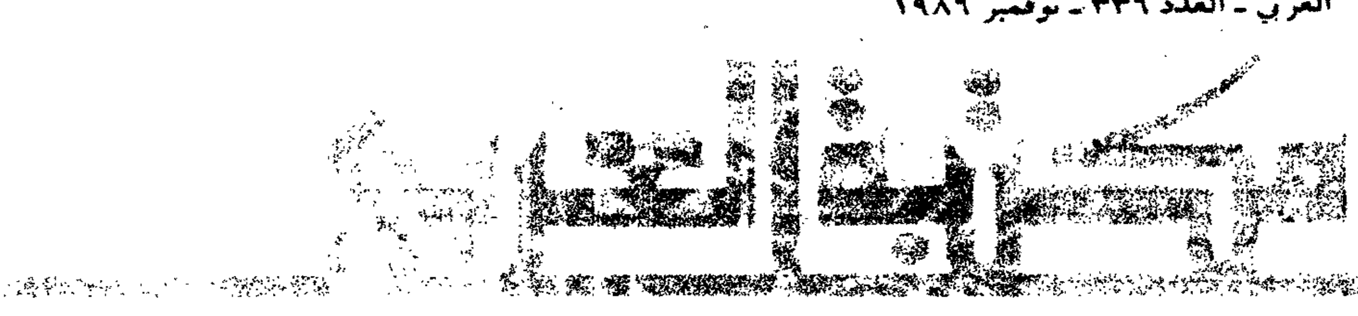
■ الغضب ريح عاتية تعصف بالعقل .

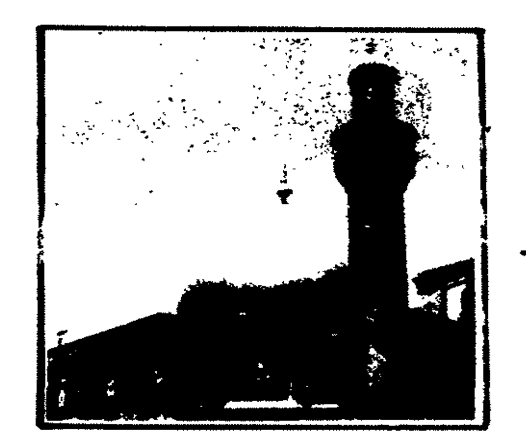
« صموئيل جونسون »

■ إننا نحب الورد رغم الأشواك التي تعانقه . . وهكذا الحياة !

« لامارتين »

العربي - العدد ٣٣٦ - نوفمبر ١٩٨٦





في كتاب صيني من العصور الوسطى

بقلم : الدكتور نقولا زيادة

في عام ١٩١١ نقل رجلان انكليزيان كتابا من الصينية الى الانكليزية ، وطبع الكتاب في مدينة بطرسبورغ التي أصبحت فيما بعد لينغراد ، وفي الكتاب وصف لديار العرب ، استقاه مؤلفه الصيني من التجار العرب الذين كانوا يصلون الى الميناء الذي يعمل فيه ، كان ذلك في القرن الثالث عشر ، أما اسم الكتاب فهو « وصف الشعوب الأجنبية » .

نشطت العلاقات التجارية بين الصين وديار العرب بدءا من القرن السادس للميلاد بشكل خاص ، وكانت جزيرة سرنديب (سيلان ، سري لانكا) هي مركز التجمع للتجار العرب من جهة ، والتجار الذين كانوا يحملون المتاجر الصينية (بحرا) من الجهة الأخرى ، وقد تنوعت السلع المحمولة من الفريقين ، وكان أهمها - من المشرق - : الحرير الصيني خيوطا ونسيجا ، والخزف الصيني ، والقيشاني ، والتوابل الآتية من جزر الهند الشرقية « اندونيسيا » ، أما من الغرب فقد كان البخور العربي والافريقي والذبل وقرن وحيد القرن والعاج في مقدمة مايحمل ، وكانت سلع الشرق على العموم أكبر قيمة - يومها - على نحو ماكانت عليه أيام الرومان ، وكان الغرب - على ايدي التجار العرب - يدفع الفرق بالفضة ، كما كان يدفعها قبلا (أيام الرومان) بالذهب والفضة .

وبالرغم مما كان هناك من نشاط تجاري ، فاننا لانعرف أن الصينيين خرجوا من ديارهم ليتعرفوا حتى على الأقطار القريبة منهم ، بله ديار العرب ، على



نحو مانعرف من وصول سليمان التاجر الى كنتون (خانفو أو كوانغ تشو) ووصفه للطريق البحري وللميناء . وذلك في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي .

وصف الشعوب الأجنبية

ولذلك فاننا نسر عندما نعثر على كتاب يتحدث عن ديار العرب والمتاجر التي تحمل منها الى الصين . والكتاب اسمه بالصينية (تشو - فان تشي) ومعناه «وصف الشعوب الأجنبية» . أما مؤلفه فهو (تشو جو كوا) . ويعود وضع الكتاب الى القرن الثالث عشر .

وهذا الكتاب استقى مؤلفه مادته من التجار الذين كانوا يحملون بضائعهم الى الميناء الذي كان هو يعمل فيه . وهو ميناء زيتون (تسيوان - تشو) . وكان (جو - كوا) يشغل منصب مراقب التجارة البحرية هناك . وقد كانت ثمة موانىء أخرى فيها مثل هذا المنصب . لكن مؤلفنا حصل على مالديه من المعلومات والأخبار من التجار الذين هبطوا ميناءه . فقد كان على التجار الذين يصلون الميناء أن يبادروا الى تسجيل مالديهم من بضائع . وكان عليهم أن ينتظروا حتى تصل آخر السفن في الموسم التجاري المعين . كان مراقب التجارة يقتطع ٣٠٪ من المتاجر عينا هي رسوم الميناء . ويعطي لممثل الامبراطور الحق في أن يختار ما يراه مناسبا لسيده من المتاجر . وكان يدفع ثمنها . قبل أن تعرض للبيع . وعندما ينوي التجار الخروج من الميناء ومعهم ما ابتاعوه من السلع . كان عليهم أن يقدموا البيانات اللازمة للمراقب . ثم يترتب عليهم أن يدفعوا رسوم التصدير . قبل أن يؤذن لهم بالسفر .

وفي هاتين الحالتين كان المؤلف يتعرف على التجار ويدون أسماء بلادهم ومايحملون معهم من السلع . وهذه المعلومات هي التي دونها في كتابه .

والكتاب قسمان : يتناول المؤلف في الأول منهما الأقطار والشعوب التي تحمل متاجرها الى زيتون . والثاني يتحدث عن المتاجر نفسها .

وفيما يتعلق بالاقطار والشعوب . فان (جو - كو) يبدأ بأقطار اسيا القريبة من جنوب الصين . ثم يتحدث عن كمبوديا فالملايو وسيلان والهند . ثم ينتقل الى البلاد العربية معددا الموانىء والمدن المهمة . وهي صحار وعمان ومخا وبغداد والموصل ومصر والاسكندرية . ويشير الى المغرب الأقصى . وتشغل أخبار هذه المدن (مع جزيرة قيس في الخليج العربي والصومال وآسيا الصغرى) أكثر من ربع القسم الأول .

أما فيما يتعلق بالقسم الثاني - أي المتاجر - فان المؤلف يذكر ثلاثة عشر نوعا من البخور تنقل الى الصين . وفضلا عن تعداد هذه المتاجر وذكرها منفردة . فانه يعطينا وصفا لطبيعتها وسبل استخدامها ان كانت طبيعية أو مركبة أو عقاقير أو طيوبا .

اضطراب الجغرافيا والتاريخ

بلاد العرب والعرب وديار الاسلام والمسلمين يشير المؤلف اليها باسم (تا - شي) (وهو يستعمل هذه التسمية أحيانا للجاليات العربية والاسلامية المقيمة في جاوة وسومطرة) ويقول عن تلك الديار . « وانها بعيدة عن الصين مسافة كبيرة » ويدلك على ذلك بالاشارة الى أن السفن تحتاج الى مدة تتراوح بين



كتاب الشهر

١٢٠ و ١٣٠ يوما كي تصل الى سيلان (من زيتون) .

ومن الطبيعي أن تكون معلومات (جو - كوا) مضطربة من حيث الجغرافية ، فهو ينقل معلوماته عن بحارة وتجار لم يكن دوما باستطاعتهم أن يزودوه بالأخبار الدقيقة ، لكنها أشد اضطرابا واختلاطا من حيث التاريخ ، ولعل الحدث التاريخي الوحيد الذي لم يخطيء فيه جو - كوا ، أو لعله لم يخطيء في نقله هو أن النبي(ﷺ) ولد في مكة ، وأن الكعبة فيها ، وأنها تكسى بالديباج مرة في السنة .

يحدثنا المؤلف عن مرباط (في الجنوب العربي) ويقول ان بعض بيوتها يتكون من خمسة أدوار ، ويؤكد (جو - كوا) على نشاط التجارة بين عمان والبصرة ، ويتحدث عن قوة العرب ونشاطهم .

ومن البضائع التي يذكرها المؤلف نشير الى البخور بأصنافه وأجودها ما حمل من ظفار والشمر ، ودم الأخوين والذبل (من سوقطرى) ، والزبد (من الحبشة وجنوب الجزيرة) والعاج (من افريقيا) واللؤلؤ ، والجيد منه كان الغواصون يستخرجونه من جزيرة أوال (البحرين) .

ويبين المؤلف المتاجر التي كان التجار العرب ينقلونها من الموانىء العربية (في الخليج العربي وخليج عمان والبحر الأحمر) ولكنها أصلا آتية من الداخل أو من بلاد بعيدة مثل المرجان المحمول من البحر المتوسط ، والبلور الذي كان يصنع - حسب روايته - في بغداد والشام ، وهذا البلور أفضل مما يصنع في الصين ، لأن الصناع في (تارشي) يضيفون (البوراكس) الى المواد الخام ، لذلك يكون أنقى وأنصع من البلور الصيني .

هذا الكتاب نقله الى اللغة الانجليزية (مع هوامش مفصلة فردرك هيرث وزميله و . و . ريكهل وطبع سنة ١٩١١ في سان بطرسبورغ (لينينغراد اليوم) .

على أن هذا الموقف من الأقطار الخارجية تبدل الى درجة كبيرة أيام أسرة (منغ) التي حكمت الصين من سنة ١٣٦٨ الى سنة ١٦٤٤ .

الكونفوشية والتجارة

ولابد لنا أن نشير هنا الى موقف الصين الرسمي ، أي موقف الامبراطور والحاشية من التجارة ، ذلك بأن النظرية الكونفوشية كانت تعتبر العمل بالتجارة محطا ولايليق بابن ماء السماء ،

ومع ذلك فان العمل بالتجارة في البلاد كان يتطلب اذنا من الامبراطور ، والامبراطور كان شديد الحرص على هذه السلع الكمالية التي كان البلاط والحاشية والأمراء وكبار التجار يتشوقون اليها ، وهنا جاء الحل - العملي في نظرهم - وهو أن هؤلاء التجار الذين بدأوا يحملون المتاجر من الصين واليها ، في القرن الأول للميلاد ، انما كانوا يحملون ضرائب للامبراطور ، واذن فزياراتهم كانت لتقديم الطاعة واظهار الخضوع ، وعندها كان الامبراطور يتلطف ويسمح لهم بالاتجار في بلاده . أي بالاستمرار في حمل الضرائب الى البلاط الامبراطوري !

ولذلك لما خرج الصينيون - أخيرا - الى البلاد المختلفة ، القريبة أولا ثم النائية ، فانهم خرجوا ليبسروا الحماية للبلاد التي أظهرت الخضوع للصين ، ولعل هذا مايفسر هذا الظهور ، أو الخروج بشكل ضخم .

ذلك أن الصين أرسلت في الثلث الأول من القرن الخامس عشر ، سبع حملات بحرية لتفقد هذه الأماكن التي كانت تتاجر ، أو يمكن أن تتاجر مع الصين ، وقد كانت بعض الأساطيل (في الحملة الواحدة) تتكون من اثنين وستين مركبا مختلفة الحجوم والأصناف ، وقد اشترك فيها سبعة وثلاثون ألف رجل بين مقاتل وبحار ، وقد وصلت ثلاث من

هـذه الحملات السبع الى غرب المحيط الهنـدي ، وألقت مراسيها في هرمز وفي عدن وفي مخا (على البحر الأحمر) .

وقد وضعت هذه الأساطيل في الحملات بأجمعها تحت قيادة صيني مسلم من ولاية يونان ، كان خصيا في بلاطالامبراطور ، وكان اسمه (تشنغ هو) وقد دون هو أخبار الحملات جميعها في تقارير رفعت الى الامبـراطور ، ثم وضعت في الارشيف الـرسمي ، لكن هـذه اختفت فيـها بعـد ، وقـد يكـون الأمـر متعمدا ، فقد لاحظ الذين درسوا الأرشيف الصيني تكرار مثل هذه الحوادث في دور المحفوظات (حتى الملكية منها) ، ذلك أن الغيرة والحسد يحملان رجلا فاشلا في محاولاته ، على اتلاف تقارير الناجحين ، وهكذا فان ما دونه (تشنغ هو) ، فقد بأكمله ، الا أن نقشا طويلا نسبيا وضع في الميناء الذي كان نقطة انـطلاق للحملات البحـرية ، وهـذا النقش يحوي خـلاصة للحمـلات من حيث اعداد السفن وعـدد الرجال والأماكن التي تمت زيارتها وبعض المعلومات عن تلك الأماكن ، هذا كل مالـدينا من معلومـات مباشرة عن هذه الحملات .

ففيه نقرأ : « أن البـلاد التي تقع خلف الأفق ، وفي أطراف الأرض ، قد قبلت جميعها أن تكون تابعة للامبراطور (وذلك لأن تجارها حملوا الضـرائب الى البلاط) ولأن الامبراطور كان راضيا عن ولائهم قابلا باخلاصهم ، فانه أمر (تشنغ هو) وغيره بان يتولوا قيـادة عشرات الآلاف من الضبـاط والجنـود ، وأن يكونوا في سفن القيادة ، وأن يتجهوا الى تلك البلاد حاملين لها هدايا من الامبراطور . »

في استقبال الزرافة

ولو أننا كنا نملك التقارير الأصلية ، لكنا حصلنا على الكثير من المعلومات ، لكن مالدينا قليل ، الا أن التقارير التي كتبها أربعة من الخصيان الذين كانوا في حاشية القائد تعـوض علينا قسـما لايستهان بـه من الخسـارة ، وبعض هذه المـدونـات تحـوي خـرائط للمناطق التي زارتها الأساطيل .

هناك أمر مهم ترتب على ارسال هذه الحملات ، وفي الواقع فقد حدث هذا بعد عودة الحملة الأولى ، يـومها فتحت مـدرسة خـاصـة لتعلم اللغـات التي يستعملها سكان البلاد التي زارتها الحملة ، والمزمع زيارتها فيـما بعد ، وقـد استمرت هـذه المؤسسة في عملها قرونا طويلة ، ولاتزال بعض خزائن الكتب الصينية تحتفظ ببعض الكتب الثنائية اللغة (الصينية مع لغة أخرى) ، لكن لم يعثر بعد على كتب ثنائية اللغة بالنسبة للغة العربية .

وقد كان للزرافة دور خاص في ذلك ، فالزرافة تسمى بلغة الصومـال جرين ، وهـذا الكلمة تلفظ بالصينية جلين أو شيلن (لأن اللغة الصينية لم تعرف حـرف الراء ، ويستبـدل دوما حـرف اللام بـه) ، وكلمة جلين أو شيلن الصينية تعني الحيـوان الخرافي الـذي له جسم حصـان ورأسه ، وخلفيتـا وعل ، ويتـوسط جبهتـه قـرن واحـد . (يسمى بـاللغـة الانجليزية يونيكورن unicorn) وهذا هو حيوان الحظ عند الصينيين ، فوصوله الى مكان ما في الصين كان دليلا على أن الحظ سيطل على البلاد ، فضلا عن أنه يعني أن الامبراطور هو (يومها) رمز الفضيلة ، وهذا أيضا علامة خير للبلاد والعباد .

وبسبب من هـذا الالتبـاس في اللفظ والتسمية اعتبرت الزرافة التي حملت الى الصين من « ملندة » في شرق افريقية حدثا خاصا في تاريخ الصين يومها .

فلما وصلت الـزرافـة (سنـة ١٤١٤) خـرج الامبراطور الى الباب الرئيس لاستقبالها ، وخـرج رجال الدولة معه .

وهل ثمة هدية أكبر من هذه يبعث بها أولئك الذين كانوا يريدون توثيق العلاقات التجارية مع الصين فيما كان القصر يرى في تقربهم منه رغبة في اظهار الولاء والاخلاص له ! □

من المكتبة العربية

أول تقرير استراتيجي عربي

عرض / نجاح عمر

لفترة طويلة .. ومنذ أن انتبه الوطن العربي الى الأهمية الاستراتيجية للمنطقة العربية .. ومراكز الابحاث والمعاهد الأجنبية المتخصصة تركز كل جهدها لرصد مايجرى على هذه البقعة المهمة من العالم الثالث .

عشرات بل مئات الدراسات والأبحاث والتقارير التي صدرت مستترة وراء قناع من موضوعية البحث والحياد العلمي .. كانت جميعها . وعلى اختلاف مصادرها ـ قد وضعت لخدمة إدارة الصراع في العالم الثالث والمنطقة العربية ، كجزء متميز من هذا العالم لصالح القوى الأجنبية .

لهذا السبب .. ولأسباب أخرى تدخل في منهجية النموذج الغربي للدراسات الاستراتيجية ، تصاعدت الدعوة لصياغة مفهوم جديد للاستراتيجية والدراسات الاستراتيجية ، يعتمد في الأساس على الملامح المميزة لمشاكل العالم النامي ، ذلك العالم الذي مازالت تشغله قضايا السيادة الشرعية ، وأزمة المشاركة السياسية ، والافتقار الى الموارد ومشاكل بناء الدولة بشكل عام .

من هنا كانت الحاجة الملحة الى صياغة نموذج جديد للتفكير الاستراتيجي .

ويمكن القول أن تباشير ذلك قد بدأت بانشاء المراكز الجديدة في اطار بعض الجامعات العربية .

في عمان أنشىء مركز للدراسات الاستراتيجية بالجامعة الاردنية ، وفي بغداد يوجد مشروع إنشاء مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة المستنصرية بالعراق ، وفي القاهرة .. يواصل مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بمؤسسة الاهرام دوره في تقديم بحوث علمية للتطورات والصراعات ذات التأثير في الشرق الأوسط عامة .. وعلى الصراع العربي الاسرائيلي بصفة خاصة .

الاستراتيجية والصراع

على الرغم من أهمية القضايا والموضوعات التي طرحها التقرير الاستراتيجي العربي الأول .. الا أن المدقق في خريطة الواقع العربي ـ كما رسمها التقرير ـ

سوف يقف طويلا أمام تلك المساحة الشاسعة التي يحتلها الصراع في هذه البؤرة المتوترة من العالم الثالث .

مبررات ذلك . . قد ترجع الى الهدف المحدد من التقرير وهو « محاولة إبراز الجوانب التي تستحق التأمل والتحليل لدى الحكم على الاوضاع العربية الراهنة التي لايصح ان يصور رأي أو برنامج . . أو توجيه بدون وضعها في الاعتبار » .

و . . ربما لأن هذا هو الواقع الفعلي للوطن العربي ، التفتت والتجزئة التي امتدت طوال السنوات الماضية التي كانت سمة مميزة من سمات المجتمع العربي .

والذي لاشك فيه أن الصراع العربي الاسرائيلي هو الصراع الأساسي في المنطقة العربية ، لكن ذلك وتلك من نقاط الضعف التي لم تمنع وجود صراعات أخرى بعضها داخلي ، أي بين أبناء الوطن الواحد ، وبعضها خارجي . . أي بين قطر ما وجيرانه ، لكنها على اختلافها تعكس نفسها بصورة سلبية على الصراع « الأم » . . العربي الاسرائيلي ، فكل نقص في القدرات العربية هو بالضرورة إضافة الى قدرات وامكانيات الطرف الأخر ، لذلك لم يغفل التقرير الاسرائيلي في رؤيته لهذه الصراعات أن يسجل تأثيرها على الصراع العربي الاسرائيلي .

أما الملاحظات الأساسية على هذه النزاعات العربية/العربية هي أنها تزول تماما في حالة توحيد الدول العربية .

وانها في معظمها اما نزاعات طائفية أو نزاعات حدود . مما يؤكد أن الصراع العربي الاسرائيلي ليس فقط مواجهة عسكرية . . لكنه أيضا مواجهة داخل البلدان العربية ، بخلق أنواع متعددة من الصراعات الداخلية ، تضاف في النهاية الى القدرات الاسرائيلية ، عند حسابات استراتيجية الصراع العربي الاسرائيلي .

الجانب الآخر من الصورة

الصورة ليست قاتمة تماما ، وكما توجد مواطن ضعف . . توجد أيضا هياكل قوة في الوطن العربي ، وهي كما جاءت في التقرير الاستراتيجي العربي الأول يمكن تلخيصها في : -

درجة متوسطة من الانتشار المكافىء والنوعي لموارد القوة ، بما يعطي أساسا لتكون نظام توازن القوى أو تعددية الأقطاب ، فمن ناحية عدد السكان نجد أن ٧٢.٥٪ منهم يعيشون في خمس دول فقط من اجمالي ١٨ دولة عربية . وسبع دول تشتمل على ٩٠.٦٪ من اجمالي عدد السكان في الدول الثماني عشرة ، وترتيب هذه الدول هي : مصر ٢٥.٧٪ من سكان الوطن العربي ، ثم المغرب والجزائر والسودان بنسبة ١١.٧ بكل منها ، ثم تأتي بعد ذلك العراق ٨.٢٪ ثم سوريا والسعودية .

ومهما يكن من أمر فلو نظرنا إلى حجم الجيوش العاملة حتى اول يولية ١٩٨٥ لوجدناها موزعة بين ثلاث دول فقط تحتفظ بـ ٦٣.٦٪ من اجمالي حجم القوات المسلحة في ١٨ دولة عربية ، وهذه الدول هي . . العراق ٢٤٪ ، مصر ٢٠.٧٪ ، سوريا ١٨.٧٪ فاذا أضفنا المغرب والجزائر لأصبح نصيب خمس دول نحو ٧٨.٤٪ من اجمالي حجم القوات العسكرية المتواجدة في الوطن العربي .

ويلاحظ أن ترتيب الدول يختلف كثيرا بين نصيبها في عدد السكان وحجم الجيوش العاملة فيها وذلك نتيجة لمستوى التعبئة الكبير في كل من سوريا والعراق .

ويعطينا حجم أنظمة التسليح الحديثة مؤشرا اخر للقوة العسكرية ، فاذا اعتمدنا على عدد الدبابات وطائرات القتال ، فاننا نحصل على ترتيب اخر . . فهناك خمس دول عربية تحتفظ بنحو ٨٣.٨٪ من حيازة الوطن العربي للدبابات ، وهي سوريا ٢٥.٧٪ ، العراق ٢٢.٩٪ ، ليبيا ١٧.١٪ ، مصر ١٣.٢٪ الأردن ٤.٩٪ ، أما من حيث عدد طائرات القتال فان الدول العربية الخمس الأولى تمتلك نحو ٧٢.٦ من اجمالي مايملكه الوطن العربي .

وخلاصة القول أن البلدان العربية الأكثر تمتعا بموارد القوة العسكرية في الوطن العربي هي على الترتيب . . العراق ، مصر ، سوريا . . ليبيا . الجزائر ثم السعودية والمغرب والأردن .

وبالطبع سوف نجد أنفسنا أمام توزيع مختلف اذا ما تطرقنا الى الناحية الاقتصادية . □

مكتبة العربي

مختارات

الكتاب / الأزمة الاقتصادية العالمية الراهنة
(مساهمة نحو فهم أفضل)
المؤلف / الدكتور رمزي زكي .
الناشر / دار كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع - الكويت
عدد الصفحات / ١٣٠ من القطع الكبير

يضم هذا الكتاب ثلاثة أبحاث قدمها الدكتور رمزي زكي في الحلقة النقاشية للمعهد العربي للتخطيط بالكويت عام ١٩٨٤/٨٥

ينطلق الدكتور رمزي زكي من حقيقة أن العالم الرأسمالي يعيش منذ السبعينيات من هذا القرن أزمة طاحنة تعيد للأذهان أزمة الكساد الكبير في بداية الثلاثينيات ، وما تلا ذلك من هزيمة للمدرسة الكينزية التي ساعدت العالم الرأسمالي على تجاوز ازمته من الثلاثينيات وحتى نهاية الستينيات ، ثم يستعرض المدارس الاقتصادية الرأسمالية التي جاءت على انقاض الكينزية لتفسير ما عجزت عنه هذه المدرسة ، ويلقى ضوءا على كل من المدرسة النقدية والاصلاحية والراديكالية ، مع تركيز على الأولى باعتبارها الأهم والأخطر من بين هذه المدارس الثلاث ، ولا ينسى أن يربط الدكتور رمزي كل ذلك بالتغيرات السياسية على الصعيد العالمي ، ليقدم شرحا مبسطا لواحدة من أهم الأزمات التي تؤثر بشكل مباشر على الأوضاع الاقتصادية في وطننا العربي .

الكتاب / في الرواية الفلسطينية .
المؤلف / فخرى صالح .
الناشر / مؤسسة دار الكتاب الحديث - بيروت .

عدد الصفحات / ١٥٨ من القطع الصغير .

يطمح هذا الكتاب الى الاجابة عن سؤالين حدد الكاتب أولهما بالتساؤل حول وجود رواية فلسطينية تمتلك خصوصيتها وشكلها الخاص بها . والثاني حول موضع الرواية الفلسطينية من الرواية العربية عموما ، وللاجابة عن هذين السؤالين ، يبدأ فخرى صالح رحلته مع الروايات الفلسطينية التي درسها باعتبارها أيديولوجيا كما هي لدى غسان كنفاني ، ونوعا من كتابة الجراح كما هي عند أميل حبيبي ، ثم كتابة الحدث التاريخي ، كما هي، عند رشاد أبو شاور ، وينتقل الى دراسة روايات كتبتها ليانة بدر وسحر خليفة والكاتبة السورية حميدة نعنع .

وخلال جولته في عوالم الرواية الفلسطينية لا ينسى الكاتب أن يفرد فصلا تحت عنوان اشكالية الرواية الفلسطينية تحت الاحتلال ، ويختار ثلاث روايات لسميح القاسم وعلى الخليلي وغريب عسقلاني .

الكتاب / ١٠٠ يوم في معتقل أنصار .
المؤلف / سعدون حسين .
الناشر / مؤسسة الرؤى للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت .
عدد الصفحات / ٢٠٦ من القطع المتوسط

مع دخول القوات الصهيونية الغازية الى بيروت ، دخل العدو الصهيوني أطول حروبه وأكثرها تكلفة ، ومثلما فعل اسلافهم النازيون اثناء الحرب العالمية الثانية ، قام الغزاة بجمع الأسرى في معسكرات اعتقال كبيرة كان أكثرها « شهرة » معتقل انصار .

عن فترة الاعتقال التي امتزجت فيها البطولة والاصرار على التحدي بمواقف الضعف الانساني التي تنتاب هؤلاء الساكنين وراء الأسلاك الشائكة ، كتب سعدون حسين الذي كان واحدا من آلاف ضمهم المعتقل الكبير .

وربما كانت ميزة هذا الكتاب الذي قدم له المفكر اللبناني المعروف حسين مرة ، هو انه رسم صورة الانسان العادي في مواجهة سلطة غاشمة ، لم تستطع بما تملكه من آلة قهرية أن تقضي على ارادة النصر في هذا الانسان .

الكتاب / مبادىء في علم الأدلة .
المؤلف / رولان بارث .
ترجمة / محمد البكرى .
الناشر / دار قرطبة للطباعة والنشر ـ الدار البيضاء .
عدد الصفحات / ١٨٠ من القطع الصغير .

يحاول المترجم في مقدمته لهذا الكتاب الذي صدر أول مرة في باريس عام ١٩٦٤ ، أن يجيب عن سؤال يطرح نفسه بداهة حول أهمية ترجمة كتاب مضى على صدوره أكثر من عشرين سنة ، رغم كل ماطرأ على موضوع علم الأدلة وعلى المدرسة البنيوية في الوطن العربي والعالم من تطورات ، وينفي ان يكون هدفه احياء للبنيوية في صورتها المستهلكة كما قدمتها النماذج المشوهة للبنيوية في وطننا العربي .

ومهما يكن من أمر فان هذا الكتاب لواحد من أبرز البنيويين الفرنسيين ، يأتي ليسد فراغا في المكتبة العربية التي مازالت تفتقر الى كتب تأسيسية في هذا المجال ، وقد تنبه المترجم الى صعوبة فهم النص من خلال الترجمة العربية فقط ، فأضاف ثبتا للمصطلحات الفرنسية ومرادفاتها العربية ، لتشكل بالاضافة الى المقدمة والشروح في الهوامش عونا على فهم هذا النص الصعب .

الكتاب / رعاة العزلة ـ شعر .
المؤلف / أمجد ناصر .
الناشر / دار منارات للنشر ـ عمان .
عدد الصفحات / ١٥٦ من القطع الكبير .

في كتابه الشعري الثالث يصبح عالم أمجد ناصر الشعري أكثر تعقيدا ، وتستقر مفرداته الشعرية ولغته المقتصرة لتشكل الشخصية الشعرية لأمجد البدوي القادم من الشمال ، المصطدم ببنية مجتمعية وانسانية أكثر تعقيدا ، وأقل احتراما للقيم البدوية التي غادرها .

في عالم أمجد الشعري لا يكف البدوي عن الحنين الى عالم مفتقد ، ولا عن المحاولات القوية لاستيعاب العالم الجديد والقيم الجديدة ، فيدخل في حوار لا ينتهي معها ، مسلحا بمفردات شعرية صارمة ومحددة ، ترسم عالما يقارب الحدود السريالية في بعض الأحيان ، لكن مادته اللغوية تبقى على الدوام قوية وباترة .

الكتاب / فضاء المعرفة .
تأليف / الدكتور عادل عبدالكريم ياسين .
الناشر / مؤسسة الكويت للتقدم العلمي .
عدد الصفحات / ٢٦٠ من القطع الكبير .

مادة هذا الكتاب ليست المعرفة من وجهة نظر فلسفية ، بل تمثل وجهة نظر تربوية تتعلق بتدريس مادة الرياضيات الحديثة في المدارس العربية ، ويقول العنوان الفرعي للكتاب الذي هو في الأصل رسالة دكتوراة للمؤلف ، ان الكتاب يبحث عن منهجية خوارزمية لتطوير تعليم وتعلم الرياضيات .

ويناقش المؤلف مادة الرياضيات الحديثة ، كما جرى تدريسها للطلاب ، ويتصدى مدافعا عنها باعتبارها تمثل مواكبة لهذا العصر الذي يشهد اكتشافات واختراعات هائلة في العلوم والرياضيات .

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٣٦
نوفمبر ٨٦

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ 13008 ـ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٣٦ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ ديسمبر ١٩٨٦ .

أرفق الحل مع هذا الكوبون

١ ـ كانت العرب اذا سمعت حديثا لا أصل له قالت : « حديث خرافة » ، فما الذي قصدوه بقولهم أو مثلهم هذا . . ؟

* فقصدوا التشبيه بين ذلك الحديث وبين حديث رجل من بني عذرة اسمه خرافة . . ادعى مصاحبته للجن ، وأكثر من الحديث عن أعاجيبه .
* قصدوا مايدل عليه لفظ (خرف خرفا) . . أي أن الحديث باطل .
* نسبوا ذلك الحديث الى فصل الخريف .

٢ ـ ثمة منطقة من الكرة الأرضية تسمى « سطح العالم » ترى أي منطقة تلك ؟ .

* القطب الشمالي .
* القطب الجنوبي .
* بلاد التبت الواقعة في أواسط آسيا بمحاذاة جبال همالايا .

٣ ـ أين ينتهي الغلاف الجوي ويبدأ الفضاء . ؟ .

* على ارتفاع ١٦٠ كيلو مترا .
* على ارتفاع ٢٥٠ كيلو مترا .
* على ارتفاع ٤٠٠ كيلو متر .

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٣٦



٤ ـ من اخترع أول ميزان حرارة في التاريخ ؟ .
* العالم الألماني فهرنهايت .
* العالم السويدي سلسيوس .
* الملك فرديناند الثالث ملك بوهيميا والمجر ، وذلك في القرن السابع عشر ، قبل اختراع الميزانين المعروفين (فهرنهايت وسلسيوس) بعشرات السنين .

٥ ـ لفظ (حِرِّيف) ماذا تعني على وجه الدقة . . ؟
* ذو حرافة ، أو طعم يلذع اللسان .
* الرجل الحريف هو الذي يحرف القول ويغيره عن مواضعه .
* هو الرجل الذي يتقن حرفته .

٦ ـ هل يوجد ذهب ذائب في مياه المحيطات ؟

٧ ـ ما هي أقدام الزنبقة وما العامل المشترك بينها وبين أهل الصين ؟

٨ ـ ثمة جامعة واحدة في العالم كله متخصصة في تعليم الصم . . أين توجد هذه الجامعة ؟

٩ ـ طالما تمثل العرب بمناعة حصن تَيْماء . . فأين تقع تَيْماء هذه ، ومن بنى حصنها ؟

١٠ ـ ما هي سرعة نمو شعر الانسان . . بالمتوسط . . ؟
* نصف بوصة في الشهر .
* نصف سنتمتر في الشهر .

١١ ـ لاحظت الفتاة أن الساعة استغرقت (٣٠) ثانية لكي تدق الساعة السادسة فسألت أخاها عن الوقت الذي تستغرقه الساعة لكي تدق الساعة ١٢ . . فأجاب ٦٠ ثانية فهل أصاب أم اخطأ . . وان كان قد أخطأ فما هو الصواب ؟

١٢ ـ أيهما الفصيح الثرثار وأيهما الفصيح البليغ ، أُلْلَبِنْ والألْسَن (أو اللَّسِن) .

الحلول

١ ـ معبد ديانا . . أو أرتيمس في أفسوس . . وهو المعبد الذي بناه قورش ملك ليديا الشهير بغناه . . وكان المعبد عجيبا في نظر القدامى ، وقد اعتبروه في عداد عجائب الدنيا السبع .

٢ ـ لفظ عنيد يعني في اللغة خالف الحق وهو عارف به .

٣ ـ سعفة جمعها سعوف ، والسعفة الواحدة هي ورقة النخيل لا غصنه .

٤ ـ طول الثوب (٧٠) يردة ولكن عدد القصات التي يحتاجها للحصول على ٧٠ قطعة هو ٦٩ قصة . .
الجواب اذن ٦٩ × ٥ = ٣٤٥ ثانية = ٦٠ دقيقة و ٤٥ ثانية .

٥ ـ نعم ، فأصل اللفظ في الفحص هو :
كعا يكعو كعوا . . وهو يؤدي معنى جبن أو انهزم .

٦ ـ كان اسمه الحقيقي شارلز لوتودج دودجسون . . أما (لويس كارول) فكان اسمه المستعار الذي اشتهر به . .
حقا ، اشتهر كارول بكتابة قصص الأطفال ولكنه كان عالم رياضيات في الوقت نفسه ، وقد عمل محاضرا في الرياضيات في جامعة اكسفورد وعاش نحو ٦٦ عاما (١٨٣٢ ـ ١٨٩٨) .

٧ ـ حصلت عليها هدية عرس (دوطة) ، وقد كانت جزءا من الدوطة التي حملتها العروس كاترين رجانزا الى عريسها الملك شارلز سنة ١٦٦٢ . . وكانت بومباي قد سقطت في أيدي البرتغاليين سنة ١٥٣٠ . .

٨ ـ مفردها النوء ، ومعناها المطر .

٩ ـ كلا ، الثلج والبَرَد ماء مطر متجمد . . فقطرات الماء الصغيرة تتجمد وتتحول الى ثلج اذا كان الطقس شديد البرودة . . أما إذا حل التجمد بقطرات المطر الكبيرة تكوّن البَرَد .
وتجدر الاشارة الى أن مطر الصيف قد يرافقه البرد دون الثلج ، وسبب ذلك أن الثلج يذوب بتأثير حرارة الصيف ، وقبل أن يصل الى سطح الأرض ، أما البرد وهو كما لا يخفى كبير الحجم نسبيا ، فيصمد ويصل بَرَدا الى سطح الأرض ، ومن طريف ما يذكر أن حجم البرد يكبر أحيانا حتى يبلغ وزن الحبة الواحدة منه كيلو جراما أو يزيد ويسبب في تلك الحال أضرارا كثيرة . .

١٠ ـ تحتاج الى ٢٠٠٠ سنة بالمتوسط لكي يزداد طولها سنتيمترا واحدا !

١١ ـ دفع السدادة الى داخل القنينة .

١٢ ـ بوينج ٧٤٧ ، وتستطيع حمل حوالي ٤٠٠ راكب أو يزيد .

الفائزون في مسابقة العدد ٣٣٣ أغسطس ١٩٨٦

الجائزة الأولى : عبده فاطمة ـ الرباط ـ المغرب

الجائزة الثانية : محمود عبدالحميد سليمان ـ الاسكندرية ـ جمهورية مصر العربية

الجائزة الثالثة : خافية التومي ـ نهج الأخوة ـ الجمهورية التونسية

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ سلمى علي محمد الملايين ـ دولة الكويت

٢ ـ عوض الجيد المجتبي محمد آدم/ بريد الخرطوم/ السودان

٣ ـ أسامة الطاهر الزنتاني ـ طرابلس الغرب ـ المدينة القديمة ـ الجماهيرية الليبية

٤ ـ سهيل موسى السكر ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية

٥ ـ مأمون عبدالله مطر ـ بشاور ـ جامعة بشاور ـ باكستان

٦ ـ يحيى ناصر حسن الشتوى ـ صنعاء ـ الجمهورية العربية اليمنية

٧ ـ فيصل عبدالغني عبدالوهاب ـ بغداد ـ وزارة المالية ـ دائرة المحاسبة ـ الجمهورية العراقية

٨ ـ فخرية محمود نصار ـ الأردن جبل عمان ـ الدوار الثاني ـ المملكة الأردنية الهاشمية

معركة بلا سلاح

□ الشطرنج والسياسة

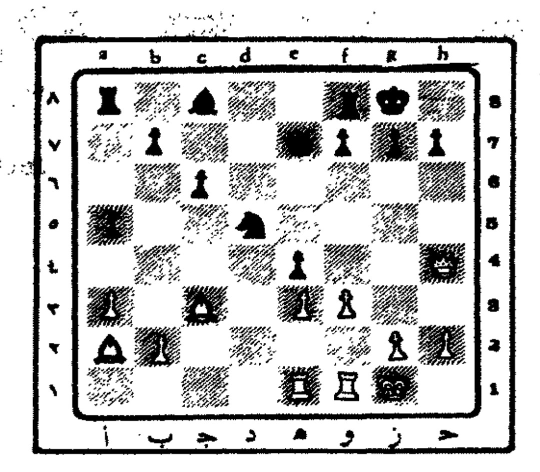
تقضي التقاليد السوفييتية العريقة برعاية لعبة الشطرنج ودعمها في جميع الأوقات وكل الظروف من حرب وسلم وشدة ورخاء ، فهي تحظى باهتمام الدولة وحمايتها منذ مطالع هذا القرن وحتى قبل قيام الثورة البلشفية في عام ١٩١٧ ، فقد كان كارل ماركس مُنظِّر الثورة وفيلسوفها من فحول اللاعبين وكذلك لينين الذي لم تكن حماسته للعبة لتقلّ عن حماسة أستاذه . أما ستالين فبالرغم من أنه لم يكن لاعبا بارزا فان نائبه كريلنكو كان من كبار منظمي اللعبة ومديريها ، وقد ازدهرت اللعبة في عهده.

وقد برزت أهمية اللعبة كسلاح دعائي فعال في نهاية الثلاثينيّات من هذا القرن عندما تألّق نجم اللاعب السوفييتي ميخائيل بوتفينيك وأصبح من أول المنافسين على بطولة العالم للشطرنج التي لم يسبق أن احتلّها لاعب سوفييتي من قبل ، وقد عض الاتحاد السوفييتي على بطولة العالم للشطرنج بالنواجذ منذ ذلك الحين عام ١٩٤٨ ، وظل محتفظا بها حتى يومنا هذا ، ولم يتمكن من اختراق صفوف الأبطال السوفييت سوى اللاعب الامريكي الأعجوبة بوبي فيشر الذي انتزع بطولة العالم من البطل السوفييتي بوريس سباسكي عام ١٩٧٢ ، واحتفظ بها حتى عام ١٩٧٥ عندما خسرها أمام منافسه السوفييتي أناتولي كاربوف بسبب رفضه للدفاع عن اللقب .

وكثيرا ما كان الزعيم السوفييتي بريجينيف يظهر على صفحات المجلات وهو ينحني على رقعة الشطرنج ، وكان لاستقباله الرسمي لأناتولي كاربوف بعد فوزه في البطولة عام ١٩٧٨ ، والصورة التي ظهرت لهما على صفحات كبريات المجلات صدى دعائي كبير يحمل دلالة واضحة على المكانة الرفيعة التي تحتلها اللعبة في روسيا السوفييتية .

والدور التالي هو بين ميخائيل بوتفينيك أول بطل سوفياتي للعالم وبين ماكس يو الهولندي بطل العالم بين (١٩٣٥ ـ ١٩٣٧) وهو من دفاع جامبيت الوزير المرفوض .

□ بوتفينيك	■ ماكس يو
١ ـ د ٤	د ٥
٢ ـ جـ ٤	هـ ٦
٣ ـ ح ـ و ٣	ح ـ و ٦
٤ ـ ح ـ جـ ٣	جـ ٦
٥ ـ هـ ٣	ح (ب) ـ د ٧
٦ ـ ف ـ د ٣	ف ـ ب ٤
٧ ـ أ ٣	ف ـ أ ٥
٨ ـ و ـ جـ ٢	و ـ هـ ٧
كان التبييت أفضل للأسود	
٩ ـ ف ـ د ٢	د × جـ ٤
١٠ ـ ف × جـ ٤	هـ ٥
١١ ـ ت	ت
وليس هـ ٤ لأنها خاسرة	
١٢ ـ ر (أ) ـ هـ ١	ف ـ جـ ٧



١٣ ـ ح ـ هـ ٤	ح × هـ ٤
١٤ ـ و × هـ ٤	أ ٥
١٥ ـ ف ـ أ ٢	ح ـ و ٦
١٦ ـ و ـ حـ ٤	هـ ٤
١٧ ـ ح ـ هـ ٥	ف × هـ ٥
١٨ ـ د × هـ ٥	و × هـ ٥

تضحية البيدق مهدت لسيطرة الفيلين على جناح الملك

١٩ ـ ف ـ جـ ٣	و ـ هـ ٧
٢٠ ـ و ٣	ح ـ د ٥ (الشكل)
٢١ ـ و × هـ ٧	ح × هـ ٧
٢٢ ـ و × هـ ٤	ب ٦

٢٣ ـ ر ـ دا مهدّدا بكش مات

٢٣ ـ	ح ـ ز ٦
٢٤ ـ ر ـ د ٦	ف ـ أ ٦
٢٥ ـ ر ـ و ٢	ف ـ ب ٥
٢٦ ـ هـ ٥	ح ـ هـ ٧

أملًا بالوصول الى (د ٥) وَشَلّ حركة الفيلين

٢٧ ـ هـ ٤	جـ ٥
٢٨ ـ هـ ٦	و ٦
٢٩ ـ ر × ب ٦	ف ـ جـ ٦
٣٠ ـ ر × جـ ٦	ح × جـ ٦
٣١ ـ هـ ٧ + بالكشف	ر ـ و ٧
٣٢ ـ ف ـ د ٥	يستسلم .

حل مسألة العدد رقم ٣٣٤
سبتمبر ١٩٨٦

١ ـ و × ب ٧	٢ × ب ٧
٢ ـ ر ـ ب ٣ +	م ـ أ ٦

٣ ـ ف ـ و ١ كش مات

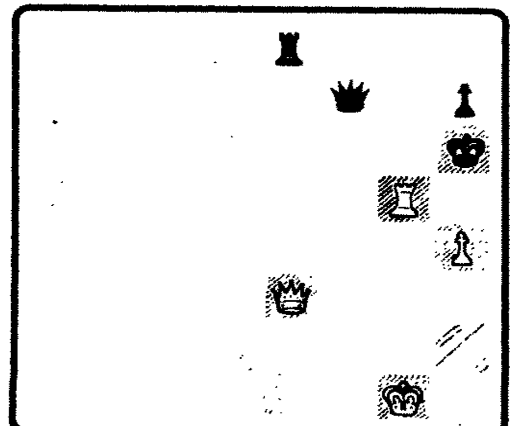
الفائزون بحل مسابقة العدد ٣٣٣
اغسطس ١٩٨٦

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ سلوى زقوت / الباحة / السعودية
٢ ـ د . مدحت حامد / دقهليه / ج م ع
٣ ـ عصمت محمد / السودان
٤ ـ غزلان الزروالي / البيضاء / المغرب
٥ ـ مأمون عوبر / الفحيحيل / الكويت

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ ـ عزّي أحمد / البليده / الجزائر
٢ ـ طارق ابو الهول / طرابلس / ليبيا
٣ ـ عادل باقادر / أبين / اليمن
٤ ـ التابعي بن صالح / قفصه / تونس
٥ ـ عبد الرحيم عبد الكريم / القاهرة / ج م ع



مسألة العدد رقم ٣٣٦
نوفمبر ١٩٨٦
مات ٢

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

المسئولية الثقافية

● طالعت في العدد ٣٣١ يونيو ١٩٨٦ مقالة طبية للدكتور نبيل سليم علي بعنوان « جلدك هو كنزك » فوجدتها منقولة عن موضوع طبي بعنوان :

« ان لجلدك عليك حقا » والمنشور في مجلة « طبيبك » التي كان يرأس تحريرها المرحوم الدكتور صبري القباني العدد ١٦٣ الصادر في مارس ١٩٧٠ .

واني لأتمنى صادقا أن يعمل كتاب مجلتنا على تفادي هذه الاعمال السلبية لأنها تسيء الى الفكر العربي واخلاقيات الكتاب العرب .

درار مولاي علي
حي الخيام - اغادير - المغرب

- تلقينا رسالتك باهتمام شديد وقمنا بمقارنة الموضوع المنشور بالمقال المشار اليه في مجلة « طبيبك » ، وقد فوجئنا مثلك بأن المقال منقول بشكل يكاد يكون حرفيا من المجلة المشار اليها ، وقد أردنا أن نتابع الموضوع أكثر فوجدنا أن هناك مقالات أخرى لنفس الكاتب مع الاسف .

ونحن اذ نشكر للقارىء اهتمامه بلفت انتباهنا الى هذا التصرف غير العلمي الذي يسيء لصاحبه قبل أن يسيء للآخرين حيث لا تملك أي مجلة أن تتابع كل ما ينشر في الحاضر فضلا عن الماضي ، وانما تعتمد المجلة أساسا على شعور الكاتب بالمسئولية ، ولذلك فاننا نشعر بالاسف على ما حدث وهو أمر يدفعنا الى إعادة النظر في تعاملنا مع الكاتب في ظل مسئوليتنا الثقافية ، ونحن عادة نتوقف كلياً عن نشر أي موضوع لمثل هؤلاء الكتاب . . لأن فاقد الشيء لا يعطيه .

رسالة من د . عبد المحسن صالح لطالب ثانوي

● كان مفاجأة اليمة . . ذلك الخبر الذي تناقلته الصحف عن وفاة الدكتور عبد المحسن صالح في شهر مايو الماضي ، اثر نوبة قلبية ألمت به ، وهو ما يزال في السابعة والخمسين من عمره ، موفور العطاء ، عظيم الأثر . والحقيقة أن ما كتبته المجلات عن د . عبد المحسن صالح ، ذلك العالم الذي وهب حياته لعلمه وعمله ، ولم يشغله عنه شاغل من أي نوع ، ما يزال دون ما يستحق الرجل ، فهو لم يكن من ذلك النوع من الرجال الذي يثير ضجة في حياته أو في مماته ، فقد كان رحمه الله غاية في التواضع ، جهده كله موجه الى ما ينفع الناس لا الى ما ينفعه ، ويهمني في هذه الرسالة أن اكشف عن جانب من الجوانب الخفية في عظمة الرجل وفي شخصيته ، فأرفق مع خطابي هذا خطابين بخطه موجهين لى شخصيا ، ولست سوى تلميذ في المرحلة الثانوية من اليمن الديمقراطية ، وقد كنت مفتونا بعلمه ، أتابع كل ما يكتبه وأناقشه فيه ، فلا يبخل علي بالحوار والمناقشة والتشجيع ، رغم شغله الكثيف وضيق وقته في البحث والكتابة والدرس ، وهذا جانب هام في شخصية الرجل الذي كان يراسل كل من يتوسم فيهم الجدية والخير ، في الوقت الذي يضن فيه بوقته عن ان يضيع مع رجال العلاقات العامة أو في المجتمعات التي يمكن أن تحيطه بضجيج اعلامي ، في حياته أو بعد موته ، أو تحقق له مصلحة أو فائدة ، فقد كان رحمه الله يؤمن بأن الخير الحقيقي في العمل الدءوب من اجل ما ينفع الناس ، ويرتقى بحياتهم وفكرهم وحث الشباب على الاخذ بالاسلوب العلمي في حياته وفي درسه .

واني بهذه المناسبة اقترح على مجلة العربي أن تقوم بجمع مقالاته التي تم نشرها في العربي لتنشر في سلسلة كتاب العربي الفصلية ، مع الصور الملونة التي تستهوى القارىء ، وتساعد على تبسيط الموضوع ، ولعل ذلك « الكتاب » الى جوار ما يحققه للقارىء من فائدة ، أن يوفي الكاتب الكبير بعض حقه . رحم الله الدكتور عبد المحسن صالح ، وجزاه خير الجزاء على ما قدمه لمجتمعه وأمته .

عبد السلام سالم عبد الله
اليمن الديمقراطي ـ حيّ الرشيد

ـ نشكر للقارىء الكريم حرصه على ابراز هذا الجانب الهام من شخصية الدكتور عبد المحسن صالح ، ونود أن نطمئنه على أن فكرة نشر مقالات الفقيد الكبير في كتاب العربي ، كانت من أول ما فكرنا فيه عقب وفاته ، وأدرجت ضمن خطة النشر في القريب ان شاء الله ، ولشعورنا العميق بأهمية التأثير الذي يمكن ان تحدثه رسالة يكتبها عالم كبير كالدكتور عبد المحسن صالح لتلميذ جاد ومهتم فانه يسرنا أن ننشر هنا فقرات من هذه الرسالة لتكون رسالة لمن يهمه الامر من العلماء والشباب معا .

صورة طبق الاصل من الرسالة الخطية المرفقة

الاسكندرية في ١٢/ ٢/ ١٩٨٥

ابننا العزيز الطالب النابه عبد السلام سالم

تحية مودة ومحبة واعزاز

تلقيت بمزيد من السرور رسالتك الطويلة الرقيقة وكم كانت دهشتي بالغة ، وفرحتي غامرة أنك ما زلت طالبا بالمدارس الثانوية ولك كل هذه الاهتمامات العلمية ، والقراءات المتشعبة ، والاستيعاب المثمر مما يؤكد لي أن مستقبلا عظيما ينتظرك ، ويسعدني ان تكون احد ابنائي الذين أفخر



حوار القراء..

بهم . فكثيرون ممن قرءوا لي ، وهم في سنك ، قد انهوا دراستهم الجامعية بتفوق ، اذ ان الاطلاع الواسع ينير العقل ، ويوسع المدارك . وأنا ما زلت رغم بلوغي سن الـ ٥٧ عاما أقرأ وأتعلم وأستفيد وتزيد حصيلتي من المعلومات ، وكل ما أرجوه الا تستنزف قراءاتك الكثيرة كل وقتك بحيث يشغلك ذلك عن دروسك ، بل أعط لدروسك حقها ، ولقراءاتك حقها .

المخلص

عبد المحسن صالح

من هم اللاجئون في السودان ؟

● في عدد مايو ١٩٨٦ من مجلة العربي قرأت استطلاعا عن السودان تحت عنوان « صيحة أم صحوة في السودان » وقد تحدث كاتب الاستطلاع الأستاذ سليمان الشيخ عن اللاجئين الذين تدفقوا على السودان من « ارتيريا وأثيوبيا وأوغندة وزائير وتشاد » .

ويبدو أن الكاتب قد استخدم كلمة « لاجئين » نتيجة لأن المسئولين عن شئون اللاجئين قد استخدموا تلك الكلمة .

ونحب أن نوضح أن كلمة السودان كانت تعني عندنا قبل الاستعمار الفرنسي الانجليزي الساحل الممتد من بلاد النوبة جنوب مصر الى السنغال ، وبالتالي فان التنقل بين مناطق هذا الساحل أمر مألوف ولاغرابة فيه ، ولو عرف الأخ المستطلع هذه الحقيقة لما استغرب وجود تشاديين أو نيجيريين في المناطق الشرقية ، أو الوسطى من السودان ، هؤلاء يمكن أن نسميهم مستوطنين أو مهاجرين وليسوا لاجئين .

أما كلمة « لاجئين » فلعلها تصدق على هؤلاء الهاربين من ضغط سياسي أو كارثة طبيعية كما هو مشاهد في معسكرات اللاجئين في السودان وغيرها .

على كل حال نقدر جهود مجلة العربي وندعوها الى التوجه غربا من السودان بمعناه الواسع للاطلاع على حقائق الأمور ، لا أن تيمم وجهها شرقا دائما ، وسوف تجد الأصول السكانية المشتركة .

حامد هارون محمد

تشادي مقيم بليبيا / بنغازي

ـ نشكر للقارىء الكريم توضيحه ونود أن نشير الى أن ماتحدث عنه المحرر في استطلاعه انما هو عن واقع السودان حسب الواقع السياسي الآن . وليس كما كان من قبل .

أما بالنسبة لتنقل القبائل بين حدود هذه الدولة أو تلك فان معلومات الكاتب عن هذا الجانب انما استندت كما لاحظ كاتب الرسالة الى معلومات المسئولين المختصين . وفيما يتصل بزيارة العربي لمناطق أخرى من السودان فان « العربي » زارت من قبل بعض هذه المناطق . وهي لاتألو جهدا في زيارة بقية المناطق في اطار تخطيطها لزيارة الوطن العربي والاسلامي والعالم .

مرض عربي . . اسمه الطاعة

● وصلتنا رسائل عديدة تعلق على مقال الدكتور فؤاد زكريا المنشور في مجلة العربي العدد رقم ٣٣٢ (يوليو سنة ١٩٨٦) بعنوان « مرض عربي اسمه الطاعة » .

من اهم هذه الرسائل ما كتبه عبد الرحمن الحسين ـ

بلدية القريات - بالمملكة العربية السعودية . وعبد المناف المحمود من سوريا . حماة . و أ . ف من الاردن .

ولتعذر نشر هذه الرسائل كلها . ولتشابه أكثر ما ورد فيها . نكتفي بعرض الافكار الاساسية المشتركة بينها فيما يلي :

يفهم من المقال أن الطاعة بجميع انواعها رذيلة . وان التمرد بجميع أنواعه فضيلة . . ولو كان الامر كذلك فتلك كارثة .

كان من الضروري أن يوضح المقال الفروق الهامة بين انواع من الطاعة وانواع من التمرد . ومتى تكون الطاعة واجبا وضرورة ؟ ومتى تكون خضوعا واستسلاما وضعفا ؟

ومتى يكون التمرد شجاعة وقوة ؟ ومتى يكون فوضى واختلالا ؟ وان يحدد المصطلح المناسب لكل حالة من هذه الحالات .

اذ يجب ان نعرف متى وكيف نطيع ؟ ومتى وكيف نتمرد ؟ ورحم الله « ابو بكر الصديق » حين خطب في الناس عند توليه الخلافة قائلا : لقد وليت عليكم ولست بخيركم . . . أطيعوني ما أطعت الله ورسوله » .

بهذه الكلمات القليلة عبر سيدنا أبو بكر تعبيرا دقيقا وصادقا بأن الطاعة بالأساس لله ولرسوله وثم لأولي الامر ما داموا مطيعين لله ولرسوله . وثم للوالدين ما دامت مطيعين لله ولرسوله حيث قال سبحانه وتعالى : « وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما » .

- نشكر للقراء اهتمامهم ومتابعتهم . وننشر ملاحظاتهم لتكون تحت نظر الدكتور فؤاد زكريا الذي لا نشك ان مثل هذه الملاحظات كانت في اعتباره وهو يكتب مقاله . حيث اشار في بداية مقاله الى ان هناك نوعين من القيم : قيم تعزز من ثبات وتماسك الاوضاع في المجتمع . وقيم تدعو الى التغيير . وان المناخ العام في مجتمعنا العربي يعزز من قيم الثبات . فلعله اراد ان يكون مقاله صرخة حادة من اجل هز هذا المناخ الراكد . ومن اجل دعم قيم التغيير الى الافضل . . ولعل هذه الملاحظات تدعو

الدكتور فؤاد الى العودة الى تناول هذا الموضوع الدقيق بالمزيد من التفصيل والتحديد .

المحتالان « من اليونان أم من اليمن »

● لقد فوجئت بعد قراءتي لقصة « المحتالان » للأديب اليوناني ستراتيس ميريفليس المنشورة في العدد رقم ٣٣٣ من مجلة « العربي » بتاريخ أغسطس سنة ١٩٨٦ بأن ثلاثة ارباع احداث هذه القصة معروفة لدينا باعتبارها جزءا من التراث اليمني . وأنا شخصيا استمعت اليها من رجال كبير السن . إن بطلي القصة ليسا محتالين . بل أحدهما فقير (هو مانويللي في القصة اليونانية) والاخر غني بخيل (هو تيودوروس) وأيضا ان الجثة المزعومة لمانويللي لم تنقل الى الكنيسة بل الى احد الكهوف .

كيف انتقلت هذه الحكاية من اليمن الى اليونان ؟ او العكس . وأنا لا اعتقد انها من تأليف اليوناني « ستراتيس ميريفليس » بل من التراث اليوناني . والدليل انه بدأ القصة بأسلوب رواية الحكايات القديمة يحكى انه في قديم الزمان . . . الخ .

هل بامكان علمائنا المتخصصين في التراث والفلكلور تنويرنا في مجلة العربي حول هذا الموضوع .

احمد محمد حسين
صنعاء - الجمهورية العربية اليمنية

- من الطبيعي ان الادباء في كل بلاد العالم يستوحون قصصهم احيانا من القصص الشعبي في تراث بلادهم . وهذا لا ينفي عنهم صفة تأليف هذه القصص . لانهم لا يقدمون صورة طبق الاصل من القصة الشعبية بل تكون هناك اضافة ما تفصح عن هدف الكاتب من عملية استيحاء القصة من التراث . والعربي اذ تنشر رسالة القارىء الكريم تود ان تتيح الفرصة لاحد الدارسين المختصين ان يجد في هذا التشابه ما يمكن ان يثري الدراسة المقارنة في مجال التراث الشعبي بين الشعوب . □



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

نوفمبر ١٩٨٦ م

الشركات عابرة القومية ومستقبل الظاهرة القومية

تأليف: د. محمد السيد سعيد



الكتاب ١٠٧

المراسلات: باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت



سلسلة ثقافية
تصدرها فى مطلع كل شهر

وزارة الاعلام - الكويت

٢٠٦ أول نوفمبر ١٩٨٦

الحبل المتهدل
أو
أغنية القطار الشبح

تأليف : فرناندو أرابال
ترجمة وتقديم : د. محمد السرغيني
مراجعة : أ. د. يوسف الشاش



صَبَاحُ الخَيْر!
NESCAFÉ
نسكافه
نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة بالحليب ،
تجمل نهارك مليئاً بالحيوية والنشاط .
إشرب نسكافه في الصباح وفي أي وقت ، وتمتع بطعمها اللذيذ ونكهتها الغنية .
نسكافه ، قهوة ١٠٠ بالمئة صافية سريعة التحضير .
نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح .
PI 2960